موسوعة

عالم الأديان

كل الأديان . المذاهب . الفرق . البدع في العالم

21



NOBILIS

موسوعة عالم الأديان

كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

العلويون

مجموعة مِن كبَار البَاحِثين

بإشراف

ط. ب. مفرّج

موسُوعَة

عَالَم الأديَان

كلُّ الأديان والمذاهِب والفرَق والبدَع في العَالَم

الجزء الحَادي والعشرُون

العَلويّون

NOBILIS

طبعة أولى ـ ٢٠٠٤

طبعة ثانية ـ ٢٠٠٥

إسم المَجموعَة	: موسوعَة عَالَم الأديَان كُلُّ الأديَان والمَذَاهِب والفرَق والبدَع في العَالَم
إسم الكِتَاب	: العلَويُّون
الجزء	: الحَادي والعشرُون
المؤلّف	: مجموعَة من كبار الباحِثِين بإشراف ط. ب. مفرّج
قياس الكتَاب	: ٢٠ × ٢٨
مكَان النَّشر	: بيروت
دَار النَّشر والتَّوزيع	: NOBILIS
تلفاكس	: ٩٦١ ـ ١ ـ ٥٨١١٢١
	: ٩٦١ ـ ٣ ـ ٥٨١١٢١

المحتويات

الفصلُ الأوّل

مَواطِنُ العَلَويّين وأصولُهم وتقاليدُهم

الفَصلُ الثّاني

في نِسبَتِهم النُّصَيريّة

الفَصلُ الثَّالِث

فِي المُعتَقَـــــد

الفَصلُ الرَّابِع

فَتَاوَى وأقوَال في المَذهَبِ العَلَويّ

الفَصلُ الخَامِس

مِن تَارِيخِ العلَويِّين

الفَصل السَّادس

بَينَ المَماليكِ والزَّمَنِ المُعَاصِر

الفَصْلُ الأوَّل

مَواطِنُ العَلَوِّيين وأُصولهم وتَقَاليدُهم

مَوَاطِـن العَلَوِّيين؛ أصولُهم العِرقيَّة؛

مِن ماضِي التَّقَاليد؛ المهر والزواج؛ الأعياد؛

القُبُـــور والمَزَارات والنُّـذُور .

مَوَاطِن العَلَويّين

يستوطن العلويّون في وسط سوريا عمومًا وبجبال العلويّين بوجه خاصّ، فضلاً عن بقاع كثيرة تمتدّ إلى حدود قيليقية التركيّة، كما تسكن جماعات منهم، خارج الوطن العربيّ، في جنوبيّ تركيا وألبانيا وبلاد اليونان وأميركا الجنوبيّة وخصوصًا في البرازيل[1]. فغالبيّة العلويّين تقيم في قرى جبل العلويّين، وفي اللاذقيّة، وجبلة، وطرطوس، وبانياس، وصافيتا، وتلّ كلخ، وفي لواء اسكندرون الذي اقتطعته فرنسا من سوريا ومنحته إلى تركيا، وفي بعض من قيليقية مثل أدنة ومرسين وسيواس وطرسوس وقراهما[2]. وفي لبنان وجود ملحوظ للعلويين في عكّار والضنيّة ومدينة طرابلس من شمال لبنان. وتبقى سوريا الموطن الأساسيّ للعلويّين. ونادرًا ما عرف العلويّون الاستقرار طوال تاريخ وجودهم الذي بدأ قبل سنة ٧٤٧ ميلاديّة، إذ كانوا أبدًا موضوع اضطهاد، لا لشيء سوى لأنّهم لا يدينون بما يدين به الحكّام وخاصّة الشعوبيّون منهم. ففي بداية القرن العاشر الميلاديّ، ولأسباب أمنيّة، انتقل مركز حلب الدينيّ العلويّ إلى اللاذقيّة، أمّا المجتمع العلوي، فقد اضطر إلى اللجوء إلى المناطق الجبليّة في أكثر الأحيان، حتّى غدت جبال سوريا الشمالية

---

١ ـ إسماعيل د. محمود، فرق الشيعة بين التفكير السياسيّ والنفي الدينيّ، دار سينا للنشر (القاهرة،١٩٩٥) ص١٤١.

٢ ـ عرموش أحمد راتب، موسوعة الأديان الميسّرة، ط ٢، دار النفائس (لبنان، ٢٠٠٢) ص٣٦٦.

الغربيّة تُعرف باسمهم: جبال العلويّين، وهي تتألّف من صخور كلسيّة جوراسيّة مع مواد بازلتيّة دخيلة. شكلها العامّ بسيط نسبيًّا ولكنّه يتضمّن أودية عميقة متعدّدة وأخرى وعرة ومرتفعات شديدة الانحدار، تَحصّن فيها جماعات من الذين أقاموا في سوريا، والتجأ إليها المسلمون غير السنّيين. كذلك عُرف الساحل الشماليّ لسوريا بساحل النصيريّة منذ زمن بعيد[١]. وقد أطلق المؤرّخون والرحّالة والجغرافيّون على أماكن وجودهم هذه أسماء كثيرة: جبال اللاذقيّة، جبال النصيريّة، بلاد العلويّين، منطقة العلويّين، منطقة اللاذقيّة، الجبل العلويّ، جبل الشام، جبل اللكام[٢]... ومن الأسماء التي ذكرت أيضًا: جبل السمّاق. ولعلّه هو نفسه الذي أطلق عليه ياقوت اسم جبل السمان، وقال: "اتّخذوا جبل السمان الذي يسمّى الآن جبل النصيريّة...وهو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية"[٣]. غير أنّ بعض المدوّنات يذكر أنّه في حقبة مبكّرة، حاول العلويّون، أو بعضهم، اللجوء إلى جبل السمّاق شرقيّ سوريا، ولكنّ السكّان المتحصّنين هناك استقبلوهم بالقتال، واضطرّوهم إلى الإجلاء عن ذلك الجبل[٤].

---

١ ـ حتّي د. فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة (بيروت،١٩٥٨) ١: ٣٢ ـ ٣٣.

٢ ـ يقول ياقوت الحموي: اللكام وهو الجبل المشرف على أنطاكية، وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور؛ ويقول الاصطخري: كورة الشام إنّما هي من حد فلسطين وحد الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين، وجبل اللكام داخل في بلد الروم، وينتهي إلى نحو مائتي فرسخ، ويظهر في بلاد الإسلام من مرعش والهارونيّة وعين رزبة، فيسمّى لكام إلى أن يتجاوز اللاذقية ثم يسمّى بهراء وتنوخ إلى حمص ثم يسمّى جبل لبنان.

٣ ـ ياقوت (الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، طبعة دار صادر (بيروت، لا.ت.).

٤ ـ BARHEBRAEUS, *CHRONIQUE SYRIAQUE*, CITÉ PAR ASSEMANI, BIBL. ORIENT., II: 320.

أصولُهم

العِرقيَّة

لا شكَّ في أنّ العلويّين هم، في أكثريّتهم الساحقة، من أقحاح العرب، وإن تحدّرت أسر علويّة قليلة جدًّا من غير أصول[1]. فبالإضافة إلى ما يتّصفون به من أخلاق وعادات وتقاليد، تؤكّد على انتمائهم العربيّ، فقد بيّنت الدراسات بما لا يقبل الشكّ أنّ أنسابهم تنتهي إلى التنوخيّين والغساسنة والكنديّين والطائيّين والثعالبة وغيرها من القبائل العربيّة. وينقسم العلويّون إلى جماعات وعشائر كثيرة، وقد تحمل العشيرة إسم جدّها، أو البلدة التي تنتسب إليها، أو الشيخ الذي تولّى زعامتها، أو صنعة اشتهرت بها. فقضيّة العشائر العلويّة قضيّة معقّدة، لأنّها لا تخضع للنظام العشائريّ المعروف من حيث الانتماء العرقيّ، وإنّما هي مجموعات من القوم ارتبطت برباط الإقامة أو المصلحة المشتركة أو العقيدة أو الوشيجة الصوفيّة أو الحلف ضدّ الأخطار[2].

وقد جاء في بعض الأبحاث أنّ "العلويّين يتحسّسون بالعروبة، وهم من القائلين قدمًا، إنّ الخلافة في قريش، وإنّ أفضل فخذ في قريش، هو آل علي(عليه السلام)، ولكن بطش الشعوبيّين فيهم، صرفهم عن فكرتهم هذه، واضطرّهم إلى حماية أنفسهم، بانضمام بعضهم إلى بعض باسم المذهب العلويّ، وقد رجعوا أخيرًا إلى عهد العروبة، بعد أن زال الحكم التركيّ، وكافحوا الفرنسيّين من أجله، وهم مجتهدون في إتقان اللغة العربية، وقد ظهر فيهم كتّاب وشعراء... والعلويّون يتغنّون بالعروبة، ومدنيّتهم السابقة وفتوحهم ومجدهم، وأخلاقهم العالية، ويفاخرون بذلك، وينتظرون عهدًا قريبًا ينهض

---

١ ـ ذكر عرموش، في موسوعة الأدان الميسّرة، مرجع سابق، ص٣٦٦، أنّ "القراطلة" أتراك أتى بهم السلطان سليم إلى مناطق العلويّين، ولمّا لم يكن لهم عصبيّة عربيّة، فقد التحقوا ببقيّة العشائر.

٢ ـ عرموش، موسوعة الأديان الميسّرة، مرجع سابق، ص٣٦٦.

العرب فيه من كبوتهم، ويأخذون مركزهم تحت الشمس، عزيزين، رافعي الرؤوس. والمتعلّمون من العلويّين قرأوا تاريخ العرب، وعرفوا أخلاق أجدادهم الرضيّة، وما وصلوا إليه من سؤدد، وكيف أنّهم بُلوا بعدئذ بالملوك الشعوبيّين، الذين أضاعوا مجدهم وعزّهم، وضيّعوا عليهم فتوحهم، ولحقوا بهم يقتلونهم كالنعاج، ثمّ حكموهم، فلم يبقوا عليهم، تارة بالقتل دون سبب، وتارة باستباحة أموالهم وبسلبهم باسم الضرائب، وتارة بما يوقعونه فيهم من الفساد، فتقوم فئة ضد فئة، بداعي المحافظة على عزّة نفسها أو كيانها، وهكذا دواليك"[1].

وفي دراسة أكثر تفصيلاً عن أصل العلويّين[2] جاء أنّ هجرتهم إلى موطنهم قد حصلت على دفعات عدّة، جماعة وأفرادًا. فبعد أن يستعرض الباحث الشعوب التي كانت تسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلاميّ، وهي بمجملها قبائل تعود إلى عرق عربيّ ساميّ، كالآراميّين والكنعانيّين والفينيقيّين، ينقل ما قاله اليعقوبي من أنّ "أهل حماه من اليمن، وأهل حمص جميعهم من اليمن من طيّ وكندة وحميَر وكلب وهمدان، وأطراف حمص كذلك، وأهل سلمية من ولد عبدالله بن صالح الهاشمي، ومعرّة النعمان أهلها تنّوخ، وأهل أفامية[3] من عذرة وبهراء، وأهل مدينة شيزر من كندة، وأهل اللاذقيّة من اليمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم، وأهل مدينة جبلة من همدان وبها قوم من قيس ومن أياد، وأهل مدينة طرطوس قوم من كندة".

---

١ - الشريف منير، العلويّون المسلمون من هم؟ وأين هم؟ المطبعة العموميّة (دمشق،١٩٦١)

٢ - الإبراهيم الشيخ علي عزيز، العلويّون في دائرة الضوء، منشورات الغدير (بيروت،١٩٩٩) ص٣٣، عن: تاريخ أبو الفداء، ٢: ٩.

٣ - **أفامية أو أفاميا**: أنقاض مدينة قديمة في سوريا على بعد ٤٥ كلم من حمص، دُعيت في البدء "فرانكه" ثمّ "بيلاّ"، وسّعها سلوقس نيكاتور ودعاها "أفاميا" باسم زوجته الفارسيّة، كانت مركزًا سلوقيًا هامًا، احتلّها الرومان ٦٤ ق.م. ثمّ أضحت كرسيًا أسقفيًا في العهد البيزنطيّ، احتلّها كسرى الأوّل ٥٤٠، استولى عليها الصليبيّون، استرجعها نور الدين زنكي ١١٣٩، بالقرب منها قلعة المضيق التاريخيّة.

وفي تاريخ أبو الفداء أنّ هؤلاء العرب هم الذين احتاطوا بجبال اللاذقيّة من كلّ أطرافها، وغلّوا فيها ولا شكّ، لاستثمارها والحياة فيها.

ويقول الباحث نفسه إنّ الهجرة الجماعيّة الثانية للعلويّين إلى ديارهم جاءت مع الفتح الإسلاميّ، إذ إنّ البيزنط قد رحلوا عن البلاد، فاعتاض الخلفاء العرب عنهم بعرب أتوا بهم من البادية وأطراف الشام، ولحق كثير من القبائل العربيّة بالعرب الفاتحين في بلاد الشام، وقد طاب لهم المقام في جبال اللاذقيّة النضيرة وعلى الشواطئ بالقرب من مياه الأنهر وعيون المياه، فتناسلوا هناك، ونسوا مواطنهم الأصليّة، ولا يزال فيهم اليوم مَن يحمل أسماء عشائره القديمة، كالمهالبة الأزديّين، والجهنيّين الطائيّين، حتّى أنّ بعض العلويّين لا يزالون ينتسبون للأوس والخزرج الأنصاريّين، الذين هبطوا البلاد أثناء الفتح العربيّ الإسلاميّ. ويستشهد الباحث بما جاء في كتاب فتوح البلدان من أنّ "أبا عبيدة افتتح اللاذقيّة وجبلة وأنطرطوس[1] على يدي عبادة بن الصامت، وكان يوكل بها حفَظة إلى انغلاق البحر، فلمّا كانت شحنة معاوية السواحل، وتحصينه إيّاها، شحنها وحصّنها... وإنّ معاوية كتب إلى عمر بن الخطّاب يصف له حال السواحل (الشامية) فأجابه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة (أي العرب) فيها، وإقامة الحرس على مناظرها... ثمّ إنّ الناس بعد ذلك انتقلوا إلى السواحل من كلّ ناحية... ولمّا استخلف عثمان بن عفّان كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها، وإقطاع من ينزله إيّاها القطائع ففعل. وأنشأ معاوية مدينة جبلة وكانت حصنًا للروم جلوا عنه، وبنى لها حصنًا خارجًا من الحصن الروميّ، وبنى أيضًا أنطرطوس[1] ومصّرها، وأقطع بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبانياس"[2].

---

١ ـ لعلّ المقصود بـ"أنطرطوس" "طرسوس".

٢ ـ البلاذري، فتوح البلدان، طبعة مصر (القاهرة،١٩٣٢) ص١٣٤ ـ ١٤٠.

أمّا الهجرة الجماعيّة الثالثة لجدود العلويّين إلى موطنهم، فقد جعلها الباحث[1] على مراحل، وفي أوقات مختلفة، حيث هاجر العراقيّون في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجري، إلى جبال العلويّين هذه، واستوطنوها. ويقول إنّه جاء في كتب العلويّين أنّ العشيرة البغداديّة المعروفة اليوم بالخياطيّة، قد ظهر جدّها السيّد عيسى الملقّب بالبانياسي، نسبة إلى بانياس الشام، التي سكنها في الأربعمائة للهجرة، ومن هناك رحلت ذريّته إلى جبلة... ثمّ تبعتها أسرة حلبيّة واندمجت بها بداعي أنّها فرع منها، وأنّ أسرة السيّد محمّد العاني، الملقّب بالمنتحب العراقيّ الذي وُلد في سنة ٤٣٩هـ رحلت إلى جبال العلويّين واستوطنتها. ويردّ الباحث هنا سبب هجرة بعض أهل العراق إلى جملة وقائع ممّا شهدته الحالة في العراق وبلاد الشام في القرنَين الرابع والخامس الهجريَّين، إذ سادت الفوضى بسبب تنازع القوّاد والرؤساء غير العرب الإمارة في بغداد ولم يكن بيد الخليفة إلاّ إعطاء لقب الإمارة للغالب، بعد ضعف سلطان العرب في العراق وقيام القوّاد الشعوبيّين بالإخلال بالنظام، وقتلهم الخلفاء والأمراء العرب، واعتدائهم على أموال الناس وأعراضهم[٢].

ثمّ ينتقل الباحث إلى الهجرة الرابعة للعلويّين إلى ديارهم فيقول إنّها كانت في زمن الأمير حسن بن مكزون، وبحسب كتب العلويّين، فإنّها كانت في سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، وذلك لأجل نصرة أبناء مذهبهم في جبال العلويّين. ويضع لذلك جملة أسباب. واعتبر أنّ عشائر المتاورة والكلبيّة والحدّادين في الجبل العلويّ يعتقدون أنّهم أبناء هذه الهجرة. كما أنّ أسرًا كثيرة كانت تقطن في أطراف الشام والعراق قد رحلت

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٧.

٢ ـ راجع: الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٧ ـ ٢١.

في تلك الحقبة إلى الجبل العلويّ بصورة متفرّقة، للاحتماء في مواقعه المنيعة وبأبناء طائفتهم الكثيرين هناك. وقد بيّن الباحث أنّ الحكّام الشعوبيّين هم الذين أضعفوا البلاد، ما جعل الفرنج يطمعون بها، فنكبت بهم وبالفرنج معًا. وأنّ السيّئات التي أصابت العلويّين مصدرها من غير أبناء جلدتهم العرب، الذين كانت النكبة عليهم آنئذ أشد، لأنّهم كانوا أكثريّة، وكانوا أصحاب السلطان، والعدوّ يقول بقطع الرأس أوّلاً[1].

وفي الإطار نفسه، جاء أنّ الهجرة الجماعيّة الخامسة للعلويّين إلى جبالهم حصلت في سنة ١٣٠٥م، عندما أمر السلطان محمّد بن قلاوون المملوكيّ رجاله في سوريا بتسيير حملة عسكريّة عظيمة إلى جبال كسروان في لبنان للمرّة الثالثة، لإبادة طوائف الشيعة هناك، بعد أن هاجمهم المماليك بجيوش جرّارة تواقعت معهم عند عين صنّين، فانهزم المماليك على الرغم من قلّة عدد المحاربين الكسروانيّين. غير أنّ هذا الانتصار، ما لبثت نتائجه أن عادت على الكسروانيّين بالويل. فلقد شن السلطانّ محمّد ابن المنصور حملة هائلة سنة ١٣٠٥، قوامها مائة وخمسون ألف جنديّ مهمّتهم إبادة الكسروانيّين. فقد توجّه أقوش الإفرام نائب دمشق بهذه الجيوش الى جبال كسروان والمتن، وعاونه في الحصار من سائر الجهات سيف الدين إسندمر نائب طرابلس، وشمس الدين سنقرجاه المنصوري نائب صفد، فقُتل من الكسروانيّين والمتنيّين خلق كثير وقُطعت كرومهم وتخرّبت بيوتهم وتفرّقوا في البلاد. وكان من الدروز عشرة آلاف محارب بقيادة عشرة من أمرائهم، فكُسروا في تلك المعركة، واحتموا في غار غربي كسروان، فأمر نائب دمشق آقش ببناء سدّ من الحجر والكلس على مدخل الغار فبناه جنوده، وهالوا عليه التراب، وجعل الأمير قطلوبك حارسًا عليهم مدّة ٤٠ يومًا

---

١ - راجع: الإبراهيم، العلويون، مرجع سابق، ص٢١ـ ٢٨.

حتّى هلكوا داخل الغار[١]. ومن جملة مَن فُتك بهم يومذاك، العرب العلويّون الذين كانوا في جبال لبنان، ولا سيّما في المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون، وعكّار والضنيّة. ويقول ابن الوردي: "أحاطت عساكر الشام بجبال الظنيّين المنيعة، وكانوا عصاة مارقين، وترجّلوا عن الخيل، وصعدوا في تلك الجبال من كلّ جانب، وقتلوا وأسروا جميع مَن فيها ..."[٢].

ثمّ امتدّوا إلى كسروان قبل سنة ١٣٠٥م، وكانوا أشدّاء يساعدون إخوانهم في وادي التيم ومرجعيون[٣]. وإنّ الذين تخلّصوا من الموت من هؤلاء، رحلوا إلى الشمال، أي إلى جهات اللاذقيّة وأنطاكية، واعتصموا في جبالهم، وبقي قليل منهم في لبنان[٤]. أمّا المتاورة فقد تشتّتوا في أطراف لبنان.

أمّا الهجرة السادسة الجماعيّة إلى جبال العلويّين، بحسب البحث السابق، فقد حصلت على أثر انتصار السلطان سليم العثمانيّ على المماليك في معركة مرج دابق سنة ١٥١٦، إذ إنّ كثيرًا من الشيعيّين الذين كانوا في حلب وأطرافها، هربوا إلى جبال اللاذقيّة، لأنّ السلطان قد فتك بمَن أدرك منهم، كما أنّ بعض الجنود العرب الذين كانوا تجمّعوا في مرج دابق، وخاصّة الذين رافقوا سلطان المماليك قانصو الغوري، لجأوا إلى تلك الجبال وتكنّوا بالمحارزة نسبة إلى بني محرز[٥].

---

١ ـ بن يحيى صالح، تاريخ بيروت، المطبعة الكاثوليكيّة (بيروت،١٩٧٠)؛ الدبس المطران يوسف، الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل، ص٢٢٢ ـ ٢٢٥، نقلا عن إبن الحرير وإبن سباط.

٢ ـ لم يحدّد ابن الوردي مكان وجود هذه الجبال، وواضح أنّ المقصود بجبال الظنيّين هو جبل الضنّيّة، أو الظنّيّة الواقع إلى الشمال من بشرّي، والراجح أنّ إسم "الظنيّة" قد أُطلق على عدد من الفرق الباطنيّة، وبخاصّة الإسماعيليّة التي ربّما سكنت هذا الجبل زمنًا فنُسب إليها.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٢٩.

٤ ـ المرجع السابق عن: المعلوف عيسى اسكندر، دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، المطبعة العثمانيّة (بعبدا،١٩٠٧) ص١٥٨.

٥ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٢٩ ـ ٣٠.

ويخلص الباحث إلى القول بأنّ المسلم العلويّ إذًا، عربيّ بدمه ولغته وعقليّته وعاداته. ذلك أنّ هؤلاء العرب الذين تجمّعوا في جبال اللاذقيّة، قد شيّدوا هناك كيانًا عربيّ القوميّة، علويّ المذهب، فتمكّنوا من ردّ غارات الحكّام غير العرب عنهم عدّة أجيال، ورغم ما لحقهم من الضغط والأذى، ورغم عزلتهم التي أبقتهم جهلاء، فإنّهم حافظوا على طابعهم العربيّ ولغتهم العربيّة، ولا يزال إلى اليوم في قرى تلك الجبال من يتكلّم بالكلمات العربيّة الفصيحة. ونقل عن "العلاّمة الجليل الأستاذ محمّد كرد علي" قوله: "وما زالت إلى اليوم سحنات بعض سكّان الأصقاع الشاميّة، كحوران والبلقاء، تنمّ عن أصول عربيّة صرفة، على ما ترى ذلك ماثلاً في الطوائف التي احتفظت بأنسابها العربيّة ولم يدخلها دم جديد، كسكّان الشوف ووادي التيم وجبل حوران وجبال الكلبيّة (أي جبال اللاذقيّة). وما طول القامات، واتّساع الصدور، ومتانة العضلات، والجملة العصبيّة والأدمغة في الجماعات، كما في الأفراد، إلاّ أدلّة ناصعة على ما ورثه أبناء البلاد من الدم العربيّ"[1].

مِن ماضِي

التّقاليـــد

إنّ العادات والتقاليد التي نتناولها في هذا الباب قد أصبح جلّها من الماضي. ولم يعد من أكثرها سوى لمحات فولكلوريّة، إذ أصبح المجتمع العلويّ اليوم مندمجًا في سائر المجتمعات الحضاريّة التي تتألّف منها مجتمعات سوريا والمناطق المحيطة بها.

---

١ ـ كرد علي محمّد، خطط الشام، (دمشق،١٩٢٥) ١: ٧١.

لا يختلف المجتمع العلويّ في تقاليده عن باقي المجتمعات العربيّة، إذ كان قوام المجتمع ثلاث طبقات: الوجهاء السياسيّين، والرؤساء الدينيّين، وعامّة الشعب، أو: الزعماء، والمشايخ، والفلاّحين. أمّا المشايخ رجال الدين فهم القيّمون وحدهم على الدين، وهم العارفون به، يحترمهم الأشراف والفلاّحون احترامًا بالغًا، ويؤدّون لهم حقوقهم كاملة. وكان لكلّ رئيس من رؤساء العلويّين "مضيفة" أو "منزول"، يستقبل فيها ضيوفه، ويجتمع إلى رجال عشيرته. وكان له القول، وعليهم العمل. وهو الذي كان ينظر في الخلافات التي تقع بين أفراد العشيرة، حقوقيّة أم جزائيّة، فيجتمع الطرفان المتداعيان أمامه، ويحقّق في الدعوى كحاكم، وأحكامه نافذة. وكان للرئيس رجال في عشيرته، يخصّهم بعطفه ويقدمهم على سواهم... وكان لرؤساء العلويّين عادة جمع المال من رجال العشيرة كجعل سنويّ يتناسب مع قوّة العشيرة وحاجة الرئيس. وهذا المال قد يكون ضروريًا للرئيس، لإنفاقه على "منزوله"، وفي سبيل العشيرة.

والعلويّون، إجمالاً، معروفون بكرمهم وحسن ضيافتهم، رغم فقرهم في بعض الأحيان.

وكما درجت العادة عند العرب، فالصغير كان يقبّل يد الكبير.

وكان زيّ العلويّين ملوّنًا مزركشًا على العموم، وهو يتنوّع بالنسبة إلى طبقاتهم. فرجال الدين يتعمّمون بعمامة بيضاء على طربوش مغربيّ أو سدريّ، أو يسترون طربوشهم السوريّ بكوفيّة بيضاء بدون عمامة. وسائر الرجال يستعملون الكوفيّة والعقال الأسود. ويلبسون القنباز، وعليه السترة والصدارة. وبعضهم يلبس الطربوش، وبعضهم يلفّ على طربوشه، أو لبّادته، قطعة من القماش، ويلبس سروالاً أبيض، وقميصًا أبيض إلى ركبته، وعليه عباءة قصيرة مقلّمة. أمّا زينة الرجل العلويّ القرويّ

فهي عبارة عن قميص ملوّن، بارز من بين الصدار، وزهور توضع سوقها بين العقال والكوفيّة حول طرف الرأس.

وكانت النساء تتحلّى بصفٍ من القطع الذهبيّة تطوّق به رأسها من الأمام، أو تربط بعض قطع ذهبيّة في أعلى جبينها، وعقدًا من القطع الذهبيّة أو الذهب المصاغ حول جيدها. والفقيرات يكتفين بعقد من الخرز الملوّن. والقرط الذهبيّ من ضروريّات الزينة عند العلويّة، وكذلك الخواتم الذهبيّة أو الفضيّة أو النحاسيّة والأساور الفضيّة والزجاجيّة. وأكثر العلويّات يتكحّلن ويتعطّرن في أيّام الأفراح والأعياد. أمّا شعرهنّ فإنّهن يحتفظن به ويضفرنه عدة ضفائر ويرسلنه على ظهورهنّ، وبعضهنّ يربطن في منتهى الضفائر قطعًا من الذهب، ويتركن سوالفهنّ لتغطية آذانهن، وخصلتَين من الشعر لستر طرفَي جباتهنّ.

كان طعام العلويّين القرويّين يميل إلى البساطة والتقشّف. فكانوا يضعونه في طبق من القش على الأرض ويجلسون حوله متربّعين، ويأكلون بأيديهم، وعادة ما يكون مؤلفًا من البرغل والعدس والحمّص، ومن بيض الدجاج المقليّ أو المسلوق، ومن اللبن الخاثر، والمتبّلات، والشنكليش، وأحيانًا من لحم الغنم. والعلويّون لا يأكلون لحوم أنثى الحيوان، ولا الأرنب، ولا السمك المسمّى بالسلّور، ولا لحم الجمال، ولا الحنكليس.

المهر والزواج

كان العلويّون في السابق يحرمون المرأة ميراثها، ويساوم أولياؤها الخاطب على المهر، ويقبض الوالي "حقوق المرأة". وكان عندهم عادة نذر البنات، أي أنّه عندما يقع الوالد والوالدة، أو أحد أولادهما الذكور أو البنت نفسها بمرض، ينذر الوالدان مهر

ابنتهما أو قسمًا منه إلى مزار عظيم، والأكثر إلى الخضر (ع)، فإذا حان وقت زواج المنذورة، يجتمع رجال الدين، ويقترعون على مقدار مهرها[1].

الأعياد

يعيّد المسلمون العلويّون مثل سائر المسلمين في عيد الفطر، وعيد الأضحى، ومن أعيادهم الشيعيّة "عيد الغدير"، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، يوم استخلف رسول اللّه ﷺ وقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه". ولهم أيّام أعياد تاريخيّة غير عيد الغدير منها:

أ ـ يوم المباهلة: يقع في ٢١ ذي الحجة، وهو يوم قدوم وفد نصارى نجران على المدينة، بقصد مباهلة النبي وأهل بيته صلوات اللّه عليهم، وفيهم علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وقد طرح النبي ﷺ عليهم رداءه ونزل في هذا اليوم قوله الحقّ سبحانه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]. وبعض العلويّين يُطعمون في هذا اليوم الفقراء ويُحسنون إليهم.

ب ـ يوم الفراش: وهو يوم هجرة النبي ﷺ إلى مكّة، والتجاؤه إلى غار حراء، ومبيت علي عليه السلام في فراشه، فحسبه كفار قريش نائمًا، وقد تسنّى له ﷺ أن ينجو منهم.

جـ ـ ليلة النصف من شعبان: وهذه الليلة محترمة عند جميع الطوائف الاسلاميّة، والعلويّون يحيونها بالصلاة والدعاء، والإطعام والزكاة.

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٢٠٩.

٢ ـ آل عمران: ٦١.

د ـ يوم عاشوراء: وهو يقع في العاشر من المحرّم وهو يوم استشهاد سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء العراق، وهو يوم الأحزان الأكبر، فلا يتزوّج فيه العلويّ ولا تُقام فيه الأفراح، ولا تُغسل الملابس وتكثر فيه العبادات، والطاعات، والصلوات، والزكوات والإطعام، والصدقات[1].

وأمّا الأيام التي تسرّبت إليهم من مجاوريهم وهي إلى زوال فهي:

أ ـ يوم الميلاد: وهو يقع في رأس السنة الشرقيّة، وفيه يحتفل النصارى بميلاد المسيح (ع) ونرجّح أنه قد تسرّب إليهم من مجاوريهم المسيحيّين الأرثذوكس، بمرور الزمن، وفيه يذبح بعضهم الذبائح ويتزاورون، عِلمًا بأنّ هذا العيد ليس له ذكر في المذهب العلويّ وهو محصور في الشمال.

ب ـ عيد الزهور: وهو يقع في الرابع من نيسان (إبريل) شرقيّ، وهو يقابل النيروز عند العجم الفرس والأكراد، والأرجح أنّه جاء من الفرس، في زمن الدولة البويهيّة الشيعيّة في العراق.

ج ـ يوم الصليب: ويقع في ١٤ أيلول (سبتمبر) شرقيّ، وهو عيد نصرانيّ تسرّب إلى العلويّين في الأرجح من الجوار، والعلويّون يجعلون منه تاريخًا لأجور رعاة الماشية، والزارع، وقطف الأثمار، والبدء بالزراعة فقط، والشراء من المعارض التي تقام في كلّ سنة في "دير الحميراء تيلكلخ" وفي "دير مار الياس" صافيتا حيث يذهب العلويّون لشراء لوازمهم من هناك، ولا دخل لهذا اليوم في المذهب العلويّ البتّة.

د ـ يوم البربارة: ويقع في ٣ كانون الأول (ديسمبر) الشرقيّ، وهو لا دخل له في أصول المذهب العلويّ، وإنّما الراجح أنّه تسرّب إليهم من المسيحيّين المجاورين، وقد

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

اتّخذ العلويّون منه عـادة الذبـح، وهـذا العيـد محصـور فـي الجهـة الشّـماليّة فـي الجبـل العلويّ.

والحقّ أنّ هذه الأعياد ليس لها احترام عند جميع المسلمين العلويّين، بـل هـي فـي بعض المناطق، وقد زالت بنسبة ٩٥ في المئة، وهي ليست من أصول المذهب[1].

القبُـــــور
والمَزَارَات
والنُّـــذُور

يقول الشيخ عزيز الإبراهيم في كتابه "العلويّون في دائرة الضـوء": زيـارة القبـور للعبرة وطلب الرَّحمة لأصحابها وتذكّر الآخـرة، هـي مـن المسـتحبّات، وأمّـا أن يكـون المقصود من الزيارة، ما خلا قبور الأنبياء والأئمـة (ع)، الشـفاء مـن المـرض، وتقبّـل النذور والزكوات لبعض المتمشيخين الجهلة، فهو الشـرك بعينـه. يقـول الإمـام الرضـا (ع): "لا تشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلاّ إلى قبورنا"[2].

ويضيـف: "الحـقّ أن لا وسـاطة بيـن اللّـه وبيـن عبـاده، ولا سـيما الذيـن يتـأكلون بالباطل من تجّار الأديان، وأنّ اللّه يطلب من عباده أن يخاطبوه مباشرة، بـلا واسـطة. قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3]. ومن العجيب أنّ بعض المشائخ يقدمون على بناء

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٢١٩؛ وسائل الشيعة، ج٥، أبواب المزار.

٣ ـ من الآية ٦٠ من سورة غافر.

قباب لهم وهم أحياء، وهذا من قوت الكادحين من فقراء ومساكين، ويريدون من ذلك أن يزورهم العوام بعد موتهم ويقدّموا لهم النذور، ويقبّلوا الحجارة، ويحوّلوا قبورهم إلى أصنام جاهليّة. ممّا دعا الشرع الإسلاميّ إلى هدمه، العلوّ في الأرض، قال اللّه تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. والأدهى والأنكى أن نرى أنّ الذين يبنون القباب ليسوا من المتحمّسين للمساجد وإعمارها، وإقامة الصلوات فيها، وفيهم يقول اللّه سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ منَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] ويقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[3].

---

١ ـ القصص: ٨٣.

٢ ـ البقرة: ١١٤.

٣ ـ التوبة: ١٧ ـ ١٨.

الفَصلُ الثَّاني

في نسبتهم النُّصَيريَّة

إجتِهادات؛ الإمَــامُ العَسْكَريّ؛ ألـ"بــاب"؛ مِن ابن نُصَير إلى الخُصَيبي؛

الحُسَين بن حَمدان الخُصَيبي؛ الطريقـة الجنبلانية؛

أبو سَعيد سرُور الميمُــــون.

إجتهادات

إنّ إسم العلويّين، ومفردها علويّ، هو أصلاً نسبة إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقد أُطلقت هذه النسبة على شيعة عليّ عليه السلام منذ القديم. وغالبًا ما سُمّي الشيعة، على كافّة مذاهبهم، في المدوّنات القديمة، بالعلويّين. غير أنّ تعدّد المذاهب الشيعيّة قد أوجب فرزها في تسميات مختلفة، فكانت تلك التسميات تُنسب إلى إمام أو معتقد أو طريقة...

بقي العلويّون يُعرفون بالعلويّين إلى أن أُطلقت عليهم تسمية "النصيريّة" أو "النصيريّين". وقد تعدّدت الاجتهادات حول أصل هذه التسمية وكثرت وتشعّبت حتّى أصبح من المحال معرفة الاجتهاد الأصدق من بينها. غير أنّ المنطق والتجرّد والتعمّق في البحث، وسائل من شأنها أن تنير الأذهان الباحثة عن الحقيقة. آخذين بعين الاعتبار ما تعرّض له المذهب العلويّ من افتراءات مغرضة من قِبَل خصومه الكثر عبر الأزمنة، فلم يكتفوا بما ألحقوه بهم عن طريق الاضطهاد الماديّ في العهود المتلاحقة، بل وكأنّهم أرادوا أن يبرّروا تلك الاضطهادات باتّهامات بعيدة عن المنطق والعقل. وليس هذا الأمر فريدًا في التاريخ، فكثير من المذاهب الإسلاميّة والمسيحيّة قد تعرّضت لمثل هذه الإفتراءات من قِبَل بعض الكتّاب المغرضين، في عصور كانت فيها الكتابة وقفًا على الميسورين وأصحاب السلطة، وكان المقهورون بعيدين عن كافّة إمكانات تبيان الحقائق.

تحدّث البحّاثون عن كتاب اسمه "كتاب المجموع" للخصيبي[1]، وهو مؤلّف من ستّ عشرة سورة، ورد فيه انتساب النصيريّين إلى ابن نصير، "باب" الإمام العسكريّ. وقد جاء فيه: "ومن محمّد بن نصير، أقام النسب والدين"[2]. كما جاء: "إنّي نصيريّ الدين، جندبيّ الرأي، جنبلانيّ الطريقة، خصيبيّ المذهب، جليّ المقال، ميمونيّ الفقه"[3].

إلاّ أنّ هنالك العديد من الاجتهادات التي تناقض هذا التفسير في ما يختصّ بنسبة العلويّين النصيريّة. إذ لا يوافق فريق من المؤرّخين على ردّ تسمية العلويين "بالنصيرية" إلى محمّد بن نصير، وحجّتهم في ذلك أنّ الشهرستاني الذي هو أوّل من ذكر اسم "النصيريّة" وتحدّث عنها، لم ينسبها إلى محمّد بن نصير، ولا إلى شخص بعينه، وهو في حديثه عن الفرق الإسلاميّة لم يدَع فرقة إلاّ ونسبها إلى شخص، وذكر اسمه ونتفاً من أخباره. أضف إلى ذلك أنّ محمّد بن نصير، كما تذكر كتب التراجم، توفّي حوالي سنة ٣٥٩ هـ/ ٩٦٩م[4]، بينما اصطلاح "نصيريّة" لم يظهر إلاّ بعد مرور

---

١ ـ وردت الاشارة إلى هذا الكتاب في: "كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة" لسليمان أفندي الأذنيّ (بيروت،١٨٦٣)؛ DUSSAUD R., *HISTOIRE ET RELIGION DES NOSAIRIS,* LIB. E. BOUILLON (PARIS,1900) P.213 ; SALISHARY E., *THE BOOK OF SULAIMAN'S FIRST RIPE FRUIT, DISCLOSING THE MYSTERIES OF THE NUSAIRIAN RELIGION...,* IN JOURNAL OF THE AMERICAN ORIENTAL SOCIETY, T.VIII, P. 227- 308; هذه المراجع بالاستناد إلى الحريري، العلويّون النصيريّون، ص٣٠، ٢٦١، ٢٦٤.

٢ ـ الخصيبي، كتاب المجموع، السورة ٤، عنوانها: النسبة.

٣ ـ الخصيبي، كتاب المجموع، السورة ١١، عنوانها: الشهادة.

٤ ـ يبدو لنا أنّ تاريخ الوفاة هذا خاطئ، ذلك أنّ وفاة الإمام العسكري الذي كان بن نصير بابه، قد حصلت سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، فلا يُعقل بالتالي أن يكون بن نصير قد عاش أكثر من مائة عام بعد ذلك التاريخ. وقد ذكر بعض المراجع أنّ وفاة بن نصير قد حدثت في نفس السنة التي توفّي فيها الإمام العسكري، أي سنة ٨٧٣م. (راجع: المنجد في الإعلام، دار المشرق (بيروت،١٩٧٦) ص٧١٠، إلاّ أنّ المراجع التي بين يدينا لا تؤكّد هذا التاريخ، بل يذكر أكثرها أنّه انتقل من العراق إلى سوريا بعد وفاة الإمام العسكري ولم يعد يُعرف عنه شيء.

نيّف ومائتي سنة على هذا التاريخ على ما يرى البعض، ويرى فريق من المؤرخين أنّ أتباع محمد بن نصير يسمّون "بالنميريّة" على ما ذكر النوبختي المتوفّي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م[١].

وقد ردّ بعضهم لقب النصيريّة إلى "نصير، غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام"[٢]. بيد أنّ باحثين قد اعتبروا أنّ القول مردود، "لأنّ الأرجح أنّ الإمام عليه السلام لم يكن له غلام يسمّى نصَيرًا"[٣].

وردّ سواهم الإسم إلى "النصارى" فاعتبر أنّ تسمية "النّصيريّة" جاءت من قِبَل أعداء هذه الطائفة الذين سمّوهم بالنصيريّة بمعنى "النصارى الصّغار"[٤]. وذهبت الإجتهادات أحيانًا إلى تفسير الإسم بأنّه يعني النّصر والفلاح[٥]. ومن الآراء المطروحة رأي يعزو هذا اللقب إلى "تغلّب اسم الجبل على هذه الفئة"[٦]. والمقصود بالجبل "جبل النصيريّة"، ويرى باحثون أنّ هذا الرأي قريب جدًّا إلى الصواب، ذلك أنّ المؤرّخين الصليبيّين أطلقوا على هذا الجبل اسم Nazarie والذي يبدو أنّ هذا الإسم قد حُرّف إلى

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣١.

٢ ـ طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، ص ١٩٩ بالاستناد إلى: الشيخ نصر الدين محمّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الأفغاني السنجاري المتوفّي سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١م في كتابه: "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد"؛ أبو الفداء في CHRONIQUE ARABE, ED. BEYROUTH, P. 232.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣٢.

٤ ـ الحريري، العلويّون النصيريّون، ص٢٩، بالاستناد إلى: WOLFF, *CATÉHISME DES NOSAIRIS* Z. D. M. G. III; RENAN, *MISSION DE PHÉNICIE*, P. 114.

٥ ـ الحريري، العلويّون النصيريّون، ص ٢٩، بالاستناد إلى: RITTER, ERDKUNDE, XVII, ٩٧٩, ٩٩٣; CITÉ: PAR. DUSSAUD DANS SON *HIST. ET RELIGION DES NOSAIRIS*, P. 9.

٦ ـ كرد عليّ محمّد، خطط الشام (دمشق،١٩٢٥).

نصيريّة[1]، على أنّ الذي يعزّز من القناعة بهذا الرأي، هو أنّ إطلاق اسم نصيريّة على هذا الجبل، لم يظهر إلاّ أثناء الحملات الصليبيّة، أي بعد عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م، إذ كان الإسم الشائع لهذا الجبل، قبل هذا التاريخ، هو جبل اللكام، كما ورد آنفًا. ويعزّز القائلون بهذا الرأي نظريّتهم بأنّ الإصطخري يقول في كتاب الأقاليم: "وكورة الشام هي من حدّ فلسطين، وحدّ الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرَين. وجبل اللكام داخل في بلد الروم... ويظهر في بلاد الإسلام من مرعش، والهارونيّة وعين زربة، فيُسمّى لكام إلى أن يجاوز اللاذقيّة". ويضيف هؤلاء أنّه "إذا كانت الحروب الصليبيّة بدأت سنة ٤٨٨هـ. وانتهت سنة ٦٩٠هـ، وإذا كان الشهرستاني وُلد سنة ٤٦٩هـ وتوفّي سنة ٥٤٨هـ، كان معنى ذلك أنّ اسم "نصيريّة" قد تغلّب على اسم الجبل في زمن الشهرستاني". ويقول بعضهم أنّ السبب في تسمية الجبل بجبل النصيريّة هو نسبة إلى جماعة جاءت من المدينة وكان إسمها "نصرة" ومن ثم سمّيت الجبال التي فتحوها وسكنوها باسمهم. وبحسب أصحاب هذا الرأي، فإنّ سبب تسمية العلويّين بالنصيريّة، هو أنّهم سكنوا حقبة من الزمن، يوم اشتدّت وطأة الظلم عليهم، جبل النصيريّة في سوريا، فسمّاهم أعداؤهم تحقيرًا بذلك الإسم[2].

ويتحدّث باحثون عن زعم قوم من الناس بأنّ لقب النصيريّة مشتقّ من كلمة "أنصار"، حيث أنّ الذين سكنوا هذه المناطق، "بعد فرارهم من الجور والظلم العثمانيّ

---

١ ـ ترجع أسباب تسمية الجبل "NAZARIE" على ما يرى البعض، إلى وجود الطائفة الإسماعيليّة النزاريّة في أماكن معيّنة منه كمصياف وقدموس وسلمية وإلى الدور الهام الذي لعبته مصياف، منذ أن انتزعها الإسماعيليّون من بني منقذ سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م، وكذلك إلى الدور الهام الذي قام به شيخ الجبل سنان راشد الدين زعيم الطائفة الإسماعيليّة النزاريّة في مصياف، وفدائيّوه أثناء الحروب الصليبيّة، ممّا جعل اسم هذه الطائفة على كلّ شفة ولسان.

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣٢.

والتركيّ، هم أحفاد أولئك الذين نصروا الرسول الكريم محمّدًا ﷺ، وأعلنوا تشيّعهم وولاءهم لأمير المؤمنين عليه السلام، ولمّا فتحت جهات بعلبك وحمص طلب أبو عبيدة نجدة، أتاه من العراق خالد بن الوليد، ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين، وهم ممّن حضروا بيعة "غدير خم" وهم من الأنصار، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين مجاهدًا"[1].

على أيّ حال، يخلص الباحثون العلويّون إلى أنّ "النصيريّة" ما هي سوى لقبٍ أُطلق عليهم في زمن غير محدّد تمامًا، أمّا اسمهم الذي كان معتمدًا منذ القديم، فهو العلويّون، نسبة إلى مشايعتهم الإمام عليّ عليه السلام وفي ذلك يقول باحثون[2]: "إنّ "العلوية"، وليس "النصيرية"، مذهب إسلاميّ صريح، إنّها مدرسة متفرّعة من المذهب الإماميّ الكبير، ثم شاعت لهم بعض الظروف، أو بالأحرى شاعت لبعضهم الظروف أن يبتعد قليلاً"...

ويقول باحث آخر[3]: "الحقّ أنّ العلويّين فرقة من الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة الجعفريّة، وإن كانت عند بعض العلويّين اتّخذت سبيلاً آخر، بعد الإمام الثاني عشر محمّد بن الحسن الحجة، وبيان الأمر عندهم أنّه كان لكل إمام باب، وكان أوّل باب سلمان الفارسيّ الذي يحتلّ مكانًا رفيعًا عند جميع الشيعة، لأنّه كان بابًا للإمام علي عليه السلام. وآخر الأبواب عندهم هو أبو شعيب محمّد بن نصير البصريّ النميريّ، فقد كان بابًا للإمام الحادي عشر الحسن العسكريّ. والعلويّون يرون أنّ الأئمة هم أوصياء الرسول ﷺ ولذلك اتّبعوا الأثر، باتّخاذ باب لكلّ منهم.

---

١ ـ الطويل محمّد أمين غالب، تاريخ العلويّين، دار الأندلس، ط ٢ (بيروت،١٩٦٦) ص١٤٨.

٢ ـ الشكعة د. مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصريّة اللبنانيّة، ط٧ (١٩٨٩) ص٣٠٢.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣٤.

من هذه الاجتهادات حول لقب "النصيريّة" الذي أُطلق على العلويّين، يظهر أنّ الأقرب إلى المنطق، هو ذلك القائل بأنّه نسبة إلى محمّد بن نصير النميريّ، "باب" الإمام الحادي عشر: الحسن بن الهادي العسكريّ المتوفّي سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م.

الإمَـــامُ العَسْكَريّ

عند وفاة الإمام العاشر: عليّ الهادي، سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م، كان له ولدان هما: الحسن، وجعفر[١]. وكان من الطبيعيّ أن تؤول الإمامة، بعد وفاته، إلى ابنه البكر: الحسن.

كان عمر الحسن يومذاك ثلاثًا وعشرين سنة. فهو قد وُلد بالمدينة سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م، وجاء سامرّاء مع أبيه حين استدعاه المتوكّل[٢]، وسكن وإيّاه في محلّة تُعرف بالعسكر، لذلك لُقّب بالعسكريّ.

بدأ الإمام الشيعيّ الحادي عشر إمامته في وقت كانت الدولة الإسلاميّة بحالة غير مستقرّة. فالمرتزقة، من الأتراك وسواهم، الذين استقدمهم العبّاسيّون في الأساس، ليشكّلوا حرس الخلافة، "كانوا قد غدوا أشدّ نفوذًا من الخليفة نفسه، واستطاعوا، بين

---

١ ـ اليعقوبي، طبعة دار صادر (بيروت، لا.ت.) ٢: ٥٠٣.

٢ ـ **المتوكّل على الله** (٢٠٦ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٢١ ـ ٨٦١م): هو جعفر بن محمّد المعتصم، الخليفة العبّاسيّ العاشر (٢٣٢هـ/ ٨٤٧م)، إبن المعتصم من جارية فارسيّة، حارب المعتزلة، حاول نقل عاصمته إلى دمشق غير أنّه عاد إلى سامرّاء حيث اغتاله القادة الأتراك بالاشتراك مع ابنه الأكبر المنتصر، كان موته بداية انحطاط الخلافة العبّاسيّة.

الحين والحين، أن يحملوا الخليفة صاغرًا على ما يشاؤون"[1]. حتّى إنّ عددًا من الخلفاء العبّاسيّين قد اضطر إلى الهرب منهم، ونادرًا ما تمكّن هؤلاء الخلفاء من النجاة من بطش الأتراك الذين أصبحوا قادرين على اغتيال الخليفة الذي لا يعمل بإرادتهم وعلى أن يستبدلوا به مَن يلائم هواهم من بني العبّاس. ولم يعد هؤلاء الأتراك يخشون سوى نفوذ أبناء سلالة الرسولﷺ، أي، أحفاد عليّ عليه السلام وفاطمة، وبخاصّة أولئك الأئمّة منهم، فلم يبقَ سوى هؤلاء ممّن بوسعه أن يشكّل خطرًا على سلطتهم، وهم المرتزقة الذين لا يستندون في سلطتهم إلى أيّة شرعيّة دينيّة[2].

في الوقت نفسه، شاع بين الناس ما زاد في قلق العسكر التركيّ: "سيكون للإمام الحادي عشر ابن، هو المهديّ، الذي سيقود البشريّة عبر الطريق الصحيح نحو رحمة الله وجنّته"[3]. وذلك استنادًا إلى أحاديث منسوبةٍ إلى الرسول ﷺ، منها ما رواه الترمذيّ[4]، وأبو داود[5]، من رواية أمّ مسلمة: "لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي"؛ ومنها الحديث الذي رواه ابن مسعود[6]: "لو لم يبقَ

١ ـ حتّي د. فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ٢: ١٨٥.

٢ ـ راجع: كونسلمان غرهارد، سطوع نجم الشيعة، الترجمة العربيّة، نشر مدبولي (القاهرة،١٩٩٢) ص١٠٣ ـ ١٠٤.

٣ ـ المرجع السابق.

٤ ـ **الترمذيّ محمّد بن عيسى** (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ / ٨٢٤ ـ ٨٩٢ م): إمام ومحدّث، كانت له رحلات واسعة في خراسان والعراق والحجاز في طلب الحديث، وله في ذلك كتاب "الجامع الصحيح" أو "السنن"، يمتاز بملاحظاته النقديّة على رجال الإسناد وتبيينه مواضع الخلاف بين المذاهب، من كتبه: "العلل"، "الشمائل النبويّة".

٥ ـ **أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني** (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م): إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، استقرّ في البصرة وتوفّي فيها، رحل وجمّع وصنّف وخرّج، أخذ عن الإمام ابن حنبل وسمع الكثير عن مشايخ الشام ومصر والجزيرة وخراسان والعراق، له كتاب "السنن" معدود من الكتب الستّة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث في الشؤون الفقهيّة.

٦ ـ **ابن مسعود عبد الله** (ت ٣٢ هـ / ٦٥٢ م) صحابي هُذَلي، خدم النبيّﷺ مدّة حياته، سادس مَن أسلم، أوّل مَن جهر بالقرآن في مكّة، هاجر إلى الحبشة، أحد المبشّرين بالجنّة، ممّن أتقنوا تلاوة القرآن. روى عن النبيّﷺ.

من الدنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه رجل منّي أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت جورًا وظلمًا"؛ وفي سنن أبي داود: "ولو لم يبقَ من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جورًا"؛ ومنها أيضًا أنّ الرّسول ﷺ "نظر إلى الحسن[1]... وقال: إنّ ابني سيّد سيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم يشبهه في طقسه ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً "؛ وفي سنن الترمذيّ وأبي داود: "المهديّ من عترتي من ولْد فاطمة"؛ وزاد أبو داود: "يملك الأرض سبع سنين"[2].

وقد حدث في تلك الأثناء ما جعل الناس يتوقّعون أن يكون المهديّ، ابن الإمام الحسن العسكريّ بالذات، ذلك أنّهم كانوا يتناقلون كلامًا منسوبًا إلى الإمام الثامن: عليّ الرّضا، قال فيه "بعدي سيكون ابني محمّد بن عليّ النقيّ[3]، إمام المؤمنين، ويلي عليّ بن محمّد حسن بن عليّ، ويكون ابنه هو المهديّ المنتظر"[4].

لقد كانت فكرة المهديّ، إضافة إلى ما تمثّله من اعتبارات دينيّة، ذلك القبس الذي من شأنه أن يعِد الناس بالتحرّر من ظلم ذلك الواقع القاسي الناتج من قساوة الخلفاء، ومن ثمّ من ظلم عسكرهم وقد أصبحوا الحاكمين استبدادًا بأمرهم. ذلك أنّ الأمل بظهور المهديّ، كان أملاً بتحقيق العدالة وإزالة الجور، فالمهديّ هنا، هو الأمل المنقذ المرسل من العالم المقدّس[5].

---

١ ـ إلاّ أنّ الحسن العسكريّ وولده محمّدًا المهديّ هما من سلالة الحسين وليس الحسن.

٢ ـ راجع: طعيمة د. صابر، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، المكتبة الثقافيّة (بيروت،١٩٨٨) ص ٥٨ ـ ٦١؛ وابن موسى الحسن، فرق الشيعة (استنبول،١٩٣١) ص١٩ ـ ٢٠.

٣ ـ كان للإمام العاشر لقبان، الأوّل: عليّ الهادي، والثاني: عليّ النقيّ، أي أنّ عليًا النقيّ هو نفسه عليّ الهادي.

٤ ـ راجع: كونسلمان، مرجع سابق، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

٥ ـ راجع: العيّاش سامي، الإسماعيليّون في المرحلة القرمطيّة، دار ابن خلدون (بيروت،١٩٨١) ص٤٠ ـ ٤٢.

أمام هذا الواقع، كان على القوّاد الأتراك أن يراقبوا الإمام الحادي عشر بيقظة وحذر، خاصّة لجهة الحمل، فإن مجرّد حمل امرأة من الإمام الحادي عشر، كان يعني خطر مجيء المهديّ المنتظر، مع كلّ ما كان يشكّله ذلك عليهم وعلى سلطانهم من خطر.

هنا، تورد الروايات أنّ الإمام العاشر، عليّ الهادي، كان قد زوّج ابنه الحسن، سرًّا، أميرة بيزنطيّة، تعدّدت القصص المتواترة حول ظروف وصولها إلى بيت سليل الرسول ﷺ[1]. ومع شيوع هذه الروايات في سامرّاء، أصبح الإمام الحادي عشر مراقَبًا بشكل دقيق من قِبَل العسكر، حتّى إنّه لم يعد بوسعه أن يقرُب نساءَه دون مراقبتهم. وقد غاب عن هؤلاء أنّ البيزنطيّة كانت قد حملت من الحسن العسكريّ، وأنّ المهديّ لا بدّ مولود منها.

يقول الشيعة الإثنا عشريّة بأنّ هذه المرأة البيزنطيّة قد وَلدت في سامرّاء قبل وفاة الحسن العسكريّ بأربع أو خمس سنوات. وتُروى أخبار كثيرة عن هذا الطفل، فيذكرون أنّه تكلّم عند ولادته، فشهد الشهادتَين وصلّى على الأئمّة، وغير ذلك ممّا تناقلته المدوّنات[2]. وتقول الروايات الشيعيّة إنّه عندما كان الإمام العسكريّ سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م، في حال النزاع[3]، وكان المهديّ، الذي أطلق عليه والده اسم محمّد، في الرابعة من عمره، وإذ كان العسكريّ يجتهد لشرب الدواء، ويده ترتعش بصورة جعلت القدح يصطكّ بأسنانه، وضع الإمام الدواء جانبًا، وطلب من خادمه أن يذهب

---

١ ـ راجع: كونسلمان، مرجع سابق، ص ١٠٦ ـ ١٠٩؛ وراجع الجزء العشرين من هذه الموسوعة، الفصل الثاني.

٢ ـ راجع: طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، ص٥٨ ـ ٥٩؛ كونسلمان، مرجع سابق، ص ١١٢ ـ ١١٣.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر (بيروت، ١٩٨٢) ٧: ٢٧٤؛ المسعودي، مروج الذهب، (القاهرة،١٩٦٤) ٤: ١٩٩.

ويُحضر له الطفل الذي يدعو، فجاء الطفل وأعطى والده الدواء، ثمّ جهّزه للصلاة. بعد ذلك، قال الإمام المتأهّب لمغادرة الدنيا:

يا بنيّ، أنت سيّد كلّ زمان، أنت المهديّ الهادي، أنت على الأرض دليل وجود الله. أنت آخر الأئمّة، طاهرًا تشملك كل الفضائل، وقد بشّر رسول الله ﷺ بمجيئك وتنبّأ باسمك. وهذا العِلم أخذته عن آبائي وستأخذه أنت عنّي[1].

بعد هذه الكلمات، مات الإمام الحادي عشر. وقد تُوزع في سبب موته، بين قائل بأنّه جاءَ إثر مرض طبيعيّ، وقائل بأنّه نتيجة سمّ دُسّ له بإرادة الخليفة العبّاسيّ المعتمد[2]. وبموت الإمام العسكريّ، أصبح ابنه محمّد المهديّ الإمام الثاني عشر عند غالبيّة الشيعة، وهم الذين عُرفوا بالاثنَي عشريّة، أو بالقطْعيّة، بينما تنازع الباقون من الشيعة في "المنظر من آل النبيّ ﷺ بعد وفاة الإمام العسكريّ، فافترقوا إلى عشرين فرقة"[3].

فعندما توفّي الإمام الحادي عشر، حاول أن يصلّي عليه أخوه جعفر، وطبقًا للتقاليد، يكون منصب الإمامة للذي قام بهذه الصلاة. غير أنّ محمّدًا، وقد كان في الرابعة من عمره، أمسك بيد عمّه وهو يهمّ بالصلاة وأزاحه جانبًا، ثمّ قام هو بأداء الصلاة، مثبتًا بذلك أنّه الإمام. بيدَ أنّ هذا لم يقضِ على طموح جعفر، وتذكُر المدوّنات أنّه بعد موت الإمام العسكريّ بأيّام قليلة، جاءَ حُجّاج من المدينة الإيرانيّة قُمّ إلى سامرّاء ليعرفوا مَن الذي ستؤول إليه الإمامة بتكليف من الله ﷻ، ويبدو أن جعفرًا قدّم

---

١ ـ كونسلمان، مرجع سابق، ص ١١٣ ـ ١١٤.

٢ ـ **المعتمد على الله:** هو أحمد بن جعفر المتوكّل، الخليفة العبّاسيّ الخامس عشر ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢م، وُلد بسامرّاء ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م، كان أخوه الموفّق الحاكم الفعليّ فانتصر على الزنج وحارب البيزنطيّين، أعاد المعتمد العاصمة إلى بغداد سنة وفاته، توفّي مسمومًا ودُفن في سامرّاء.

٣ ـ المسعودي، مروج الذهب، مرجع سابق، ٤: ١٩٩.

نفسه لهؤلاء على أنّه الإمام الشرعيّ، وعندما أثاروا موضوع التقليد الذي يقضي بانتقال الإمامة من الأب إلى الابن، ردّ جعفر بأنّ الله ﷻ هو الذي يقرّر بقاء التقليد أو زواله. وإذ لم يشأ الحُجّاج تصديق جعفر إلاّ في حال إثباته أنّ الله ﷻ أراد حقًّا تكليفه بزعامة آل بيت الرسول ﷺ من خلال علامة واضحة، وكانت تلك العلامة، تتمثّل في أن يكون لدى الإمام المقدرة على معرفة أسمائهم ومقدار المال الذي يحمله كلّ منهم؛ غضب جعفر وحِجّته أنّ أيّ إمام لم يتعرّض لمثل هذا الامتحان، وطالب الحجّاج الإيرانيّين بأن يخضعوا له، لأنّه هو وحده الذي بوسعه أن يتقلّد منصب الإمامة بأمر الله كخليفة لأخيه الحسن، وحجّته في ذلك أنّ الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام، وهو الإمام الثاني، قد خلفه أيضًا أخوه الحسين؛ إلاّ أنّ هذه الحجّة لم تُقنع الحُجّاج؛ وفي هذه اللحظة، دخل غلام إلى حيث كان الجمع، وأعلن لحُجّاج قمّ أنّ سيّده كلّفه بذكر أسماء الرجال ومقدار الأموال التي يحملها كلّ منهم، ودهش الحُجّاج لصحّة ما سمعوا، وأصرّوا على معرفة هذا السيّد الذي كلّف الغلام بهذا الأمر، ولكنّ جعفرًا حاول منع حصول ذلك بقوله للحُجّاج: "يا أهل قمّ، إنّكم أهل الإيمان فهل تُخدَعون بحيلة شيطان؟"؛ وقبل أن ينهي جعفر كلامه، رأى الحُجّاج، بوضوح وجلاءَ أمامهم، صبيًّا في حوالى الرابعة من عمره، وسمعوه يقول: يا جعفر لماذا تطلب ما هو حقّ شرعيّ لي"؟

هذا المشهد، بحسب الرواية، لم يستغرق أكثر من برهة، اختفى بعدها طيف الطفل؛ فخرج أهل قمّ من بيت الإمام الحادي عشر وهم حيارى، وتنتهي الرواية إلى أنّه بعد خروجهم، قام جعفر بالبحث عن الصبيّ في البيت بلا جدوى. وقد افترض بعض البحّاثين أنّ أفراد العائلة، لا بدّ من أنّهم قاموا بإخفاء الصبيّ خوفًا من مؤامرات عمّه جعفر، وقد كان بيت الإمام الحادي عشر في سامرّاء مبنيًّا فوق أقبية متشعّبة

وسراديب كان يلجأ إليها الإمام متخفّيًا بخلال ملاحقة عملاء أصحاب السلطة له، وكان الصبيّ يعرف سرّ هذه الأنفاق[1]. وقد اعتبر بعض مراجع الشيعة أنّ محمّدًا المهديّ كان عمره يومذاك ستّ أو سبع سنوات[2].

هنا يبدأ سرّ غيبة الإمام الذي لا يعتبره الشيعة الإثنا عشريّة ميتًا، إنّما هو "حيّ يُرزق يعيش في الخفاء، وبأمر الله سيرجع في نهاية الزمن". واختفاء الإمام الثاني عشر، لا يعني أنّه صعد إلى السماء، فهو يعيش بين الناس، يتّصل ببعضهم، وكثيرون يؤمنون بإمكان مخاطبته[3].

وقد ذكر صاحب كتاب "تاريخ العلويّين"[4]، أن العلويّين انقسموا، بعد وفاة الإمام الحسن العسكريّ (ع) إلى ثلاثة أقسام أساسيّة هي:

١ ـ العلويّون الذين بقوا تابعين للباب أبي شعيب محمّد بن نصير البصريّ النميريّ.

٢ ـ الذين اتّبعوا "أبا يعقوب، أسحق النخعي الملقّب بالأحمر، وقد كان من أصحاب الحسن العسكريّ (ع) ثم ادّعى أنّه هو الباب، وقد كان اتّبعه بعض العلويّين، ومع قلّتهم ظلّوا إلى زمن اسماعيل بن خلاد.

٣ ـ الذين لم يتبعوا الباب ولم يتبعوا اسحق الأحمر، بل بقوا على ما جاء في كتب جعفر الصادق (ع) دون أن يكون لهم رئيس دينيّ وكيلاً للباب، وقد سمّوهم "الجعفرية". فمن هو "الباب"؟

---

١ ـ كونسلمان، مرجع سابق، ص ١١٢ ـ ١١٦.

٢ ـ طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، ص٥٩.

٣ ـ المرجع السابق.

٤ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٥١.

ألـ"بَـــاب"

يقضي النظام الشيعيّ بأن يكون لكلّ إمام "باب"، والباب عندهم هو صاحب أسمى مرتبة دينيّة بعد الإمام. فـ"الباب" حجّة في الدين.

ومن قول الرسول ﷺ: "من طلب العلم فعليه بالباب". ومن قوله ﷺ أيضًا عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها". وفي القرآن الكريم آيات عن الباب، منها: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[1]. و﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾[2]. وفيه أيضًا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

يبدأ الاعتقاد "بالباب" عند العلويّين بسلمان الفارسيّ، الذي اعتبروه "باب" الإمام عليّ عليه السلام. وأول ما يرد ذكر سليمان في المدوّنات، في أخبار غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب، التي وقعت أيّام الرسول ﷺ في السنة الخامسة للهجرة / ٦٢٦ م. عندما "أشار سلمان الفارسيّ إلى الرسول ﷺ بحفر خندق" لصدّ هجوم الأحزاب والقرشيّين الذين كانوا ينوون استئصال محمّد ﷺ وأتباعه. وعندما قسّم الرسول ﷺ الخندق بين المسلمين، اختلف المهاجرون والأنصار في سلمان، كلّ يدّعي أنّه منهم، ذلك أنّ سلمان كان حرًّا حتّى ذلك التاريخ؛ أمام هذا الاختلاف قال الرسول ﷺ: "سلمان منّا. سلمان من أهل البيت"[4]. وفي حصار الطائف بقيادة الرسول ﷺ بعد ثلاث سنوات

---

١ ـ من الآية ٥٨ من سورة البقرة؛ راجع: الآية ١٦١ من سورة الأعراف.

٢ ـ من الآية ٢٣ من سورة المائدة.

٣ ـ من الآية ٤٤ من سورة الأنعام.

٤ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ قابل: اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٥٠.

من معركة الخندق، نصب الرسول ﷺ على المحاصرين منجنيقًا أشار به سلمان الفارسيّ"[1].

هذا الرجل، أصله من أصبهان، وقيل من أهل رامهرمز، كان قد سُبي على أيدي بعض من قبيلة كلب، إلى يهوديّ بوادي القرى، ثمّ أعتقه الرسول ﷺ "بعد أن أعانه فأضحى من موالي الرسول ﷺ"[2]. ثمّ يظهر اسم سلمان الفارسيّ بعهد عُمَر، في السنة الخامسة عشرة للهجرة / ٦٣٦ م إذ "ألحق عمر بأهل بدر أربعة من غير أهلها هم: الحسن والحسين وأبا ذرّ وسلمان"[3]. يتّضح من ذلك رفعة المكانة التي كان قد حصّلها سلمان الفارسيّ حتّى ذلك التاريخ.

وفي ذكر له في السنة التالية (١٦ هـ / ٦٣٧ م) ضمن أخبار "فتح المدائن الغربيّة" كان "سلمان الفارسيّ رائد المسلمين وداعيتهم". ثمّ نجد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يستعمل سلمان الفارسيّ لمهامّ ذات شأن، معتمدًا على ذكائه وإخلاصه. ويبدو أنّ ابن الخطّاب كان يعتمد رأي سلمان في الدين والفكر، إذ سأل ابن الخطّاب سلمان الفارسيّ يومًا: "أمَلِكٌ أنا أم خليفة؟" ـ فقال له سلمان: "إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهمًا أو أقلّ أو أكثر ووضعته في غير حقّه فأنت ملك غير خليفة"[4]. فبكى عمر. ثمّ نلتقي سلمان الفارسيّ محاربًا مع جند الخليفة عثمان سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م في جرجان. وفي أخبار سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦م، نصادف خبر موت سلمان الفارسيّ "وقول بعضهم إنّ

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٢: ٢٦٦.

٢ ـ المرجع السابق، ص ٣١٢.

٣ ـ المرجع السابق، ص٥٠٣.

٤ ـ المرجع السابق، ص٥١٤، ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

عمره مائتان وخمسون سنة، وهذا أقلّ ما قيل فيه، وقيل: ثلاثماية وخمسون سنة، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح"[1]...

ليس واضحًا تمامًا لماذا اعتبر العلويّون سلمان الفارسيّ "باب" الإمام عليّ، ولكنّ الثابت أنّهم يعتقدون باطّلاعه على العلوم السريّة وغيبيّاتها، وطبيعة النبوّة، واستندوا في ذلك إلى قول الرسول ﷺ: "سلمان منّا أهل البيت"[2].

إضافة إلى اعتبارهم سلمان الفارسيّ "باب" الإمام عليّ ﷺ، يقول العلويّون بأنّه كان لكلّ إمام، من الإمام عليّ ﷺ إلى الإمام الحادي عشر الحسن العسكريّ، "باب". وهم، بعد سلمان:

قيس بن ورقة المعروف بالسفينة، الذي كان "باب" الإمام الثاني: الحسن المجتبي؛ ثمّ رشيد الهجريّ، الذي كان "باب" الإمام الثالث: الحسين الشهيد؛ ثمّ عبد الله الغالب الكابلي وكنيته كنكر، الذي كان "باب" الإمام الرابع: عليّ زين العابدين؛ ثمّ يحيى بن معمّر بن أمّ الطويل الشماليّ، الذي كان "باب" الإمام الخامس: محمّد الباقر؛ ثمّ جابر بن يزيد الجعفيّ، الذي كان "باب" الإمام السادس: جعفر الصادق؛ ثمّ محمّد بن أبي زينب الكاهليّ، الذي كان "باب" الإمام السابع: موسى بن جعفر الكاظم؛ ثمّ المفضّل بن عمر الجعفيّ، الذي كان "باب" الإمام الثامن، عليّ بن موسى الرّضا؛ ثمّ محمّد بن مفضّل بن عمر، الذي كان "باب" الإمام التاسع: محمّد بن علي الجواد؛ ثمّ عمر ابن الفرات المعروف بالكاتب، الذي كان "باب" الإمام العاشر: عليّ بن محمّد الهادي؛ ثمّ أبو شعيب محمّد بن نصير البصري النميريّ، الذي كان "باب" الإمام الحادي عشر

---

١ - ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٣: ٢٨٧.

٢ - طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، ص٢٠٤.

الحسن العسكريّ[1].

من بين هؤلاء "الأبواب" يولي العلويّون اهتمامًا خاصًّا، بعد سلمان الفارسيّ "بـاب" الإمام عليّ عليه السلام، لـ "باب" الإمام الثامن عليّ الرّضا: المفضّل بـن عمـر الجعفـي، تلميذ الإمام جعفر الصادق، الذي نقل عن معلّمه "أقواله وأخباره"، ووضع كتاب "الهفت والأظلّة". ثمّ لـ "باب" الإمام الحادي عشر الحسن العسكريّ: أبي شُعيب محمّد بن نصير البصريّ النُّميريّ، الذي أناب في الدين بعد غياب الإمام الثاني عشر، والذي اعتُبر، عند البعض، مؤسّس المذهب العلويّ. وقيل إنّ العلويّين قد نُسبوا إلى ابن نصير هذا، فعُرفوا بالنصيريّين[2].

مِن ابن نُصَيـر إلى الخُصَيبي

إنّ زمن نشوء الطائفة العلويّة، يبقى غير محدّد بدقّة، إذ هناك اعتبارات عدّة حول هذه النقطة. غير أنّ مدقّقين يرون أنّ محمّد بن نصير، باب الإمام العسكريّ، قد والى إمامة محمّد المهديّ، لكنّ "قسمًا من المنتظرين عودة الإمام الغائب ملّ الانتظار، وعظُم عليه أن يبقى بدون إمام مرجعٍ حيّ يرجع إليه الناس في صعوبات الحياة ومحن الإيمان. فإنّ الله، برأي هؤلاء، لن يترك عبيده هملاً بدون حجّة في الدين، أو بدون دليل على الله، أو قدوة ملموسة يتشبّهون بها، أو مثال حيّ يسعون إليه... لذلك قالوا

---

١ ـ أبو موسى الحريري، العلويّون النصيريّون، دار لأجل المعرفة (بيروت،١٩٨٧) ص ٢٥؛ بالاستناد إلى: كتاب تعليم ديانة النصيريّة، المكتبة الوطنيّة في باريس تحت الرقم ٥١٨٨ والرقم ٦١٨٢. (مخطوط)

٢ ـ الشهرستاني، الملل والنحل، نشر كورتن (لندن،١٨٤٦) ص١٨٨ ـ ١٨٩، ١٧٣ ـ ١٧٥.

بأنّه من الأمور الطبيعيّة أن لا يبقى العلويّون بدون مرجع يقتدون بـه، إذ مهما تعالى البشر وتمسّكوا بالمعنويّات لا غنى لهم عن الأخذ بالماديّات"[1]. وبما أنّ "الباب" عند الشيعة له من الإعتبار ما سبق ذكره في الفصل السابق، فقد اختار هؤلاء "باب" الإمام المتوفّى، أو بالأحرى "آخر الأبواب" ليكون مرجعهم في خلال الغيبة، ذلك أنّ ابن نصير، هو آخر الأبواب. بيدَ أنّنا نميل إلى اعتبار أنّ ابن نصير، قد أصبح متّبعًا من قبل من اتّبعوه فور موت الإمام العسكريّ سنة ٨٧٣م، لأنّ اسمه لم يرد بين أولئك الذين جعلهم الإثنا عشريّة صلة الوصل بين الإمام الغائب وسائر الأتباع. هنا برأينا يبدأ افتراق المذهبَين الإثنَي عشريّ والعلويّ النصيريّ.

إنّ التحقيقات التي حصلت حول ابن نصير، تبدو متناقضة بمجملها. ففي الوقت الذي أجمع فيه البحّاثون على أنّ ابن نصير كان "باب" الإمام العسكريّ، وهو الإمام الحادي عشر من أئمّة الاثنَي عشريّة، فإنّ بعض المحقّقين، قال بأنّ "ابن نصير يتحدّر من القرامطة، وهم من الشيعة المتطرّفة، ينتسبون إلى الإسماعيليّين والفاطميّين، ونظامهم شبيه بجمعيّة سريّة ذات مبدأ اشتراكيّ"[2]. وبما أنّه من القرامطة، بحسب هذا الزعم، فقد قال هؤلاء بأنّ ابن نصير قد تطرّف في حبّ آل البيت وغالى في تقديسهم. وقد حقّق بأمره البحّاثة "فان ديك" الأميركيّ الذي كانت له نشاطات علميّة في بيروت، فكتب أنّه قام من طائفة القرامطة "نصير النميريّ، شيخ كثير الصلوات والأصوام، معتبَر من الأولياء، اختار اثنَي عشر رسولاً ينذرون باسمه ويعلّمون تعاليمه"...

إنّ هذا الشرح، يدلّ على أنّ هنالك ما يشبه الخلط بين ابن نصير، ودعاة القرمطيّة والإسماعيليّة. ثمّ هل يُعقل أن يختار الإمام الإثنا عشريّ "بابًا" له من الإسماعيليّة أو

---

١ - الطويل، تاريخ العلويّين، ص٤٨٨.

BERNARD LEWIS, *THE ORIGINS OF ISLAM* (CAMBRIDGE,1940) P.19 - 22. - ٢

من القرامطة؟! إنّ ذلك يبدو لنا مستبعدًا. ومن شأن هذا التناقض أن يفيد عن مدى المغالطات التي تعرّضت لها الطوائف الباطنيّة من جرّاء الدراسات التي تناولتها.

يتّضح لنا من خلال المراجعات المتفرّقة، أنّ ابن نصير، كان يتمتّع بذكاء خارق، وبفقه واسع، وقد عكف على دراسة مبادىء كافّة الفرق الشيعيّة، وصاغ منها المعتقدات النصيريّة، ولا تزال تعاليمه مطبّقة، وهي منطلق الوعظ والإرشاد عند رجال الدين العلويّين النصيريّين[1].

تعدّدت الإجتهادات حول تاريخ وفاة بن نصير، غير أنّ أكثرها اعتبارًا من قِبَل العلويّين، هو ذلك القائل بأنّه، بعد وفاة الإمام العسكريّ سنة ٨٧٣م، انتقل من العراق إلى سوريا حيث راح ينشر تعاليمه، وغاب هناك ولم يعد يُعرف عنه شيء. وقد خلفه في مرجعيّة أتباعه محمّد بن جندب، ثمّ الشيخ عبد الله بم محمّد الجنان الجنبلاني، العابد الزاهد المنسوب إلى بلدة جنبلا في العراق العجميّ، وكان ذا علم وفلسفة وزهد وتصوّف[2]، فأسّس طريقه أسماها مريدوها "الجنبلانيّة". وقد سعى من جانبه إلى إدخال كثير من الناس فيها، حتى جاء يوم أصبحت فيه صفة "الجنبلانيّة" تعادل صفة "العلويّة". ومن هنا غلبت الصوفيّة على المذهب العلويّ الذي أصبح قوامه، منذ ذلك الحين، ثلاث عقائد هامّة، هي التشيّع والإعتزال والتصوّف، وإن كان بعض المؤرّخين يرى أنّ فكرة التصوّف قد نشأت قبل ذلك بزمن غير قصير، ولكن التصوّف بمعناه الواسع، ومعاناته ورياضته، لم يظهر عند العلويّين بشكل واضح قبل الجنبلاني، وما

---

١ ـ خير الشيخ عبد الرحمن، في بيان إلى الطائفة العلويّة، منشور "وحيد العين" ص ٦ ـ ٧، ويقول إنّ بن نصير قد كُنّي بوحيد العين وبوارد الوقت.

٢ ـ كتاب المجموع، السورة ٤ تحت عنوان النسبة؛ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣٧.

لبث أن ازدادت جذوره عمقًا عند المنتجب العاني والمكزون والسنجاري ومَن جاء بعدهم من رجال الفكر عند العلويّين[1].

الحُسَين بن حَمدَان الخُصَيبِــــــــي

سافر الجنبلاني إلى مصر، وهناك اختار له رجلاً مساعدًا هو الحسين بن حمدان الخصيبي الذي عاش ما بين سنتَي ٢٦٠ و٣٤٦ هـ/ ٨٧٣ و٩٥٧م؛ ويذكر مؤرّخون أنّ الخصيبي قد تعلّق بشيخه الجنان الجنبلاني تعلّقًا شديدًا، ودخل في طريقته، وتبع التلميذ الشيخ إلى جنبلا عند عودته إليها، واستقرّ عند شيخه عبدالله، وبلغ شأنه وذاع صيته، وحينما توفّي عبد الله الجنان الجنبلاني سنة ٢٨٧ هـ / ٨٩٩م، خلفه أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، ناهضًا بالعبء من بعده في رئاسة العلويّين[2]، فكان "أعظم من كل من بعده، إذ أكمل صلواتهم وأذاع تعليمه في البلدان"[3]. وكان الخصيبي قد انتقل من جنبلا إلى بغداد ليستقرّ أخيرًا في حلب، على مقربة من سيف الدولة الحمداني الذي استمدّ منه القوّة والسند، وكان سيف الدولة قائدًا إسلاميًّا كبيرًا متشيّعًا، محبًّا لآل البيت عليهم السلام، وقد لعب الشيخ الخصيبي دورًا كبيرًا مهمًّا في تثبيت الدعوة العلويّة وتكريسها، ورفض الاتّحاد بالإسماعيليّة. ذلك أنّه بعد وفاة الجنبلاني

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٣٧.

٢ ـ الحريري، العلويّون النصيريّون، ص٣١؛ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٠.

٣ ـ سليمان الأذني، الباكورة السليمانية، تحقيق SALSBURY في JOURNAL OF THE AMERICAN ORIENTAL SOCIETY, VOL. 8, P. 243.

اجتهد بعض العلويّين في توحيد الإسماعيليّة والعلويّة، وعقدوا لذلك اجتماعًا دينيًّا عظيمًا حضره أعاظم العلماء وجاء إليه من كلّ مدينة من مدن بغداد وعانة، وحلب، واللاذقيّة، وجبل النصيريّة، رجلان بصفة ممثّلين واجتمعوا في عانة، ولم تكن نتيجة هذا الاجتماع إلاّ ازدياد التفرّق والخلاف[1].

وجاء في بعض الأبحاث أنّ الخصيبي قد هاجر إلى بلاد خراسان والديلم، وديار ربيعة، وتغلب، وطاف في البلاد داعيًا لفكره ومذهبه. وأنّه يُعتبر في نظر المؤرّخين من ألمع الرؤساء العلويّين وأكثرهم أثرًا في العقيدة، يساعده على ذلك ذكاء وقدرة على التأليف في المذهب، وتطويره إيّاه حتى كان يلقّب بشيخ الديانة، وذكر له من الكتب: الهداية الكبرى، أسماء النبي، أسماء الأئمة، الإخوان، المائدة، وأهمّها الهداية، فهو من الكتب النفسية ذات الأثر العميق في التشيّع وآدابه، وقد أهداه لسيف الدولة الحمداني الأمير المجاهد المسلم الشيعيّ. وقد ألّف كتابًا بالفارسيّة أسماه "راست باش" أي "كن مستقيمًا" أهداه لعضد الدولة البويهيّ، ومن أجل هذا كان العلويّون يُطلقون على عضد الدولة اسم "راست باش". وقد تنوّعت أقوال المؤرّخين في الحسين بن حمدان الخصيبي، بين متحامل عليه وحاقد، وبين محبّ ومخلص، وبين ملتزم الصمت، منهم: النجاشي، وابن الغضائري، وصاحب الخلاصة من المتحاملين عليه. وفي الفهرست لابن النديم: الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلاني يكنّى أبا عبد الله، روى عنه "التلعكبري" وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٣٤ هـ، وله فيه أجازة. وفي "لسان الميزان": الحسين بن حمدان بن خصيب الخصيبي، أحد المصنّفين في فقه الإماميّة، روى عنه أبو العبّاس بن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه. وفي أعيان الشيعة

---

١ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص٢٥٨.

للمجتهد الأكبر العلامة السيّد محسن الأمين العامليّ ترجمة للخصيبي فيها مدح وثناء عليه، وأنّه من علماء الإماميّة وكلّ ما نسب إليه من معاصريه وغيرهم لا أصل له ولا صحّة، وإنّما كان طاهر السريرة، والجيب، وصحيح العقيدة، وهو من أعلام الفكر الشيعيّ الإثنَي عشريّ في القرن الثالث الهجريّ[1]. وأورد السيّد الأمين أقوال العلماء فيه، وردّ على المتحاملين عليه، ثمّ قال: "لو صحّ ما زعموا وما ذهبوا إليه ونسبوه له، لما كان الأمير سيف الدولة المعروف والمشهور بصحّة عقيدته الإسلاميّة وولائه للعترة الطاهرة وآل البيت سلام الله عليهم أجمعين صلّى عليه وائتمّ به"[2].

يذكر المحقّقون في شأن الخصيبي أنّه "سكن حلب وهو يدير شؤون حزبه، واستقلّت حكومات العلويّين في أيّامه، وكانت كلّها تحت أمره الدينيّ، وقد توفّي في حلب، وقبره في شماليها، وهو معروف باسم "الشيخ يبراق" وهو يُزَار. وكان للخصيبي وكلاء في العراق والشام، وكان له تلاميذ من الملوك والأمراء، وهم بنو بويه وبنو حمدان، والفاطميّون، وكلّهم اكتسبوا العلوم الدينيّة والعقائد من شيخهم المشار إليه، وكانوا يسمّونه "شيخ الدين". وبعد الخصيبي نشأ للدين مركزان بين العلويّين: الأوّل والأعظم كان في حلب ويرأسه السيّد محمّد بن علي الجلّي، وكان خليفة للسيّد الحسين بن حمدان الخصيبي، والثاني في بغداد يرأسه السيّد علي الجسري، وقد انقرض مركز بغداد في وقعة هولاكو المشهورة، وبعد السيّد الجلّي انتقل مركز حلب إلى اللاذقيّة وكان يرأسه السيّد أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني"[3]. ويذكر المحقّق نفسه أنّه عدا وكلاء الأمور الدينيّة،

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٠، عن: العلويّون والتشيع، ص٥٩.

٢ ـ الأمين السيّد محسن، أعيان الشيعة، ٤: ٣٤٥.

٣ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص٢٥٩.

كان للخصيبي وكلاء من أرباب السياسة هم: ناصح الدولة، صفيّ الدولة، معزّ الدولة، ناصر الدولة، مجد الدولة، هلال الدولة، عضد الدولة، كريم الدولة، راشد الدولة، سيف الدولة، ناهض الدولة، عصمة الدولة، أمين الدولة، سعد الدولة، صلاح الدولة، نخر الدولة، كنز الدولة، وعلاء الدين صاحب تكريتا. وكان السيّد علي الجسري في بغداد وكيل الخصيبي في الرئاسة الدينيّة قد حجّ هذا عشرين مرّة، كما كان السيّد محمّد بن علي الجلّي الوكيل في حلب قد حجّ مرّتَين قبل بلوغه، وبعد بلوغه كان يحجّ كلّ عام حتّى وفاته، واشترك في الجهاد مع حزبه، ووقع أسيرًا ثم بيع لأحد المسيحيّين في عكّا وفيها اهتدى المسيحيّ الذي اشتراه على يدَيه إلى دين الإسلام. وكان دأب السيّد حسين بن حمدان الخصيبي ووكلاؤه في الدين، إرشاد بعض أفراد بقيّة الأديان إلى دين الإسلام، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة جعفريّة إماميّة، والذين يجد فيهم الكفاءة يدخلهم في "الطريقة الجنبلانية"[1].

الطريقَة الجنبلانية

ذكر باحثون في شأن التراث العلويّ أنّ الطريقة الجنبلانيّة، وهي منسوبة إلى الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلاني، "هي في نظر شطر من العلويّين، من كمال اليقين والإيمان، وليست سوى طريقة صوفيّة كبقيّة المعتقدات الصوفيّة لدى أكثر المسلمين، وهي تبحث من جهة عن العلل الحقيقيّة للخلق في ما وراء الكون وعن حقيقة الأديان الذاتيّة وبيان درجاتها، وكذلك عن السرّ الحقيقي الذي يكمن في بعثة سيّد

---

١ ـ١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٣.

الخلق ﷺ، والبحث في حقيقة النبوّة وشروطها وأركانها، ودلالاتها، والإمامة وما هو الأصحّ في شروطها. وهي تشبه إلى حدّ بعيد "علم الكلام" الذي نشأ وترعرع في العصر الذهبيّ للدولة العباسيّة، والذي أبدع فيه الشيعة الإماميّة، والمعتزلة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكلام في الأئمّة الأطهار من آل البيت عليهم السلام، وما هو الاعتقاد في حقائقهم ومقاماتهم ومعارفهم، والسرّ الكامن في معاجزهم وكراماتهم وعصمتهم، ورجعتهم، وعلومهم، وفقههم، ومنزلتهم. ولا يضرّ في إسلام العلويّ، وكذلك في جعفريّته، أن لا يفقه شيئًا عن هذه الطريقة، بل هي عندهم، من كمال الإيمان والمعرفة من أصحاب الإيمان الراسخ والحسّ المرهف. وفي الأثر عن الإمام الباقر: ـ حديث آل محمّد ﷺ صعب مستصعب، لا يفقهه إلاّ نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ـ"[1]. وينفي الباحث "ما قد يُنسب إلى أتباع هذه الطريقة من القول بالغلوّ والحلول والتناسخ". ويقول إنّ "من متفرّعات هذه الطريقة: العقيدة في الإمام المعصوم، إذ يعتقد العلويّون، مثلهم في ذلك مثل إخوانهم الجعفريّين الإثنَي عشريّين، أنّ كلمة الإمام مختصّة ومقتصرة على الأئمّة الإثنَي عشر من أهل البيت، الذين أولّهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهديّ محمّد بن الحسن الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه، الذي سيخرج في آخر الزمان "ويملأ الدنيا قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا"، كما جاء في الحديث النبويّ الشريف المتواتر عند جميع المسلمين. والأئمّة عندهم يمتازون عن بقيّة البشر، من حيث مزاياهم وصفاتهم ومراتبهم الروحيّة، وقد جاء في حقّهم قول النبيّ محمّد ﷺ: ـ علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل ـ وقوله ﷺ: ـ الأئمّة إثنا عشر من قريش أولّهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم ولدي المهديّ ـ وقوله ﷺ: أهل بيتي فيكم كسفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٤.

تخلّف عنها غرق وهوى .. ويعتقدون أنّ كلمة العلم الكاملة المعنى مختصّة بأهل البيت (ع)، وفيهم نزل قول اللــه تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. وقوله الحقّ سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]. وقوله جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]. فإنّه ليس من مصداق لهذه الآيات الشريفة سوى الأئمّة من أهل البيت (ع)، وقد كان من أشهر ألقاب الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم (ع) "العالم". ثمّ هم عندهم معصومون منزّهون عن كلّ خطأ وعيب، حتّى الصغائر منها، بل إنّ العصمة محصورة فيهم لأنّ الخطايا رجس، وقد قال الحقّ سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإنّ كلمة "إنّما" عند فقهاء اللغة تفيد الحصر، وبناء عليه فإنّ الحقيقة المحمّديّة عندهم هي مصدر الإرادة الإلهيّة في أقوالهم وأفعالهم، وقد قال ﷺ: "كنت نبيًّا وآدم بين الطين والماء" وقوله ﷺ: "أوّل ما خلق الله نور نبيّك يا جابر". وقد ذكر المعتزلي ابن أبي الحديد في كتابه السفر نهج البلاغة، كتابًا من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان يقول فيه: ـ أمّا بعد يا معاوية، فنحن صنائع ربّنا والخلق من بعد صنائع لنا .. وقد جاء في القرآن الكريم قول الحقّ سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[4] وبناء عليه يكون الإمام عارفًا بعلوم الأوّلين والآخرين[5].

---

١ ـ الاحزاب: ٣٣.

٢ ـ من الآية ٢٨ من سورة فاطر.

٣ ـ من الآية ١١ من سورة المجادلة.

٤ ـ من الآية ١٢ من سورة يس.

٥ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٤ ـ ٤٥.

ويقول الباحث نفسه: "والذي يبدو لنا أنّ هذا التوسّع في الاعتقاد بصفات الإئمّة (ع) وحصر العلم والمعرفة فيهم هو الذي جعل بعض خصوم العلويّين يطعنون في معتقدهم، ويتّهمونهم بالغلوّ في الأئمّة عليهم السلام. وما هو حقيقة بالغلوّ وإنّما هو عند العارفين المعتقد السليم بحقيقة العصمة التي كرّسها الباري عزّ وجلّ لهم في قرآنه المجيد، حيث اصطفاهم واجتباهم، بعد أن سبق في علمه الأزليّ طهارتهم وعظيم إيمانهم، وكذلك تضحيتهم وفناؤهم في الذات الأحديّة، وانقطاعهم إليه سبحانه في المعرفة والتوحيد. وقد جاء في الحديث المأثور عنه ﷺ - إنّ الله خلق نورًا ففلقه إلى فلقتين، فقال لهذا كن محمّدًا ولهذا كن عليًّا، قبل أن يخلق الله الخلق، حيث لا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، فسبحنا الله قبل خلق الخليقة بثمانية عشر ألف عام، وما زلنا ننتقل من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهّرة، فكنت في صلب عبدالله وعليًّا أخي في صلب أبي طالب"[1]. ويضيف أنّه "من الأصول الجوهريّة في الطريقة "الجنبلانيّة الخصيبيّة" علم الباطن، حيث يرى الخصيبيّون أنّ الأحكام الإسلاميّة لم تكن كلّها ظاهرة، كما يظنّ الناس". ويضيف: "إنّ علوم أهل البيت (ع) كانت غير معلومة عند عوام المسلمين، وإنّ بعض الأحكام لم يعلمها إلاّ الخواص، ويعلم أرباب الأصول أنّ القرآن الكريم له معان ظاهرة ومعان خفيّة، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[2] والذي يظهر من الآية الكريمة أنّه يوجد في القرآن معان ظاهرة ومعان خفيّة، والمعاني الظاهرة تنقسم إلى أربعة أقسام، من جهة الوضوح، فهي: إمّا أن تكون ظاهرة، أو منصوصة أو مفسّرة، أو محكمة، ومن جهة الخفاء إمّا أن تكون خفيّة أو مشكّلة، أو مجمّلة، أو متشابهة. والألفاظ

---

١ - الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٦.

٢ - من الآية ٧ من سورة آل عمران.

المتشابهة، إمّا أن تكون متشابهة اللفظ أو متشابهة المعنى، والباطن والظاهر هو في الألفاظ المتشابهة المعنى، أي في الآيات الواردة بقوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[1]، ولمعرفة ذلك، توجد قاعدة بسيطة مفادها أنّ كلّ آية لا يمكن إعطاؤها المعنى الحقيقيّ، أو لا يمكن إعطاء معناها مجازًا، فهي متشابهة بالمعنى، مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] إذ لا يمكن التصوّر بأن تكون للّه يد كالبشر فيكون التشبيه والتجسيم وهذا شرك بالله، فى مندوحة، والحال هذه، من القول بأنّ هذا اللفظ الشريف من المتشابه المعنى. ومثله قول الحقّ سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[3]، فلا يجوز في قاعدة التوحيد الاستواء بالمعنى الظاهر، لأنّه يفضي إلى القول بمكان واحد لله، والحقّ أنّه سبحانه موجود في كلّ مكان:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[4]، والمعنى هنا خفيّ متشابه، وقد ذكر تفسير الآية الأولى: أنّ أمر الله وقوّته فوق أيديهم وقوّتهم، وفي الآية الثانية أنّ الله يهيمن ويسيطر على العرش. وأيضًا، فإن في القرآن الكريم بعض الآيات التي يراها بعض المسلمين محكمات، أو هي ظاهرة المعنى، ولكن هي في الحقيقة من المتشابهات، أي خفيّة المعنى، وقول الله سبحانه ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا للشَّيَاطِينِ﴾[5] فهم يفسّرونها بمعان خفيّة، ويعتبرونها متشابهة المعنى. ومنه قول الحقّ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾[6] فهم يفهمونها على غير معناها الظاهر، لأنّ أهل العلم والفنّ يهزأون اليوم بالذين يظنّون أنّ

---

١ ـ من الآية ٧ من سورة آل عمران.

٢ ـ من الآية ١٠ من سورة الفتح.

٣ ـ طه: ٥.

٤ ـ من الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

٥ ـ من الآية ٥ من سورة الملك.

٦ ـ من الآية ٣ من سورة الملك.

السماء كالقبّة، وأنّ النجوم كالقناديل المعلّقة فيها، وأنّ الشياطين يرجمون بها، وذلك حسب ما نقلوه عن الأئمّة من أهل البيت (ع)"[1].

ويروي الباحث: "إجتمع أحد أئمّة الشيعة بأحد أئمّة السنّة فقال الأخير للأول: لماذا أنتم الشيعة تفسّرون القرآن بالباطن وتجعلون له باطنًا وظاهرًا وتأويلا؟ فقال العالم الشيعي: إنّنا نجد أنّ كثيرًا من الآيات الكريمة لا مناص من حملها على المجاز والتأويل، وإلاّ صرنا إلى المحظور ـ وكان العالم السنّي بصيرًا ـ فلو فسّرنا قول الباري سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلاً﴾[2] بالظاهر دون اللجوء إلى التأويل وقعنا في ما لا ينبغي، فالعمى في الآية الكريمة هو عمى البصيرة وليس عمى البصر"[3].

ويقول الباحث: قد يطعن بعض المسلمين بالعلويين بأنّهم يفسّرون القرآن حسب رأيهم ومعتقداتهم، ويجيب العلويّون بأنّ هذا خطأ وظنّ لا يغني من الحقّ شيئًا، فإنّ حقّ تفسير القرآن عندهم منحصر بأهل بيت العصمة (ع)، والدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾[4] وعندهم أنّ الراسخين في العلم حقًّا هم أهل البيت (ع). فقد استودع الباري سبحانه معرفته الحقّة عندهم، وجميع العلوم، ومنها علم القرآن من حيث الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاصّ والعامّ، والمطلق والمقيّد مصداقًا لِما ورد في الحديث الشريف: ـ أنا مدينة العلم وعليّ بابها ـ، وقوله ﷺ ـ إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبدًا: الثقلين

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٩، عن: تاريخ العلويّين، ص١٩٨.

٢ ـ الإسراء: ٧٢.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٤٩.

٤ ـ من الآية ٧ من سورة آل عمران.

أحدهما أكبر من الآخر: الأوّل كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، والثاني عترتي أهل بيتي وإنّ اللطيف الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما ـ. وفي الأثر على أمير المؤمنين علي ﷺ: ـ عندنا أهل البيت علم المنايا والبلايا ـ. وقوله ﷺ: ـ تمسّكوا بأهداب أهل بيت نبيّكم فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ولا تتقدّموا عليهم فهم أولى وأحقّ منكم ـ. وقوله ﷺ: ـ لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً ـ. وقوله ﷺ: ـ سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي لا إله إلاّ هو لأنا بطرق السموات أعلم منّي بطرق الأرض، لا تسألوني عن آية في كتاب اللّه إلاّ وأخبرتكم في أيّ جبل نزلت وعلى مَن وفي أيّ زمن نزلت ـ. وحدّثني أحد الإخوة من العارفين عند العلويّين أنّه يوجد بين العلويّين علوم خفيّة أخرى، كالجفر، وهو تأليف علي وجعفر (ع)، والكلام في إثبات ذلك أو نفيه يطول ولا جدوى منه[1].

ومن مفردات الطريقة "الخصيبيّة الجنبلانيّة": "العقيدة في كمال الإيمان"، فهم يعتقدون أنّ الإيمان الكامل للمسلم لا يتحقّق إلاّ لمَن سبق إسلامه على التحاق علي بن أبي طالب ﷺ بالنبيّ ﷺ يوم الهجرة، بعد مبيته على فراشه، وأمّا مَن آمن بعد هجرة النبيّ ﷺ فإيمانه ناقص، حتّى بلغ بهم القول أن اعتبروا العبّاس عمّ النبيّ ﷺ غير كامل الإيمان، لأنّه أسلم بعد التحاق عليّ ﷺ بالرسول، ودليلهم في ذلك الآيات الكريمة الآتية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَم يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وِلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٥٠.

٢ ـ من الآية ٧٢ من سورة الأنفال.

الأَرْض وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[1] وقوله جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2]. فكلمة "حقًّا" معناها "كمال الإيمان" وهو مرتبة جليلة لا يصل إليها الإنسان إلاّ بعد مجاهدات نفسيّة صعبة، وإيمان صلب، واعتقاد راسخ وتضحيات جلّى[3].

ويرى الباحث نفسه أنّ "الفرق بين النبوّة والإمامة عند العلويّين، أنّ الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الملائكة، وخصوصًا الأمين جبريل (ع)، وبعضهم كان يكلّم اللّه سبحانه وتعالى بغير واسطة، وهم معصومون من الخطأ والعيوب، حتّى من بعض العادات المكروهة وإن كانت طفيفة صغيرة. أمّا الأئمّة المعصومون، والمطهّرون، فهم عند العلويّين مصدر الإرادة الإلهيّة دون وحي ولا واسطة، وذلك منبثق عن الحقيقة المحمّديّة، لقوله ﷺ: ـ كنت نبيًّا وآدم بين الطين والماء ـ. وقوله ﷺ: ـ أوّل ما خلق اللّه نور نبيّك يا جابر ـ. وهم تحت تأثير الإرادة الإلهيّة، فتكون جميع أعمالهم، وأقوالهم ونواياهم، أي أعمالهم القلبيّة، موافقة للإرادة الإلهيّة المؤثرة. ويتّضح أنّ الإمامة هي غير الخلافة، وأنّ مطالبة على أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين (ع) بالخلافة لم تكن لطلب دنيا، بل لأجل الدين، وهو مَن اشتهر بالزهد وطلّق الدنيا ثلاثًا"[4].

---

١ ـ الأنفال: ٧٣.

٢ ـ الأنفال: ٧٤.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٥١.

٤ ـ المرجع السابق.

أبُو سَعيد سرُور
المَيمُـــــــــون

ذكرنا سابقًا أنّ الذين اتّبعوا أبا يعقوب أسحق النخعــيّ الملقّب بـالأحمر، بعد وفـاة الإمام الحسن العسكريّ (ع)، وقد كان أسحق من أصحابه، ثمّ ادّعى أنّه هو البــاب، قد ظلّوا، مع قلّتهم، إلى زمن اسماعيل بن خــلاد. وقد عُرف هـؤلاء بالإسـحاقيّة. ويقـول صاحب "تاريخ العلويّين": "أمّا الاسحاقيّة فهم من العلويّين، وبعد هلاك أبـي ذهبيـة، أي إسماعيل بن خـلاد، فـي اللاذقيـة، بقيـت عقيدتـه حتّـى مجـيء الأمـير حسـن المكـزون السنجاري إلى جهات اللاذقيّة، إذ جمع كتب الاسحاقيّة وحرقها، وقضـى علـى عقيدتهـم قضاء تامًا في منطقة دولة العلويّين... وجاء بعد السيّد الجليّ السيّد أبو سـعيد الميمـون سرور بن القاسم الطبراني، شـيخ الديانـة العلويّـة ورئيـس الطريقـة الجنبلانيّـة، واتّخذ اللاذقيّة مركزًا له. ولمّا كان السيّد الخصيبي متّخذًا حلبًا مسكنًا له، وكـان السـيّد الجلـي خلفًا له والسيّد أبو سعيد خلفًا للسيّد الجلي، أصبح السيّد أبو سعيد أعظم مرجع للعلويّين التابعين للباب أبي شعيب محمّد بن نصير[1].

وُلد السيّد أبو سعيد، واسمه سرور ولقبه الميمون، في بلدة طبريـة سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨م، وهو معروف باسم الطبراني، ثم سافر إلى حلب وسكن فيها عند سـيّده الجلـيّ الكبير، وصنّف هناك كتبًا عديدة. وقد أجبرت الحروب المتوالية حـول حلـب أبـا سـعيد مغادرة المدينة، والهجرة إلى اللاذقيّة للسكن فيهـا. كـان ذلـك سـنة ٤٢٣ هـ/ ١٠٣١م، وفي سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م، توفّي السيّد أبو سعيد الميمون سـرور بـن قاسـم الطـبراني في اللاذقيّة، وقبره كائن بين المرفأ وتربــة العلـويّ المشـهور بـأبي علـي الشـيخ محمّد

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٥٢ ـ ٥٣، عن الطويل، تاريخ العلويّين.

الطبراني، أي على ضفّة البحر داخل المسجد المسمّى اليوم مسجد الشعراني. والمسلمون السنيّون يزورونه والعلويّون يقدّسونه. كان السيّد أبو سعيد سرور أكبر مؤلّف بين العلويّين، وهو آخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلانيّة، وبعد السيّد أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني لم يرأس أحد الطريقة، بل استقلّ كلّ شيخ من جهة. لأنّ العلويّين كانوا تحت حماية بني حمدان التغلبيّين في حلب. وبعد بني حمدان احتلّ الروم بلاد العلويّين حتّى حمص، ولم يبقَ للعلويّين سلطة إلاّ في مصر، وكان رؤساؤهم الدينيّون من أسرة "البلقيني" المشهورة، ورئيس أسرة البلقيني في مصر كان الرئيس الدينيّ الوحيد للعلويّين. وكان أيضًا شيخ الإسلام لحكومة المماليك المصريّة العلويّة، والرياسة بين عائلة البلقيني تنتقل من الأب إلى الولد.

ومن مشاهير مَن تعهّدوا الدعوة العلويّة بعد أبي سعيد الميمون، الأمير حسن المكزون (توفّي ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م.) وقد جاء اللاّذقيّة من سنجار على رأس قوّة عسكريّة كبيرة لنجدة بني قومه من تجاوزات الأكراد[1] والإسماعيليّة. وخلف المكزون مشايخ عدّة، منهم الشيخ حاتم الطوبانيّ، والشيخ حسن البرّيّ، والشيخ عليّ القصير، والشيخ إبراهيم الطرطوسيّ.

---

١ ـ محمّد الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٣٠٦.

الفَصلُ الثَّالِث

فِي المُعتَقَد

عَقَائِدُ العَلَوِيِّين؛ مذكّرة عام ١٩٣٦؛ فَتوَى العلمَاء سنَة ١٩٣٨؛ فَتوَى الرُّؤَساء الرُّوحِيِّين فِي صَافِيتَا؛ مَن هُم العلوِيُّون؛ بَشائـــر اليَقظَةِ الأولَى؛ العلَوِيُّون شيعَة أهلِ البيت؛ أدلَّة التّشريع؛ فروع الدّين؛ الصلاة؛ الأذان والإقامة؛ الصَّوم؛ الزكاة؛ الخمس؛ الحَجّ؛ الجهاد؛ الأمرُ بالمَعروف والنَّهيُ عَن المُنكر؛ الولاء والبراء .

عَقائِدُ العَلويّين

ذكر باحثون في عقائد العلويّين، أنّ الذين كتبوا عنها، منهم ومن غيرهم، قسموا العلويّين إلى غلاة ومعتدلين. ونسبوا الغلاة إلى الجهل، وإلى عوامل تاريخيّة، بدأت منذ زمن بالزوال، ونظرًا لأنّ الغلاة يكتمون معتقداته، والحديث عنها لا يخرج عن نطاق التخمين[1].

وذكر باحثون آخرون أنّه "كما هو الحال بالنسبة للدروز، أُثير ولا يزال يُثار جدل شديد حول أصول هذه الجماعات... وحول معتقداتها الدينيّة... ويرجع هذا اللبس والخلط، في ما نرى، إلى معطيات تاريخيّة امتزجت خلالها، عبر قرون طويلة، عناصر مختلفة وإثنيّات شتّى... أمّا اللبس والإبهام الذي غلّف عقيدة "العلويّين" فمردّه، حسبما نرى، إلى عوامل سياسيّة تمتدّ جذورها إلى قاع التاريخ الوسيط لتُزهر وتُثمر خلال التاريخ الحديث، وتستهدف هذه العوامل إثارة "الطائفيّة" و"العشائريّة" لفصم وحدة العالم الإسلاميّ حضاريًّا. وليس جزافًا أن يستثمر الاستشراق الفرنسيّ مقولات أهل السنّة الأوائل المعادية للفرق المعارضة، وخصوصًا للشيعة، فضلاً عن كتابات بعض المنشقّين عن "العلويّين" لخدمة أغراض استعماريّة في المحلّ الأوّل، ناهيك عمّا أدّت إليه الفرقة السياسيّة في العالم العربيّ المعاصر من استخدام "الإيديولوجيا" كسلاح

١ ـ عرموش، موسوعة الأديان الميسّرة، مرجع سابق، ص ٣٦٦.

"معرفيّ" يوظّفه الفرقاء المتصارعون في المؤامرات والمناورات السياسيّة. وأحسب أنّ تلك القوى قد استغلّت "العداء التاريخيّ" بين السنّة والشيعة، وما انطوى عليه تاريخ التشيّع من خلط وغموض لتأكيد مقولاتها المعرفيّة المسيّسة، ومن أسف أنّها تجد أصداء عميقة في أوساط عريضة من المؤرّخين العرب المبهورين بالاستشراق أو بالنزعات السلفيّة سواء بسواء. وتزداد المشكلة حدّة بالنسبة "للعلويّين النصيريّة" لأنّ كتبهم لا تزال مخطوطة ومستورة إلى اليوم[1].

ويضيف الباحث: إنّ الخلاف حول تاريخ وعقائد هذه الجماعات يكشف بجلاء عن تلك الحقيقة، يساعد على ذلك أنّ هذه الجماعات التي اتّخذت من جبال "العلويّين"، "دار هجرة"، لم تقم بدور بارز على مسرح التاريخ الإسلاميّ الوسيط، كما كانت الحال بالنسبة للفرق الشيعيّة الأخرى. ناهيك عن معطيات المكان من ناحية الجغرافيا السياسيّة التي قرّرت وحسمت هذا الدور المتضائل تاريخيًا، فمقرّ الإقامة في جبال مرتفعة بمنطقة "رهويّة" شهدت صراعات دامية بين كافّة القوى الكبرى في المنطقة على مرّ التاريخ، سواء أكانت إسلاميّة، سنيّة وشيعيّة، أم كانت نصرانيّة بيزنطيّة وصليبيّة واستعماريّة فرنسيّة حديثًا، وخلال معارك تلك الحروب وصراعات القوى ابتلى العلويّون بمزيد من المحن والإحن التي تركت بصماتها على فكرهم العازف عن السياسة، أو نمط حياتهم الذي اكتسى طابعًا عشائريًا. وليس أدلّ على صدق ما نذهب إليه أنّ الخلاف حول مجرّد التسمية، علويّون أم نصيريّة، يعكس إشكاليّة معرفة حقيقة مذهبهم ومعتقداتهم من قبل البعض. على أنّ حقيقة معتقدهم التي لا لبس فيها هي أنّهم يقولون بما تقول به الإثناعشريّة. حجّتنا في

---

١ ـ اسماعيل د. محمود، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص ١٤١ ـ ١٤٢؛ راجع: غالب مصطفى، الحركات الباطنيّة في الإسلام (بيروت، ١٩٨٢) ص٢٦٩.

ذلك وجود مذاهب أخرى علويّة لها أشياعها في كافّة أرجاء العالم الإسلاميّ قبل وبعد ظهور المذهب "الإثني عشريّ" الذي تنتمي إليه هذه الجماعات. هذا فضلاً عن كون تلك الجماعات قد جمعت بين التشيُّع "الإثَني عشريّ" والتصوُّف، فشكّلت بذلك فرقة جديدة تميّزها عن الإمامة "الإثَني عشريّة". وهذا يقودنا إلى الإشكاليّة الكبرى، وهي حقيقة عقيدة هذه الجماعات. وفي هذا الصدد لا عبرة لِما ذهب إليه البعض من أنّهم كانوا مسلمين على المذهب الإسماعيليّ[1]، أو ما يذهب إليه د. فيليب حتّى[2]، من أنّهم ربّما كانوا وثنيّين تحوّلوا فجأة إلى المذهب الإسماعيليّ، ومناط الخطأ في هذا القول إنّ الوثنيّة كانت قد انقرضت تمامًا من بلاد الشام بعد الفتوحات الإسلاميّة، كما أنّه خلط، وغيره، بين الفرق الشيعيّة في الشام واعتبرها نتاجًا للمذهب الإسماعيليّ. ولا مجال كذلك لتصديق الرواية القائلة بأنّ "النصيريّة" نحلة من نحل المسيحيّين، تأسيسًا على أنّ البعض من أسماء "النصيريّين" مثل متّى ويوحنّا وهيلانة، أسماء مسيحيّة أصلاً، فمن خطأ الرأي التعويل على اللغة وحدها في حسم قضايا مهمّة ومعقّدة تتعلّق بالملل والنحل، وبالمثل يمكن دحض الزعم ذاته انطلاقًا من احتفال "النصيريّة" ببعض أعياد النصارى كأعياد الميلاد والفصح والقيامة، كما ذهب "جولد تسيهر"، فالمسلمون في صدر الإسلام كانوا يحتفلون ببعض أعياد المجوس، كالنيروز والمهرجان؛ والمسلمون المعاصرون يشاركون النصارى في الكثير من أعيادهم ومواسمهم الدينيّة، بل يشاركون اليهود في بعض الأعياد والموالد المتعلّقة ببعض الشخصيّات التي كانت يهوديّة ثمّ أسلمت، مثل عبدالله بن سلام[3].

---

١ ـ اسماعيل د. محمود، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص ١٤٥؛ راجع: القاسمي ليلى محمّد، إقليم الجليل في فترة الحروب الصليبيّة، رسالة ماجيستير، مخطوط، ص١٧١.

٢ ـ HITTI PH., *HISTORY OF THE ARABS*, P.448.

٣ ـ اسماعيل د. محمود، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص ١٤٥.

ويضيف الباحث: إنّ القول بنصرانيّة "النصيريّة" مبعثه خطأ وقع فيه المحدثون الذين وقفوا على كتابات نصيريّ ارتدّ عن الإسلام واعتنق المسيحيّة، وانبرى في التحامل المقذع على عقيدتهم، ولعلّ "جولد تسيهر" نفسه لم يتورّع عن الاعتراف بأنّهم "موحّدون"، فهم "المترجمون الحقيقيّون للفكر الشيعيّ القويم". وما نراه أنّ التأثير النصرانيّ في "النصيريّة" لم يتعدّ بعض الطقوس إلى جوهر العقيدة، تلك الطقوس الاحتفاليّة ذات الطابع المتقارب بين الكثير من العقائد والديانات. وثمّة ادّعاءات أخرى ترى في عقيدة "العلويّين النصيريّة" ضربًا من الهرطقة والإلحاد، وأنّ ذلك ناتج عن تأثيرات فارسيّة قديمة مثل الحلول والتناسخ، وفي هذا الصدد فإنّ الأمر لا يعدو محض رموز ومصطلحات وكرامات تتّصل بالفكر الشيعيّ العامّ الذي يميّز بين الظاهر والباطن[1]، ويخيّل إلينا أنّ امتزاج الفكر الشيعيّ "الإثني عشريّ" بالتصوّف هو الذي يفسّر تلك الظاهرة، فإذا كانوا قد اتّهموا بإيمانهم العميق بالحجب والأشباح والأظلّة، فقد كانت في اصطلاحهم دلالات في مراتب نظامهم السرّيّ، فالحجب هم الأئمّة والأشباح هم النقباء والأظلّة هم الأتباع المخلصون[2]. لذلك تسقط دعاوى بعض الدارسين، مثل فيليب حتّي[3]، حين زعم أنّ "النصيريّة" "يساومون حول نبوّة محمّد وقداسة الربّ"، وفي الاتّجاه ذاته مضى "جولد تسيهر" حين قال بأنّهم "حافظوا على الوثنيّة في إطار إسلاميّ شكلانيّ.. وإنّ عقيدتهم مزيج غريب من الوثنيّة والغنوصيّة وهي نزعة فلسفيّة نشأت بتأثير الديانات اليهوديّة والبوذيّة والمجوسيّة والصينيّة والإسلام". ولعلّ هذا التضارب في أحكام الدارسين السابقين يفنّد منطقيًّا سفه أحكامهم

---

١ - راجع: غالب مصطفى، الحركات الباطنيّة في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٧٤، ٢٧٨.

٢ - راجع: غالب مصطفى، الحركات الباطنيّة في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٨٣.

٣ - HITTI, *HISTORY OF THE ARABS*, P.249.

ودعاواهم! خاصّة إذا ما علمنا أنّ كتابات "حتّي" و"جولد تسيهر"، لا تخلو من روح التعصّب ضدّ الإسلام بوجه عامّ، كما أنّ صاحب كتاب "تاريخ الشيعة" سنّيّ تصدّى بالباطل للتحامل على الشيعة عمومًا. وما نراه، حتّى لو افترضنا حسن نواياهم، أنّهم جاوزوا الصواب في فهم منزلة الأئمّة العلويّين عند شيعتهم، فخلطوا بين تبجيلهم لعليّ عليه السلام وآل بيته وبين الآراء "العرفانيّة" والأفلاطونيّة المحدثة المتأثّرة بنظريّة "الضيفي" الأرستقراطيّة. ولا مجال للخوض في ذلك، والأولى أن نوضّح مكانة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل البيت عمومًا عند المسلمين سنّة وشيعة، تلك المكانة التي وصلت إلى حدّ الغلوّ أحيانًا كنتيجة منطقيّة للمصير التراجيديّ الذي آل إليه مصير آل البيت عمومًا عبر عصور التاريخ الإسلاميّ، هذا فضلاً عن اختصاص الشيعة تحت تأثير حملة العلم من أئمّتهم بالآراء الحكميّة والفلسفيّة والعلوم الطبيعيّة أكثر من غيرهم، لذلك حظي شخص عليّ عليه السلام ومَن خلفه من الأئمّة العلويّين من بعده بمكانة جلّى في نظر الشيعة وأُحيطوا بهالة من الإجلال كالاعتقاد بعصمتهم. ولا يُعدّ ذلك في ما أرى ضربًا من الهرطقة، خصوصًا وأنّ القرآن الكريم قد اختصّهم بمكانة سامية، قال تعالى: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويطهّركم تطهيرًا﴾، فالشيعة عمومًا يميّزون بين النبوّة والإمامة؛ فالأولى، في نظرهم، انقطعت بعد محمّد صلى الله عليه وسلم، أمّا الأئمّة المعصومون المطهّرون منهم "مصدر الإرادة الإلهيّة بدون وحي ولا واسطة"[1]؛ مصداقًا للآية الكريمة ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[2].

ويوضح الباحث: قصدنا من هذا الاستطراد نفي المزاعم التي تصوّر العلويّين النصيريّة كعقيدة خارجة عن الإسلام، وما نراه أنّهم مسلمون شيعة "إثنا عشريّة"

---

١ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

٢ ـ اسماعيل، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص١٤٦ـ ١٤٧.

وليسوا إسماعيليّة كما اعتقد البعض خطأ أو عمدًا، والقرائن على ذلك وفيرة، نسوق منها اعتراف خصومهم بأنّ محمدًا بن نصير النميريّ، الذي نُسبت إليه الفرقة، كان من أتباع الإمام "الإثنا عشريّة" الحسن العسكريّ، وهو أمر يقرّه مؤرّخو الفرقة أنفسهم[1]، كما أنّ تاريخ العلويّين النصيريّة عمومًا يتّسق وطابع الاعتدال الذي يميّز "الإثنا عشريّة". فالثابت عزوفهم عن السياسة لأسباب مذهبيّة فحواها أنّ الإمام المهديّ الثاني عشر قد غاب ولا سبيل لدعوة سياسيّة إلاّ بعد ظهوره[2]، لذلك انصرف أئمّتهم الأول إلى العلم والزهد وعزفوا عن القيام بثورات ضدّ العبّاسيّين كما فعل الزيديّة، كما لم يشاركوا الإسماعيليّة سياسة الدعوة السرّيّة المنظّمة لإقامة دولة علويّة[3]. يشهد على ذلك ما رواه الشهرستاني عن جعفر الصادق الذي تُنسب إليه فرقة "الإثنَي عشريّة" بأنّه "ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا... وكان يفيض على الموالين له بأسرار العلوم... دخل العراق وأقام بها مدّة، ما تعرّض للإمامة قطّ ولا نازع أحدًا في الخلافة". ومنذ عام ٣٠٠هـ تقريبًا والشيعة الإماميّة يحاولون عقد مصالحات مع الفرق الأخرى، وفي هذا الصدد ظهر تأثّر التشيُّع بالتصوّف وتضافرا معًا على شجب العصبيّة الإثنيّة والسخائم الطائفيّة[4]. لذلك فلا غرابة أن يتأثّر المذهب "الإثنا عشريّ" خصوصًا بالتصوّف إلى حدّ الامتزاج عند بعض فرق "الإثني عشريّة"، ومنها فرقة العلويّين"[5]...

---

١ ـ راجع: الطويل، تاريخ العلويّين، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

٢ ـ راجع: الطويل، تاريخ العلويّين، مرجع سابق، ص٢٣٤.

٣ ـ إسماعيل د. محمود، سوسيولوجيا الفكر الإسلاميّ، ١: ١٣٥.

٤ ـ راجع: الشيبي محمّد كامل، التشيُّع والنزعات الصوفيّة.

٥ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص٢٦١.

لذلك لم يغلُ أحد الدارسين[1] من الحكم بأنّ هذه الجماعات "تستمدّ قواعدها وتنظيماتها وأصولها وأحكامها من القرآن الكريم والشريعة الإسلاميّة، ومن التعاليم والإرشادات التي جاء بها الأئمّة من آل بيت النبيّ الأطهار". وشأنهم شأن الشيعة عمومًا كانوا يأخذون الأحاديث النبويّة عن أئمّتهم فقط، وكان من رواتهم المفضّل بن عمر الجعفيّ وجابر بن يزيد الجعفيّ ومحمّد بن نصير النميريّ البصريّ[2]. وللسبب نفسه اتّسمت كتبهم، التي اطّلع عليها د. مصطفى غالب[3]، بالكثير من الكرامات والمعجزات والخوارق الخاصّة بالأئمّة، ونعتقد بأنّ امتزاج مذهبهم بالتصوُّف قد فتح الباب على مصراعَيه لتفشّي تلك الظاهرة، وربّما يردّ ذلك أيضًا إلى تقوقعهم في جبل العلويّين، وما يفضي إليه ذلك من تحجّر في الأفكار والمعتقدات التي تشبّثوا بها نتيجة تعرّضهم لأخطار القوى المعادية المجاورة[4].

ويورد باحث آخر[5] تحت عنوان "دسائس لا بدّ من كشفها"، فيبيّن بالتفصيل الأخطاء والمغالطة والتجنيّات التي أوردها كلّ من الشهرستاني وإبن تيمية والقلقشندي عن معتقد العلويّين.

قيل الكثير في معتقدات العلويّين، وبوسع الدارس لهذه الأقوال أن يلاحظ بعض التجنّي عليهم من خلال التناقضات الواردة فيها. ولا عجب من ذلك لأنّ أكثر مَن وضع تلك النظريّات التي يصحّ أن تُسمّى بالاتهامات، هم من خصوم العلويّين

---

١ ـ غالب، الحركات الباطنيّة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٦٧.

٢ ـ غالب، الحركات الباطنيّة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٨٤.

٣ ـ غالب، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

٤ ـ اسماعيل، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص١٤٢ ـ ١٥٠.

٥ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص٥٩.

وأحيانًا من أعدائهم. وما يجب أخذه بعين الاعتبار هنا، هو أنّ العقيدة العلويّة عقيدة باطنيّة، فيها القول بالباطن والظاهر، وبذلك يصبح الأخذ بأيّ كلام حول حقيقة معتقدها ضربًا من التقدير. ففي الباطنيّة، قول بالحقيقة والشريعة، وبالمرموز والرمز، وبالمثول والمثال، فإنّ "الظاهر في تقلّب مستمرّ مع حقب العالم وأدواره، أمّا الباطن فطاقة إلهيّة غير خاضعة للصيرورة"[1]. وأفضل تعبير عن هذه العقيدة قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "ما من آية قرآنيّة إلاّ ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحدّ ومطّلع. فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ أحكام الحلال والحرام، والمطّلع مراد الله من العبد بها". وأشار جعفر الصادق إلى ذلك بقوله: "إنّ في كتاب الله أمورًا أربعة: العبارات والإشارات واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء". والباطن هو العلم الذي لا يُباح به حسب قول زين العابدين: "وربّ ظاهرِ عِلم لو أبوح به لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا". لذلك فإنّ القول بالباطن يحتّم القول بـ "التقيّة" لأنّ الباطن حقيقة، والحقيقة يجب ألاّ يطّلع عليها إلاّ أهلها ومستحقّوها، وباعتبارهم أنّ القرآن الكريم أشار إلى ذلك: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2]. وقال الإمام جعفر الصادق: "قضيّتنا سرّ أمر دائم السرّ لا يكشف عنه إلاّ سرّ آخر، إنّه على سرّ، يكتفي بسرّ".

أمام هذا الواقع الواضح، يصبح مشكوكًا في صحّة كلّ مرجع يتحدّث عن العقيدة العلويّة النصيريّة، وإن كان قد ظهر مؤخّرًا العديد من هذه الدراسات[3]. غير أنّ

---

١ ـ هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الاسلاميّة، الجزء الأوّل، ص ٤٢.

٢ ـ من الآية ٥٨ من سورة النساء.

٣ ـ منها: كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة، تأليف سليمان أفندي الأذني، نشر: دار لأجل المعرفة (بيروت، ١٨٦٣ أولى ١٠٨٨ ثانية)؛ أبو موسى الحريري، العلويّون النصيريّون، دار لأجل المعرفة (بيروت، ١٩٨٧)؛ أنور ياسين، تعليم الدين العلوي، دار لأجل المعرفة (بيروت، ١٩٨٦)؛ الدكتور صابر طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، المكتبة الثقافيّة (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)؛ الدكتور عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميّين، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٨٣ طبعة ٣).

العلويّين قد وضعوا حدًّا لتلك الاجتهادات من خلال ما أعلنوه بوضوح سنة ١٩٧٢، كما سيأتي لاحقًا، ومن خلال جملة بلاغات لرجال الدين العلويّين، نُشرت في أكثر من مناسبة، نقتطف منها بعضًا في ما يلي.

مذكِّـــرة

عَام ١٩٣٦

في سنة ١٩٣٦، كثر القيل والقال، عن معتقد الطائفة الإسلاميّة العلويّة في سوريا، من قِبَل أصحاب الأغراض المشبوهة، والعقول الضعيفة، ممَّن عملوا ولا زالوا يعملون على تمزيق الصفّ المسلم وتشتيت كلمة المسلمين، فقام علماء العلويّين في سوريا وعقدوا مؤتمرًا علويًّا لكافّة رجال العلويّين ووجوههم، في قرية القرداحة، قضاء جبلة، في شهر تمّوز (يوليو) ١٩٣٦، وقد رفعوا مذكّرة إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة، وكانت من أهمّ المذكّرات إذ جاء فيها:

> إنّ العلويّين ليسوا سوى أنصار الإمام عليّ عليه السلام، صهر رسول الله ﷺ ووصيّه، وأوّل مَن آمن بالإسلام، ومَن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلاميّ مكانه.. فليس الكاثوليكيّ والأرثذوكسيّ والبروتستانتيّ سوى مسيحيّين.. وليس العلويّ والسنّي سوى مسلمين، ففي المثل الأوّل لا تُبطل الكثلكة أو الأرثذوكسيّة أو البروتستانتيّة مسيحيّة المسيحيّ، وفي المثل الثاني لا يبطل القول برأي الشيعة أو برأي السنّة إسلام المسلم، إنّ القرآن الشريف هو كتاب العلويّين، سواء أكانوا طلاّب وحدة أم طلاّب انفصال، ومَن كان القرآن الكريم كتابه فهو مسلم، أحبّ أم كره، إلاّ أن يرتدّ عن الإسلام[1].

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٩٥.

فَتوَى العلمَاء

سنَـة ١٩٣٨

في سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، نشرت مجلّة المرشد العربيّ في اللاذقيّة لمنشئها الشريف عبداللّه آل علويّ الحسيني، فتوى السادة علماء الطائفة المسلمة العلويّة، ردًّا على الضجّة المفتعلة في أيّام الاستعمار الفرنسيّ البغيض وهذا نصّها:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الإِسْلاَمُ. وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]. و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّه وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

قرأنا هذا البهتان المفتري على العلويّين، طائفة أهل التوحيد، ونحن نرفض هذا البهتان أيًّا كان مصدره، ونردّ عليه بأنّ صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب اللّه الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّه الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]. وأنّ مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام والأئمّة الطاهرين (ع) سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيّين محمّد بن عبداللّه رسول اللّه ﷺ حيث يقول: "إنّي تارك فيكم الثقلَين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما". هذه عقيدتنا نحن العلويّين أهل التوحيد، وفي هذا كفاية لقوم يعقلون".

---

١ ـ بعض من الآية ١٩، والآية ٨٥ من سورة آل عمران.

٢ ـ آل عمران: ٦٤.

٣ ـ الإخلاص: ١ ـ ٤.

التواقيع: مفتي العلويّين في قضاء صهيون يوسف غزال، المحامي عبد الرحمَن بركات، قاضي طرطوس علي حمدان، صالح إبراهيم ناصر، عيد ديب الخير، كامل صالح ديب، يوسف حمدان عبّاس، مفتي العلويّين في قضاء جبلة عليّ عبد الحميد، الفقير للّه تعالى صالح ناصر الحكيم، حسن حيدر، قاضي المحكمة المذهبيّة في قضاء مصياف، محمّد حامد، في ٩ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٧هـ.[١]

فَتوَى الرُّؤَساء الرُّوحِيِّين
فِي صَافِيتَـــــــــــــــــا

وفي ما يلي، صورة عن فتوى الرؤساء الروحيّين في صافيتا، المنشورة في جريدة "النهار" البيروتيّة:

طالعنا في عدد جريدتكم الغرّاء المؤرّخ في ٣١ تمّوز (يوليو) سنة ١٩٣٨ عدد ١٤٤٨، مقالة لمراسلكم في اللاذقيّة تحت عنوان "هل العلويّون مسلمون؟"، تتضمّن المفتريات الكافرة التي نسبها المحامي إبراهيم عثمان لعقائد العلويّين، وتكفيره لهم، بادّعائه وزعمه أنّهم ليسوا بمسلمين، ينكرون، والعياذ باللّه، وناقل الكفر ليس بكافر، شهادة أن "لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّدًا عبده ورسوله"، وأنّهم يدينون بدين غريب يقوم على فكرة التثليث، وينكرون فكرة التوحيد، لذلك فقد اجتمعنا، نحن الرؤساء الروحيّين في قضاء صافيتا، وأصدرنا الفتوى الآتية، راجين نشرها بنفس الصفحة التي نشرتم بها كلمة المراسل، عملاً بقانون المطبوعات.

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٩٣ ـ ٩٤.

إنّ تصريحات المحامي المومأ إليه، هي محض الكفر الصحيح، وإنّ المسلمين العلويّين بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشدّ الاستنكار ويتبرّأون منها ومن مثيريها إلى اللّه ورسوله ﷺ، ويعلنون في الدنيا والآخرة أنّهم على شهادة لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، شهادة حقّ وصدق، فمَن آمن منهم بالشهادتَين والوحدانيّة، فهو منهم، ومَن جحدها فهو غريب عنهم وكافر بهم، ومَن يتّخذ من أتباع المسلمين العلويّين مذهب الإمام جعفر الصادق (ع) سببًا لإبعادهم عن الدين الإسلاميّ الحنيف نعتبره، بدعواه، جاحدًا ناكرًا للصدق، عاملاً بالباطل.

التواقيع: الشيخ ياسين عبد اللطيف ياسين يونس، الشيخ علي حمدان قاضي المحكمة المذهبيّة الشرعيّة بطرطوس، الشيخ يوسف إبراهيم قاضي المحكمة المذهبيّة الشرعيّة بصافيتا، الشيخ محمّد محمود، الشيخ محمّد رمضان، شوكت العبّاس، الشيخ عبد الحميد معلا. صافيتا، في ٣ آب (أغسطس) ١٩٣٨.[١]

مَن هُم العلَويُّون

في شرح مقتضبَ أورده الشيخ عبد الرحمن الخير، في مجلّة "النهضة" السوريّة، جاء أنّ العلويّين هم إحدى فرق الإسلام، إماميّون عرب أقحاح، قضت عليهم أسباب جمّة، أهمّها ضغط بعض الأحكام الظالمين في عصور التاريخ الإسلاميّ، أن يجتمعوا في جبال هذه البلاد، منذ بضعة قرون ونيف، ملتجئين من جور السياسة الخرقاء

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص٩٤ ـ ٩٥.

والتعصّب الأعمى، إلى أحراج البلاد ومعاقلها المنيعة، وإلى التكتّم في إقامة شعائرهم الإسلاميّة الخاصّة، والتساهل في التظاهر ببعض شعائر الأقوياء المسيطرين يومئذ، حفظًا لكيانهم الطائفيّ، وحقنًا لدمائهم، وعلى توالي الأيّام، أصبح التكتّم شبه غريزة فيهم، ودخل ذلك التظاهر، ببعض الشعائر الأجنبيّة عن الإسلام، في عداد عاداتهم، لا ينكره جمهورهم، ولا تقرّه خاصّتهم، وهذا ما جعل الظنون تحوم حول معتقداتهم، وذهاب الآراء في التخمين والتقويل كلّ مذهب. وإنّنا لا نعلم بالتدقيق تاريخ تظاهرهم بالعادات الغريبة عن الإسلام، ولكنّا نرجّح أنّ بعضه كان على عهد الصليبيّين، نستند في ترجيحنا هذا إلى أنّ السلف لم يكونوا ليعترفوا بهذه العادات، كشعائر مذهبيّة، لأنّها لم ترد البتّة في أشعارهم، ولا رسائلهم، ولأنّه، في بعض نواحي البلاد، لا أثر البتّة لهذه العادات، فهناك وسط صافيتا وساحلها ليس فيهما مَن يحسب حسابًا "للميلاديّة أو القوزلي" أي رأس السنة المسيحيّة الشرقيّة، وهناك الجهة الجنوبيّة من البلاد، أي أقضية طرطوس، صافيتا، تلكلخ، فإنّ أهليها لا يعرفون متى تكون الزهوريّة، ١٥ نيسان (إبريل) شرقيّ، التي يتجمهر فيها أهل الشمال من قضائَي صهيون واللاذقيّة، في حين أنّ الساكنين الوسط في أقضية جبلة وبانياس ومصياف، يقيمون موسم الرابع، في ٤ نيسان (إبريل) شرقيّ، في مواقع عديدة، بقصد البيع والشراء والأفراح. هذا الإختلاف البيّن وعدم ذكر السلف لهذه العادات، يجعلنا نجزم بأنّها دخيلة وحديثة العهد، وأبيَن ما عرف به العلويّون تخصّصهم للإشتغال، منذ أقدم أيّامهم حتّى اليوم، بعلم التوحيد: أي معرفة اللّه، بالبراهين العقليّة المستندة إلى الشواهد النقليّة، من النصّ الكريم، والحديث الشريف، وروايات الأئمّة من آل الرسول ﷺ، فإنّ تبويب هذا العلم، والتوسّع فيه، وتعليمه إلى أتقياء الطلبة المجتهدين، رافق خاصّتهم، منذ افتراقهم عن سواهم من الفرق الإسلاميّة، حتّى عصرنا هذا. وممّا لا يترك مجالاً للتردّد في صحّة

هذا القول كثرة ما عندهم من المؤلّفات القيّمة التي يرجع تاريخ أسبقها إلى صدر الإسلام، ولم ينقطع حتّى اليوم ظهورها، وكلّها تدور تقريبًا حول المسائل الآتية: إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى، بالمعقول والمنقول، إثبات النبوّة عن طريق البرهان والدليل، إثبات الإمامة بالحجّة العقليّة والنقليّة، اللفظ والمعنى وعلاقتهما بصفات الخالق، وجوب صفات الكمال للباري تعالى، تنزيه عن صفات المحدثات، أصل البشر، آداب الحياة والرياضة الروحيّة، المعاد، حدوث الكون وفناؤه... والواقف على هذه الكتب الخطيّة القيّمة يدرك مقدار اهتمام العلويّين بالتوحيد، الذي اشتقّوا منه إسمًا لهم، منذ ألف سنة ونيّف، فهم يشيرون دائمًا في هذه إلى فرقتهم بـ"الموحّدة". ومن أظهر ما يُعرف به العلويّون، عنايتهم بالفلسفة الروحيّة العالميّة، ومقابلتها بالأديان الإلهيّة، وتوفيق ما يمكن توفيقه، وردّ ما يختلف إلى البدع والهرطقات التي كان يلفّقها معارضو الدين والفلسفة الصحيحة، ويستنتجون من كلّ ذلك وحدة الأديان، ووحدة غايتها التي جاء الإسلام بالبراهين عليها، ودعمها بالحجج الدامغة. هذه الظاهرة الفكريّة، التي يمتاز بها العلويّون، هي ما جعلت بعض الجهلاء، وذوي الغايات الدنيويّة، يلصقون بهذه الطائفة تهمات الوثنيّة والكفر، وينسبونهم إلى أديان أخرى غير الإسلام.

ويضيف الشيخ عبد الرحمن الخيّر: بعد ما تقدّم، فإنّنا نعترف بأنّ عصر الانحطاط الفكريّ الذي يتلو البحث فيه هذه الأسطر، قد شوّه مظاهر هذه المؤلّفات القيّمة، بالنساخة والتعليق، حيث حذف منها وأضيف إليها، وعلى الأغلب، من قبيل التفسير في مسائل الفلسفة العقليّة والقضايا المنطقيّة الصعب فهمها، إلاّ على المتخصّصين لذلك، من رجال المذاهب. وهذا التشويه، هو ما يجعل نشر تلك الكتب متعذّرًا جدًّا، فعسى فطاحل علمائنا الغيورين يهتمّون بإصلاح ما فيها من غموض أو خروج عن الجادة،

سببهما الرمز بالمعيّات، والتلميح إلى الفكرة المستغربة، بدلاً من التصريح بها. تلك الخطّة التي كانت شائعة في أعصر الخوف والحذر، اللذَين كانا ملازمَين لأكثر المشتغلين بالعلوم العقليّة أو الفروق المذهبيّة. ولئن أحجم علماؤنا عن هذا الواجب، خوفًا من سهام النقد، أو من تقوّلات بعض الجهلاء، وهربًا من الظهور والشهرة، كما هي عاداتهم، فإنّ النشء المتعلّم تعليمًا صحيحًا، والدارس دراسات عالية صحيحة لا زائفة، سيجنح إلى تأدية هذا الواجب الشريف، فيؤدّي بذلك ما في عنقه من أمانة واجبة التأدية.

ويضيف: يصعب جدًّا على الباحث في تاريخ العلويّين، أن يستند من كتبهم على التحديدات الزمنيّة، ذلك لأنّه لم يصل إلينا من آثار علمائهم، شيء يبحث في غير الدين، اللّهمّ إلاّ إذا استثنينا بضع كتب، في ترجمة الأولياء الصالحين من العلماء المدقّقين، تتناول ترجمة دينيّة تشير إلى ملخّص اعتقادهم، وبعض أشعارهم الدينيّة، ويندر أن تذكر هذه الترجمات بسنة الولادة أو الوفاة، فلا تكاد تخرج عمّا استثنيناه فيه. لكن مع كلّ هذا، فإنّ التوفيق في دراسة أساليب التعبير، ومقابلة التراجم الجمّة، والتعمّق والتقصّي، كلّ هذا يبرهن أنّ بدء الجمود كان في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، حيث تكاد أعمال المؤلّفين تقتصر، في ذلك الحين وما يليه، على إعادة وتكرار ما كتبه سابقوهم من العلماء، دون أن يضيفوا شيئًا يُذكر، لا من قبيل التوضيح ولا من قبيل حسن التبويب وسهولة المأخذ، وهذا يدلّ على قلّة الاطّلاع، وعلى شتّى فروع العلوم وأنواعها. ومن المعلوم أنّ جمود الخاصّة يسبّب انحطاط الجمهور، وها نحن اليوم نراقب نتائج الانحطاط بمرارة أسف مؤلمة.

ويرتّب الشيخ عبد الرحمن الخيّر أسباب الجمود والإنحطاط بحسب أهميّتها، كما يلي:

أ ـ توالي الإعتداءات على هذه الطائفة منذ ثلاثة عشر قرنًا حتّى اليوم، اعتداءات كان يستهلك بعضها كلّ ما تملك، فتنهب مواشيها وأموالها وتحرق بيوتها بما فيها من أثاث ومقتنيات، ويقتل علماؤها ومشاهيرها، الأمر الذي أضاع آثارها الفكريّة القديمة، إلاّ ما حفظته بحروفه وألفاظه، صدور الحفظة من رجالها، أو ما وعاه علماؤها. ومن هذا العلم، إن بقي حتّى اليوم، هو قليل من كثير.

ب ـ الإنزواء في هذه الجبال والعيش الفطريّ، بحكم هذه المناطق الجبليّة القاحلة، وبحكم ما خلّفته في عقليّة العلويّين تلك التعدّيات الجائحة المتتابعة، من تفضيل الإنصراف الكلّي إلى التعبّد وعدم الإنشغال بشيء آخر، مثل تشييد جميل البنيان، أو جمع الثروات الطائلة أو اقتناء الكتب الفخمة، إذ ما الفائدة من كلّ هذا وهو لا يلبث أن يكون نهب أيدي الأقوياء المعتدين، وطعم نيرانهم، وضحيّة تعصّبهم وانتقاماتهم الجنونيّة؟

ج ـ وعلى توالي الأيّام، استحالت هذه الفكرة السالفة إلى القول بكراهية طلب أي فرع كان من العلوم، غير علم معرفة اللّه، وإلاّ ما لا يستغنى عنه في أشدّ مرافق الحياة ضرورة. ورسخ هذا القول بمرور الزمن، وتضخّم في عقليّة الجمهور، حتّى جاء يوم يستنكر فيه العامّة عمل مَن يدرس قواعد اللغة وأصولها، فضلاً عن العلوم العصريّة الحديثة.

د ـ مبالغة علمائهم في الزهد، وهربهم من الشهرة، وتعمّدهم عيشة الخمول والتقشّف، حتّى كادوا أن يكونوا أشبه بفقراء الهنود منهم بعلماء المسلمين.

ويلفت الشيخ عبد الرحمن الخيّر في توجيهه النيّر إلى وجوب العودة إلى الينابيع، فيذكر:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا".

ويقول النبيّ ﷺ لنفر من صحابته كانوا قد اتّفقوا على نبذ الملاذ الدنيويّة: "إنّ لأنفسكم عليكم حقًا، فصوموا وافطروا وقوموا وناموا، فإنّي أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم الدسم وآتي النساء".

ويقول أوّل أئمّتهم عليه السلام لإبنه محمّد بن الحنفيّة: "يا بنيّ، إنّي أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت".

ويقول سادس أئمّتهم عليه السلام: "كونوا لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا".

ويستدرك: لا نشير، بإيرادنا هذه الأحاديث هنا، إلى أنّ في الانقطاع إلى الله وفي الزهد مغمزًا، كلاّ... وإنّما نقصد أنّ النبيّ ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا مستوفي شروط الفضيلة المؤهّلة للنبوّة والإمامة، فكما كانوا رجال زهد وعبادة، كانوا رجال علم وكياسة، فليس من شروط أتباعهم الاقتداء بهم، في شأن من شؤون سنّتهم، وإغفال شؤونهم...

هـ - ومن الأسباب الحديثة العهد، في العمل على انحطاط العلويّين، اعتبارهم منذ زمن قريب "المشيخة" أي الرئاسة الدينيّة، وراثة. وإغداقهم الهبات باسم "الزكاة" على الأكثر، إن لم نقل على الكلّ، ممّن ينتمي إليها، ولو بشارة فقط، والحكم على الكلّ بما يبدو من البعض، ممّا لا يوافق العادات المأثورة، وإنزال سوادهم الخرافات من الروايات منزلة الحقائق المسلّم بها، الأمر الذي فسح لكثير من الممخرقين أن يلعبوا بالعقول السانجة، ما شاءت لهم الغايات والجهل.

بَشائـــــــــــر
اليَقظَةِ الأولَى

وتحت عنوان "بشائر اليقظة الأولى"، يقول الشيخ عبد الرحمن الخيّر:

في العقود الأولى من القرن الهجريّ الثالث، بدت في البلاد بشائر يقظة منعشة، برهنت على أنّ النار لم تفارق الرماد، وعلى أنّ الشعوب تهجع ثمّ تهبّ من سباتها، وها نحن نستعرض آثار هذه اليقظة، على الترتيب التالي:

أ - في الجنوب

إنّ الوليّ الكبير المغفور له الشيخ عبد العال، المعروف بالحاج معلاّ، الجدّ الأكبر لعائلة بيت الحاج، قصد، سنة ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨م، البيت الحرام لأداء فريضة الحجّ المقدّسة، وفي عودته مرّ بمصر، واستحصل على إذن ببناء مسجد في قريته، إذ كانت سوريا يومئذ في حكم محمّد علي باشا، وابتنى المرحوم الحاج، فور وصوله، المسجد العامر حتّى اليوم، في قرية بيت الحاج من أعمال طرطوس، وقام بالإمامة فيه مدّة عشرين سنة، لم يفتر أثناءها عن بثّ روح اليقظة، ومحاربة الأميّة بين سواد الشعب.

وخلف المرحوم الحاج أبناؤه في نشر العلم والإرشاد، وعلى رأسهم خليفته المرحوم الشيخ عبد اللطيف الحاج، الذي لا يزال الناس، حتّى اليوم، يتناقلون الحديث عن حسن خطابته في الجمعة والأعياد. وكان كأبيه من الحفظة للقرآن الكريم.

وفي ذلك العهد نفسه، اشتهر في علم الفلك الوليّ الكبير المغفور له الشيخ يوسف مي، الجدّ الأكبر لعائلة بيت الحامد في رأس الخشوفة بصافيتا، وأتقن عنه هذا الفنّ خليفته الوليّ العظيم الواسع الرحمة الشيخ محمّد يوسف، المشهور، كأبيه في الزهد والعبادة والتفقّه.

وانتهى علم الفلك إلى سميّه الشيخ محمّد يوسف القاطن حاليًا في مزرعة بيت بلول بصافيتا. وقد شاهدتُ بنفسي عنده كتبًا قيّمة يرجع تاريخها إلى عصر العبّاسيّين المزدهر، كما شاهدت عنده آلات يونانيّة الطراز، لرصد الكواكب منها اسطرلاب دقيق يضبط الشيخ المذكور بواسطته حصول الكسوف والخسوف، بتدقيق غريب.

وخلّفت تلك اليقظة الجامع الجميل، في بيت الشيخ يونس بصافيتا، الذي شرع في ابتنائه كلّ من الوليَّين العظيمَين المغفور لهما: الشيخ غانم ياسين، والشيخ عبد الحميد أفندي، الذي نُسب إليه آنئذ أعمال سياسيّة. فنُفي إلى طرابزون[1]، وتزوّج منها وعاد مكرَّمًا، ثمّ أتمّ الجامع المذكور الوليّان الكبيران المرحوم الشيخ ياسين يونس والشيخ سليم غانم سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٧١م، وقد قام المرحوم الشيخ ياسين، الآنف الذكر، بإمامة الجامع طيلة حياته، وخلفه ولده العلاّمة محمّد ياسين الذي سيأتي ذكره.

ومن آثار تلك اليقظة مسجد الخضر في تلّة الطليعي بصافيتا، وآخر في ضهر بشير بصافيتا، وفي كلّ من هذه المساجد لا تزال، حتّى اليوم، تُقام الصلوات في الأعياد والجمعات، وأغلب الأوقات اليوميّة، وفي ذلك العصر نفسه، اشتهر بالفقه وعلوم اللغة العربيّة المرحوم الشيخ علي القاضي، المعروف بالشيخ علي بدره في صهيون بصافيتا، وقد نُسب إلى أمّه لأنّه رُبي يتيمًا عند الشيخ يوسف مي، واستقدمه الشيخ يونس ياسين، إلى قرية بيت الشيخ يونس، حيث نصّبه قاضيًا ومعلّمًا، ولهذا عُرف هو وعائلته من بعد، ببيت القاضي، وعنه أخذ اللغة نفر من أبناء العائلات الشهيرة، نذكر منهم اثنَين فقط: أولهما المرحوم الشيخ محمّد ياسين الفقيه العابد، حفظ القرآن الشريف في العقد الرابع من عمره، ودرس اللغة التركيّة بعد ذلك، وكان من

---

[1] ـ طرابزون: مدينة في أرمينيا التركيّة.

ذوي الغيرة الفائقة على نشر العلم وإقامة السنّة الشريفة، وله في هذا حوادث مشهورة، كما لــه شعر حسن فـي التوسّل، ومـدح النبـيّ الكريـم ﷺ وآل البيـت الطـاهرين (ع)، وأوليـاء العصـر؛ وثانيهمـا: المرحـوم الشـيخ عبـد الكريـم الحـاج، الـذي تولّـى التعليـم الحكوميّ في مدرسة بحنين، على عهد متصرّف اللاذقيّة المصلح المرحوم ضيا باشـا، والقضـاء المذهبيّ في طرطوس، على عهد الانتداب، وله شـعر عـامر فـي مـدح النبـيّ الكريم ﷺ وآل البيت الأطهار (ع)، وأولياء عصره، وكان فقيهًا عـابدًا، وعالمًـا غيورًا أخذ عنه الأديب الفاضل الشيخ محمّد حامد، قاضي المحكمة المذهبيّة في مصياف.

وفي ذلك العهد، نبغ في علم الفقه، وخاصّة في فرع الإرث، الولـيّ الكبير الزاهد العلاّمة الشيخ مصطفى مرهج، المعروف بالسـيّد، الجدّ الأكبر لعائلـة بيت السيّد فـي عمرا بصافيتا. وعنه أخذ ابنه الوليّ الزاهد الشيخ إبراهيم السيّد، وقد نبغ كأبيه، ولهمـا في الزهد أحاديث تجدّد عهد إبراهيم بن أدهم الوليّ العظيم؛ وانتهى نبوغ هـذه العائلـة الكريمة في الفقه إلى الشيخ إبراهيم السيّد، كاتب المحكمة المذهبيّة بصافيتا سـابقًا، ولـه جولات في تقسيم الإرث، تشهد على سـعة اطّـلاع، وذكـاء خـارق، وممارسـة طويلـة، وهو لا يزال حتّى اليوم، فـي تقسـيم الإرث، مرجعًـا للجميـع، وأقـدر أهـل البـلاد علـى اختلاف مللهم ونحلهم.

وأبيَن ما فعلته تلك اليقظة الحميدة، إتّفاق أفاضل البلاد يومئذ، على محاربة التفرقة العشائريّة، وفي طليعتهم المغفور لـه الشـيخ عبّـاس جـابر، الجـدّ الأكبر لبيـت العبّـاس الطليعي بصافيتا، والوليّ المغفور له الشيخ إبراهيم مرهج، الجدّ الأكبر لآل مرهج فـي بيت ناعسة بصافيتا، والوليّ المرحوم الشيخ عمران الزاوي في ضهر بشـير بصافيتـا، أفاضل العائلات السالفة الذكر: آل الحاج، وآل ياسين، وآل يوسف مـي، والمغفـور لـه الشيخ الأكبر آل محيي الدين بجورة الجواميس بصافيتا، وبينه وبين المغفور لـه الشـيخ

خضر الأحمد، الجدّ الأكبر لآل معروف، مراسلات علميّة فريدة، وغيره.. وغيره من مشايخ العصر، وجهادهم معًا في جمع الكلمة على البرّ والتقوى، وجهودهم المتواصلة في نشر المعرفة والأخلاق الطيّبة، وتشدّدهم في إقامة الشريعة الغرّاء رحمهم اللّه أجمعين.

ومن الآثار البارزة التي خلّفتها تلك اليقظة، الوليّ المغفور له الشيخ عبد اللطيف ببيت ناعسة بصافيتا، وكان أديبًا كبيرًا وعالمًا فقيهًا، وشاعرًا مجيدًا، وله كتابات في مجلّة العرفان بصيدا، وترجمة في الجزء السابع من المجلّد التاسع في المجلّة المذكورة، ودرس عليه نفر، أشهرهم من الأحياء: الأديب الفاضل الشيخ يوسف إبراهيم يونس، قاضي المحكمة المذهبيّة في صافيتا حاليًّا؛ والوليّ الفاضل محمّد محمود جابر في تلّة الطليعي بصافيتا، وهو عالم فقيه، وأديب شاعر، وأستاذ كبير درس عليه الشيخ عليّ عبّاس في بحوزي بصافيتا، ومسكنه الآن مزرعة الجباب بطرطوس؛ والشيخ يونس يوسف بتلّة الطليعي بصافيتا، وكلّهم يتمتّعون بثقة طيّبة تدلّ على فضلهم وأدبهم.

فالشيخ يونس المذكور علّم فنون اللغة، لنفر من أبناء العائلات العلويّة في كيليكيا، ولا يزال يعلّم مَن يقصده من أهل البلاد. والشيخ علي عبّاس باشر التعليم الخصوصيّ عشرين سنة في قريته بحوزي بصافيتا، وممَّن درس عنه هناك الأديب الكبير عبد الكريم الخيّر، والشيخ حسين حرفوش، واللذان سيأتي ذكرهما في بحثنا القادم عن يقظة الشمال.

ثمّ افتُتحت، في أواخر الحرب الكونيّة، مدرسة كبرى في قرية العنازة ببانياس، جمعت أكثر من مائة وعشرين طالبًا، وستّة معلّمين، كلّهم علويّون. وكاتب هذه الأسطر الشيخ عبد الرحمن الخيّر، يفتخر بأنّه درس أصول الدين واللغة فيها، على

هذا الأستاذ المبرّز، بسهولة الأسلوب وقصر مدّة التعليم. ولأسباب قاهرة لم تعمّر تلك المدرسة، مع الأسف، إلاّ عامَين فقط. والوليّ المرحوم الشيخ عبد الكريم محمّد، بمصطبة حمين بصافيتا، وكان علاّمة محدثًا وفقيهًا كبيرًا وشاعرًا مجيدًا، ويكفي شاهدًا على فضله، مجموعة مراثيه التي يشترك في تحبير قصائدها عارفو فضله وأدبه.

ولو تقصّينا ذكر المشاهير ممَّن أنجبت تلك اليقظة المباركة لاحتجنا إلى كتاب خاصّ، لكنّنا نختتم موجزين، بذكر علم من أعلامها، ذلك هو الوليّ المغفور له الشيخ علي سليمان من المريقب بطرطوس، صاحب المسجد في الشيخ بدر بطرطوس، ووالد البطل العلويّ الخالد الشيخ صالح علي المشهور، وهو كأبيه المرحوم، عالم فقيه، غيور على معالم الشريعة السمحاء.

ب ـ في الشمال

لم تكن بوادر اليقظة الأولى بارزة في الشمال مثلها في الجنوب، وذلك لأسباب اجتماعيّة أهمّها، على ما أرى، أنّ القسم الجنوبيّ من البلاد كان متعرّضًا، أكثر من القسم الشماليّ، بالاحتكاك مع البلدان المجاورة ومع الحكومة يومئذ. ولهذا التعرّض سبب هو، أنّ مركز الحكومة، في قضاء صافيتا، كان في الدريكيش قلب البلاد الجنوبيّة، وسكّان هذه القصبة هم مسلمون علويّون، أي من نفس الأكثريّة الساحقة في سكّان القضاء، فكان ابن قرى صافيتا، زعيمًا كان أو فلاّحًا، لا يجازف بكرامته الشخصيّة، إذا حضر إلى مركز الحكومة.

أمّا القسم الشماليّ فقد كاد أن يكون، في ما مضى، بشبه عزلة تامّة عن البلدان المجاورة وعن الحكومة، لأنّ مركز السلطة فيه كلّها في المدن الساحليّة، ما عدا مركز صهيون بـ "أبنا"، لكنّ سكّانه، مثل سكّان بقيّة المراكز الساحليّة، مسلمون سنّيّون، والعداوة، كما لا يخفى، كانت على أشدّها بين الأخوَين العلويّ والسنّيّ، فكان ابن

القرية، عندما تضطرّه المصالح إلى زيارة مراكز الحكومة، يعرّض كرامته الشخصيّة والمذهبيّة إلى الهوان، بأيدي الجهلاء من إخوانه أبناء المدينة، هكذا كان شأن ابن المدينة في القرية، والحكومة في ذلك العهد، كانت حكومة إرهاق، وموظّفوها كادوا أن يكونوا كلّهم أنانيّين، ونحمد اللّه على أنّ ذلك العهد قد مُحي الآن، فالحكومة اليوم هي منبثقة عن الأمّة، ساهرة على الإصلاح والمساواة، والأخوان المتباغضان بالأمس، بدأت معاهد العلم ومحن الزمان، منذ أعوام، تؤلّف بين قلوبهم وترشدهم إلى المصلحة المشتركة، بحكم الدين واللغة والوطن.

وقبل أن نبتعد كثيرًا، نعود إلى الموضوع، فنقرّر قضيّة اجتماعيّة هي أنّه من الثابت أنّ اختلاط البشر واحتكاكهم، بسبب رقيّ الهيئة الاجتماعية، لما يضطرّ إليه الفرد من بذل الجهود، للمحافظة على كرامته وللظهور بالمظهر اللائق المشرّف، كما أنّه من الثابت أيضًا، أنّ التقاطع، أو حياة العزلة، تسبّب نشوء فروق وميّزات، بين أبناء الأمّة الواحدة المتقاطعة على التوالي، يسبّب ذلك الانحطاط للهيئة الاجتماعيّة، بل اندثارها إذا طالت المدّة. ومن حسن الحظّ، فإنّ حياة العزلة التامّة يندر وقوعها، أو لا تكون البتّة، لكنّما بقدر شدّة التقاطع والعزلة تكون الفروق، ويكون الانحطاط والتأخّر.

لهذا السبب عينه، كانت اليقظة في الجنوب أبيَن منها في الشمال، ومع ذلك، فقد بدت بشائرها بشكل يسترعي انتباه المؤرّخ المدقّق، وها نحن نستعرض منها ما يأتي، مراعين الترتيب بحسب السبق الزمنيّ، جهد المستطاع.

١ ـ في دير ماما بقضاء مصياف، نبغ في الفقه، الوليّ الكبير المرحوم الشيخ علي الناعم، الجدّ الأكبر لعائلة الناعم بغلمشيّة في جبلة، ودير ماما مصياف، وقد كان هذا العلاّمة الفذّ معاصرًا للمرحوم الحاج وجهابذة ذلك العهد، وكان، رحمه اللّه، لا ينفق إلاّ ممّا يكسبه من جهوده الجثمانيّة. ومن الغريب أنّ عالمًا فاضلاً، كالشيخ علي الناعم،

كان يعيش من تعب كفّيه، بين العلويّين المعروفين، على الأخصّ في ذلك العهد، بالإنفاق من سعة على العلماء العبّاد. ولكنّه الزهد الصادق، ولكنّه بعد النظر والرقيّ الفكريّ أيضًا، فإنّ هذا العلاّمة مارس صناعات يدويّة أتقن منها اثنَين هما: البناء والصياغة، وغرضه من ذلك، علاوة على الكسب الماديّ، تشجيع الأمّة على تعلّم وممارسة الصناعات، وحبّذا لو اقتدى به اليوم كثير من شيوخنا الذين يجولون البلاد لجمع ما ينفقونه.

٢ ـ وفي الزويبيّة بجبلة، نبغت عائلة بيت الحكيم، بفنّ الطبابة، على الطريقة الشرقيّة، وخاصّة في ما يتعلّق بالعيون وأمراض الجلد، يوم كان الطبيب الغنيّ أندر من الخلّ الوفيّ، وأشهرهم في ذلك، العابد والفقيه المرحوم الشيخ ناصر الحكيم، والطبيب الذائع الصيت المرحوم الشيخ عيسى الحكيم، وخلف الشيخ ناصر ولده الفقيه الشيخ صالح الحكيم، شيخ مشائخ العلويّين الآن، وقد امتدحه وأقرّ له شعرًا، بالرئاسة الدينيّة، أكثر علماء الشعب الشعراء، ونخصّ منهم بالذكر الأساتذة، الشيخ سليمان أحمد، والشيخ حسن ميهوب، والشيخ حسن حيدر، الذين سيأتي ذكرهم.

٣ ـ وفي البرازين بجبلة، نبغ في الفقه، الوليّ العلاّمة المرحوم الشيخ محمّد سلمان المزارع، واشتهر بالغيرة الفائقة على تطبيق أحكام الشريعة، ومحاربة الخلافات والعادات الدخيلة، وكان رحمه اللّه، يبالغ في ذلك، إلى حدّ أنّه كان يفتي بكراهية الأكل من الجزور المذبوحة في القوزلي، رأس السنة الشرقيّة، مستندًا إلى أنّها في حكم ما أهل به لغير اللّه، ويشفع له في هذه المبالغة أنّ بعض العامّة كانوا يذبحون، قبل القوزلي بيوم واحد، ذبيحة يسمّونها "ذبيحة الحرام". وبفضل جهاد هذا العلاّمة، وجهاد تلامذته المناصرين لفكرته الإصلاحيّة، فقد أسرعت هذه العادات الدخيلة في طريقها إلى الاندثار. واشتهر كذلك في التشديد على إقامة الصلاة بأوقاتها، وصيام شهر

رمضان المبارك، ونشأ على ذلك أبناؤه، من ذكور وإناث، وأشهرهم ولده المرحوم الشيخ جعفر الذي كان من حفظة القرآن الكريم، واشتهر بالفقه والعبادة. وللعلاّمتَين الشاعرَين: المرحوم الشيخ يعقوب الحسن، والأستاذ الشيخ سليمان الأحمد، قصيدتان في رثاء المرحوم الشيخ محمّد سلمان، ومثلهما في حادث تسمّم المرحوم الشيخ جعفر، ممّا يدلّ على مكانة هذَين الوليَّين: الأب وابنه، في الهيئة الاجتماعيّة.

٤ ـ في قلع الدالي بجبلة، نبغ في الفقه واللغة، المرحومان: الشيخ محمّد علي القلع، وأخوه الشيخ أحمد علي، وهما من تلامذة الشيخ علي القاضي السالف الذكر في البحث السابق. قطن المرحوم الشيخ أحمد علي القلع في قرية القطريّة باللاذقيّة، وهناك وضع كتابًا في الفقه، ليُدرَّس في المدارس الأميريّة، تلبية لطلب متصرّف اللاذقيّة في ذلك العهد المرحوم ضيا باشا، الذي يجب على أبناء اللاذقيّة أن يخلّدوا ذكره في تاريخهم الاجتماعيّ، بصحائف ملؤها الثناء الصادق والاعتراف بالجميل، فقد قصر همّه على تمدينهم وسلك إلى ذلك ثلاث طرق قويمة، أولاها: تقريبه أهل العلم والتقى واحترامهم واستشارتهم؛ ثانيها: العدل والصراحة في الحكم؛ وثالثها: إنشاء ثمانين مدرسة أميريّة، في كلّ منها مسجد، موزّعة بين القرى الآهلة بالسكّان، كلّ ذلك على نفقة الحكومة، وانتقائه المعلّمين لتلك المدارس، من خيرة المشائخ، حيث يتسنّى ذلك. لكنّ الخلاف العشائريّ المستفحل يومئذ في الشمال، والحسد الذميم، وقصر أيّام المرحوم ضيا باشا، كلّ هذه العوامل اشتركت في وأد كتيّب الشيخ علي المذكور، قبل جفاف حبره تقريبًا، كما أدّت إلى خنق فكرة ذلك الإداريّ المخلص والمحسن الكبير.

٥ ـ في بشراغي بجبلة، نبغ في الفقه والشعر، الوليّ المرحوم الشيخ يوسف علي الخطيب، وهو من علماء الشعب الأفذاذ، وعنه أخذ الفقه الأستاذ الشيخ سليمان الأحمد،

وكان، رحمه اللّه، مرجعًا دينيًّا في محيطه، رغم كثرة العلماء والصالحين، وله مؤلّفات في الفقه، لم أطّلع عليها، مع الأسف، ليصحّ لي التكلّم عنها بصدق ودقّة. وفيها نبغ أيضًا الفقيه العابد المرحوم الشيخ عبد الرحمن جمعة، وكان من فطاحل العلماء الثقات، وذوي الغيرة على الشريعة الغرّاء.

٦ ـ في كنكارو بجبلة، نبغ في الفقه والحديث والفلك، الوليّ المرحوم الشيخ عيسى عمران، وكان حجّة يرجع إلى رأيه علماء عصره الجهابذة، كالشيخ محمّد سلمان المزارع، والشيخ ناصر الحكيم الآنفَي الذكر وغيرهما.

٧ ـ في زمرين بجبلة، نبغ المغفور له الشيخ يعقوب الحسن البريعيني، وكان، رحمه اللّه، فقيهًا عالمًا، وشاعرًا مجيدًا، ومفكّرًا ألمعيًّا، وله قصائد عامرة، في مدح النبيّ ﷺ، والأئمّة الأطهار (ع)، وعلماء الشعب المعاصرين له، وكتابه "تذكرة الحياة الروحيّة في وحدة الحقائق الدينيّة" بشارة طيّبة، في بعث العصر الذهبيّ للمؤلّفين، وكان رحمه اللّه، يتفرّد بشدّة الغيرة على وقت الشباب أن يضيع في قرض الشعر، ويبالغ في النصح لمريديه، بأن يوجّهوا جهودهم الأولى نحو التضلّع في العلوم، والترويض على الأعمال الصالحة، وله في هذا قصيدتان، أرسل أولاهما إلى الأديب عبد الكريم الخيّر أثناء طلبه العلم في مدرسة الفرير باللاذقيّة، وثانيتهما أرسلها منذ بضعة عشر عامًا، إلى محمّد حمدان الخيّر، وحبّذا نشرهما لا كنموذج من شعر فما هما من أجوده، ولكن كعظة لأدبائنا المنصرفين، عن كلّ أنواع الأدب والعلوم، إلى الشعر، وعلى الأخصّ العاطفيّ منه. ونبغ، في الفقه والشعر، ابن عمّه المرحوم الشيخ علي حمدان البريعيني الذي شبّ في كيليكيا والآستانة، وكان يحسن اللغة التركيّة، كأحد أبنائها، وطار ذكره، فوق ذلك، بالغناء العربيّ، يخدمه فيه صوت موهوب يأخذ بمجامع القلوب. ومن دواعي الأسف، أنّه توفّي في ريعان شبابه، وقد رثاه ابن عمّه

الشيخ يعقوب بقصيدة تحوي أبلغ الرثاء وأصدق العواطف. وخلفهما في الأدب، المأسوف على شبابه المرحوم يوسف يعقوب، وكان كاتبًا لبقًا، وشاعرا رقيقًا، عاجلته يد المنون عن إكمال روايته التمثيليّة "الإسكندر وداريوس"، وقد أطلعني على فصول منها تشهد بأدبه العذب وتضلّعه في التاريخ.

٨ ـ في القرداحة بجبلة، نبغ آل الخيّر، ونخصّ منهم بالذكر المرحوم الشيخ عبداللّه الخيّر تلميذ الشيخ أحمد علي القلع السابق ذكره. تولّى الشيخ عبداللّه التعليم الحكوميّ، في مدرسة القرداحة، على عهد المرحوم ضيا باشا. أخذ عن المغفور له الشيخ محمّد سلمان المزارع، إنكار القوزلي والبربارة، وما يتعلّق بهما من طقوس أجنبيّة عن المذهب العلويّ، وبرز في محاربتها والتغلّب عليها، كما برز في دحض الخرافات المتسلّطة على عقليّة الجمهور، من أمثال فكرة الجنّ، والتوابع، والتنجيم، والرمل المِندل، وما شاكلها، وبرهن، بطريقة المدارسة والتجارب والنقد المغرق في الصراحة، عن أنّها لا ترتكز على أساس من الحقائق العلميّة، أمّا الاستجداء، داء المشائخ العضال، فقد ناصبه العداء المحكم الصادق، وله في مقاومته مواقف لا يزال، بعض قصيري النظر من النقّاد، يعدّها تطرّفًا ذميمًا. وهو أوّل مَن جابه العادات من المشائخ، بتعليم بناته القراءة والكتابة، وكان، رحمه اللّه، بصيرًا بعلمَي التاريخ والجغرافيا، إلى حدّ لا يكاد يلحقه فيه أحد من خرّيجي المدارس اليوم بين كلّ العلويّين، وكان متحمّسًا للعلم الحديث، يبشّر به، ويصدّق أخبار مخترعاته الغريبة، وينشرها في محيط لم يكن بعد قد شاهد من آثارها الفعليّة. ومن رغبته الفائقة في نشر التعليم، إقدامه على التضحية الماديّة، ولم يكن غنيًّا، في سبيل تعليم ولده الأديب عبد الكريم الخيّر الذي يُعدّ، بحقّ، أوّل أديب مدرسيّ من العلويّين، ولا يزال أصحّ الأدباء لغة كتابيّة، وأغزرهم مادّة، وأسلسهم بيانًا، وهو إلى ذلك، شاعر مجيد، ولكنّه أطال هجر

الأدب مأسوفًا عليه. واشتهر، في الفقه والقضاء، أخوه الشيخ أحمد ديب الخيّر، قاضي قضاة العلويّين، ردحًا طويلاً، والنائب الإداريّ حاليًّا، وكذلك أخوه الشيخ عيد الخيّر الذي يُلقّب بـ "المحكمة المتنقّلة" لاشتغاله بفصل الدعاوى، صلحًا بين أبناء الجبل، وهو من الحفظة للقرآن الشريف، وهو مشهور كذلك بمحاربة المسكرات والقمار.

٩ ـ في كيمين بالحفّة، والسلاطة بجبلة، حمل مشعل اليقظة العصاميّ الفاضل والعلاّمة الكبير الأستاذ الشيخ سليمان الأحمد، وقد فاق المعاصرين في كافّة فنون اللغة العربيّة، وبرز في معرفة ضبط مفرداتها وشرح ألفاظها، حتّى أطلق عليه بعض الشباب لقب "القاموس الناطق"؛ ولشهرته في اللغة جُعل عضوًا شرفيًّا في المجمع العربيّ بدمشق، وهو أوّل مَن نشر شعرًا، من أبناء الجبل، على صفحات المجلاّت، وله، في مجلّة العرفان، قصائد عامرة، منها قصيدته الفريدة في الوئام ونبذ التفرقة الذميمة، وجلى في تعليم الفقه واللغة، وأخذ عنه نفر من أبناء الجبل، نخصّ بالذكر هنا شاعر العلويّين الأكبر، النائب محمّد سليمان الأحمد، المشهور بلقب "بدويّ الجبل"؛ وقائدة الأديبات، بين فتيّات الجبل، الشاعرة الكاتبة فاطمة سليمان المعروفة بلقب "فتاة غسّان"، وزوجها الشاعر الأديب كامل صالح معروف في القليعات بصافيتا، وغيرهم، وغيرهم. وقلّ أن نجد، بين أدباء الجبل الناشئين، مَن لم يُفد أدبًا من الأستاذ اللغويّ الكبير، إن لم يكن مباشرة بالدراسة عليه، فعن طريقة التأثّر بأدبه وشعره السائر.

وكاتب هذه الأسطر، يفخر بأنّه تتلمذ على شيخ الأدب، مدّة لم تطل على الأسف، في فنّي المعاني والبيان، كما قرأ عليه جانبًا كبيرًا من شعر أبي الطيّب المتنبّي وأبي تمّام والمعرّي، وحبّذا لو نشر شيخنا فصوله من دراساته الأدبيّة، عن هؤلاء الشعراء الثلاثة، وعن الشريف الرضي، لأنّه يكاد يكون منقطعًا لدراستهم، منذ نيف وعشرين عامًا، وعساه يُتحف المكتبات العربيّة بمؤلّف عصريّ عن هؤلاء الشعراء، فيسجّل

التاريخ اسمًا علويًا، بين عداد الأدباء الكبار، في عصر رُمي فيه هـذا الشـعب بوصمـة الانحطاط الفكريّ. وشيخنا، حرسه اللّه، هو فـوق مـا ذكرنـا، فقيـه ثبـت، وعـالم دينـيّ مجدّد، ومحدّث لسِن، وجوّال بين أبناء الشعب موفور بالكرامة أينما حلّ ركابه.

وينهي الشيخ عبد الرحمن الخيّر مقالته القيّمة بالقول:

وقد رافق هذه النهضة نهضة علميّة ثقافيّة أخـرى تبهـج النفـوس وتثلـج الصـدور، ويفرح بها المؤمنون، وقد أنتجت وأنتجت هذه الطائفة، بحمد اللّه، عشرات المئات مـن القضاة، والعلماء، والأدباء والشعراء، ورجال الفكر، والمحاماة، والهندسـة. وهـا نحـن نرى اليوم الغيورين منهم يسارعون في الخيرات والمبرّات، فيبنون المساجد، والمعاهد الدينيّة الأخرى، ويتّصلون بالعالم الشيعيّ لطلب العلم في النجف الأشرف وقمّ المقدّسة، حيث المناهل الغزيرة التي لا تنضب. وكذلك برز منهم رجال للعلم أكفاء لهـم مكـانتهم العلميّة والاجتهاديّة، بين علماء الشيعة، بفضل جهودهم وجهـادهم الطويـل المتواصـل. وآخر دعونا أنّا الحمد للّه ربّ العالمين[1].

العلَويُّـــــــــــون

شيعَة أهلِ البَيت

فـي العـام ١٩٧٢، دعـت الجمعيّـة الخيريّـة الإسـلاميّة الجعفريّـة فـي اللاذقيّـة إلـى مؤتمر لعلماء العلويّين عُقد في اللاذقيّة، صدر عنه بيان حدّد العقيدة العلويّـة بوضـوح. وقد جاء فيه:

﴿هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَرَ أُولُو الأَلْبَابْ﴾[2]

---

١ ـ الخير الشيخ عبد الرحمن، مجلّة "النهضة" السوريّة، عدد خاص (٨ تمّوز ـ يوليو، ١٩٣٨)

٢ ـ ابراهيم: ٥٢.

بسم اللّه الرحمَن الرحيم

الحمد للّه والحمد حقّه كما يستحقّه، ونستعين به ونستهديه ونؤمن به ونتوكّل عليه، والصلاة والسلام على محمّد بن عبداللّه سيّد النبيّين وخاتم المرسَلين، وأزكى سلامه على سادتنا الأئمّة الهداة المهديّين الذي أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا.. أمّا بعد:

فإنّ أكثر ما يفرّق بين الناس جهلهم بحقيقة بعضهم البعض، واتّباعهم لما تزيّن لهم أهواؤهم، واعتمادهم في التحدّث عن سواهم على الأقاويل، دون تمحيص أو تثبّت، وهذا الجهل المفرّق بين الناس أعطى تأثيره السيّء في الماضي والحاضر:

١ ـ في الماضي، جعل الناس يتراشقون بالتّهم، إبّان التخاصم السياسيّ، فكان كلّ فريق يسجّل على الآخر ما يتّهمه به في دينه ودنياه.

٢ ـ في الحاضر، لا يزال المتزمّتون والمغرضون يتناقلون التّهم المسجّلة في الماضي على أنّها حقائق تاريخيّة، ويروّجها أعداء العرب والمسلمين، من يهود وغيرهم، حتّى لتكاد تقطع كلّ صلة رحم دينيّة، إن لم تكن قطعتها.

والعرب والمسامون اليوم، في محنتهم السياسيّة، وفي يقظتهم الحاضرة، مدعوّون، أكثر من أيّ وقت مضى، إلى تمحيص تلك التّهم ونبذها، وهم مدعوّون إلى التسامح الإسلاميّ في الخلافات حول الفروع، وإلى الأخذ بما يقرّه العقل والدين، لا بما يتقوّله ويسجّله الجهلاء والمغرضون. ومصلحة جماعات العرب والمسلمين، في هذا الظرف الحرج، تقتضي، من عقلاء كلّ جماعة، اليقظة والحذر من التشنيع على الغير بما عند جماعتها مثله أو شبيه به، ولا يخلو أيّ مجتمع من انحرافات دخيلة، صار بسببها عرضة للتشهير والتحامل. والمصلحة، كلّ المصلحة، في المبادرة

إلى إصلاحها والتخلّص منها، بدلاً من الاستمرار في التشهير بأخطاء الآخرين والتنديد بها.

ولقد كان مجتمعنا، نحن المسلمين العلويّين، مستهدَفًا لأقسى أنواع التشنيع في الماضي، ولا تزال النفوس المريضة تنبش من الماضي، وتردّد ما يختلقه أعداء الإسلام والعروبة، لا يردعها دين ولا يثنيها كتاب ولا خلق.

وإنّا لنحذّر، والعدوّ حولنا يتربّص بنا ويكيد، والأمم بلغت الأجواء من التحامل والتنديد، واللّه سبحانه أوعد المشنّعين بأشدّ العذاب. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وإلى السادرين في الاختلاق والتشهير نتوجّه بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[2]

وما من خطّة للإصلاح أجدى من الدعوة إلى سبيل اللّه، بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3] وما من سبيل للقاء أجدى من النشر والاطّلاع والتمحيص، فتزول حجج المفترين وذرائع المغرضين.

وانطلاقًا من هذه المفاهيم القويمة وحفاظًا على الأخوّة الإسلاميّة وحرصًا على الحقيقة أن تشوّهها النفوس السقيمة، كان لعلمائنا مواقف نبيلة في مناسبات اختلقها الأجنبيّ للتفريق بين أبناء الأمّة الواحدة. ونحن نقتصر هنا على غيض من فيضها، على سبيل الإشارة والتذكير، لا على سبيل الإحصاء والحصر:

---

١ ـ من الآية ١٩ من سورة النور.

٢ ـ الأحزاب: ٦٩.

٣ ـ النحل: ١٢٥.

أ ـ في بداية الاحتلال الفرنسيّ للبلاد السوريّة، وإحداث "دولة العلويّين المستقلّة" قام الأجنبيّ بمحاولة لئيمة، كما فعل بالمغرب العربيّ، حيث أثار هناك قضيّة الظهير المغربيّ الشهيرة، محاولاً فصل البربر عن العرب، بأن يحكم البربر حسب أعرافهم وعاداتهم، لا بموجب الشريعة الإسلاميّة، وكذلك أراد أن يكون للمحاكم المذهبيّة العلويّة هنا تشريع خاصّ، مباين للتشريع الإسلاميّ، وقد رفض ذلك قضاتنا وأعلنوا، بإصرار وقوّة، أنّهم مسلمون، وتشريعهم إسلاميّ جعفريّ، فتراجع الأجنبيّ، وحكم قضاتنا، في الزواج والطلاق وغيرهما، بمقتضى مذهبنا الإسلاميّ الجعفريّ، لا زيادة بذلك ولا نقصان، وبهذا أفسدوا على الأجنبيّ خطّته التي كان يرمي بها إلى إبعاد هذه المنطقة عامّة، والمسلمين العلويّين خاصّة، عن حظيرة العروبة والإسلام، ليوطّد فيها حكمه وينفّذ غاياته.

ب ـ وفي سنة ١٩٣٦ نشر علماؤنا في كرّاس، قرارًا من بندَين:

البند الأول: "كلّ علويّ فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتَين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة.

البند الثاني: كلّ علويّ لا يعترف بإسلاميّته، أو ينكر أنّ القرآن كتابه وأنّ محمّدًا ﷺ نبيّه، لا يُعدّ في نظر الشرع علويًّا، ولا يصحّ انتسابه للمسلمين العلويّين".

وقد أردفوا هذا بمذكّرة إضافيّة عن عروبتهم ودينهم جاء فيها بالحرف:

"إنّ العلويّين شيعة مسلمون، وقد برهنوا، طوال تاريخهم، عن امتناعهم من قبول كلّ دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم"؛ وجاء فيها: "إنّ العلويّين ليسوا سوى أنصار الإمام عليّ عليه السلام، وما الإمام عليّ سوى ابن عمّ الرسول ﷺ وصهره ووصيّه وأوّل مَن آمن بالإسلام، ومن مكانه في الجهاد والفقه والدين الإسلاميّ مكانه، وإنّ القرآن الكريم

هو كتاب العلويّين.. وما العلويّون سوى أحفاد القبائل العربيّة التي ناصرت الإمام عليًّا عليه السلام فوق صعيد الفرات".

ج ـ وفي مناسبة أخرى أثارها الأجنبيّ أيضًا، سنة ١٩٣٨، وقّع علماؤنا في ٩ جمادي الآخرة ١٩٥٧، جوابًا عن سؤال قدم إليهم، ونكتفي من الجواب بهذه العبارات ننقلها بالحرف: "﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]. "وإنّ مذهبنا في الإسلام هو الإمام جعفر الصادق والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيّين سيّدنا محمّد بن عبداللّه ﷺ حيث يقول: "إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به فلن تضلّوا بعدي: الثقلَين، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض". هذه هي عقيدتنا نحن العلويّين وفي هذا كفاية لقوم يعقلون.

د ـ وفي المناسبة ذاتها أصدر علاّمة الشعب الشيخ سليمان أحمد الفتوى التالية، وقد وقّعها العلاّمتان الشيخ صالح ناصر الحكيم والشيخ عيد ديب خير:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[3]. رضيت باللّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد بن عبداللّه رسولاً ونبيًّا، وبأمير المؤمنين عليّ إمامًا برئت من كلّ دين يخالف دين الإسلام، أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محمّد عبده ورسوله. هذا ما يقوله كلّ علويّ لفظًا واعتقادًا، ويؤمن به تقليدًا أو اجتهادًا.

---

١ ـ من الاية ١٩ من سورة ال عمران.

٢ ـ آل عمران: ٨٥.

٣ ـ من الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

وقد جُمع أكثر ما كُتب في هذه المناسبة في كتيّب عنوانه "تحت راية لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه" أصدره صاحب السيادة والفضيلة ذو الشرف المشرق العلاّمة الشريف عبداللّه آل الفضل أعزّه اللّه، وطُبع في مطبعة الإرشاد باللاذقيّة عام ١٩٥٧.

هـ - وأخيرًا نسجّل الفتوى التالية التي كان قد أصدرها العلاّمة الشيخ سليمان أحمد، منذ ما يزيد على خمسين عامًا، بمناسبة اختلاف إخوانه المشايخ الأجلاّء حول جواز الجمع بين البنت وعمّتها أو خالتها، وهذه الفتوى هي خاصّة بالعلويّين ولا تقيّة بينهم وهي لا تدع مجالاً للريب في تمسّكهم بالمذهب الجعفريّ، وفيها تنبيه من أخذ منهم بالتقيّة إلى العودة إلى الأصل، وهذا نصّ الفتوى:

"وليس لدى العلويّين مذهب مستقلّ للعبادات والأحكام المبنيّة على معرفة الحلال والحرام، والمعاملات، كالمواريث وغيرها. وذلك اعتمادًا منهم على المذهب الإماميّ الجعفريّ، الذي هو الأصل، وهم فرع منه. فرجوعهم إليه في أصول الفقه وفروعه هو الواجب الحقّ الذي لا مندوحة عنه، وهو لم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وذكرها.. وهذه الصلة، وإنْ تكن انقطعت، بسبب السياسة، منذ مئات السنين، حتّى انتبه إليها من عصرنا هذا، فقد بقيت من هذه الفروع مسائل يتوارثها الخلف عن السلف، تقليدًا لاجتهاد سابق، وقد أدركتُ في عصري من المشايخ الأجلاّء مَن جمع البنت وعمّتها وخالتها أيضًا.. أمّا الإخوان الذين ينكرون ذلك فلا يرجعون فيه إلى أصل يعتمدون عليه، إلاّ ما حكمت عليهم به التقيّة، إذ أخذوا الإرث وآداب الشريعة، أخيرًا، عن أهل السنّة، بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة لهم من أئمّتهم حسبما يسمح به التأويل.. وبما أنّنا نعتقد أنّ أئمّتنا هم هداتنا وقادتنا وسُبُلنا إلى اللّه، وهم لا يفارقون الكتاب ولا يفترقون عنه، فيجب علينا الأخذ بحجزهم وترك أقوال مَن خالفهم من الفقهاء، كائنًا مَن كان. هذا ما أراه وأقول به وأعتقده والسلام

على مَن عرف الحقّ وأهله، وكان للّه قوله وفعله، وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآلـه وسلّم".

وخلال عام ١٩٥٢، استصدر علماؤنا مرسومًا تشريعيًا رقم ٣ تاريخ ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٢، وقرارًا من مفتي الجمهوريّة السوريّة رقـم ٨ تـاريخ ٩ تمّوز (يوليـو) ١٩٥٢، بعد مناظرات ومناقشات طويلة مع سماحة المفتي العـامّ ومراجعـات استمرّت عشرين يومًا في دمشق، وقد تألّفت بموجب هذا المرسوم، لجنـة مـن أفـاضل علمائنـا قامت بفحص مَن تقدّم إليها من شيوخ جعفريّين في سوريا، وأجازت بعضهم وسـمحت لهم بارتداء الكسوة الدينيّة المنصوص عليها في المرسوم التشريعيّ رقم ٣٣.

ونحن اليوم، حرصًا منّا على تمتين الصلات بإخواننا فـي الديـن والوطـن، ووقايـة لهم من الانخداع بما يدسّه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفـترون والحـاقدون، من شائعات تفرّق وتهدم بما توقظ مـن فتـن، وموقـظ الفتنـة معـروف نصيبـه من اللّـه ورسوله.

وتتقيدًا لِما يمليه علينا روح الدين الإسلاميّ من واجب "البلاغ المبين". والتزامًا بما كان عليه أئمّتنا الأطهار من غيرة على تبليغ رسالة النبيّ العربيّ محمّد ﷺ وبمـا عليـه فقهاؤنا الذي يتبعون خطى الأئمّة المعصومين، في الغيرة علـى ديـن الإسـلام وتوحيد كلمة بنيه، عملاً بهذه الأهداف الإنسانيّة الإلهيّة. وانسجامًا مع مـا سبق لسـلفنا الصـالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمـة بـإعلان الحقيقـة وإزالـة كـلّ إبهـام وإيهـام. واسـتجابة لتوصية أصحاب الفضيلة علمائنـا، لـدى اجتمـاعهم التـاريخيّ فـي ٢٤ آب (أغسـطس) ١٣٩٢ هـ، وبتتبّع خطى أعلامنا وثقاتنا وبناءً على رغبتهم بمـدّ بحرهـم السـائغ شرابه بما هو مغترف منه:

كالبحر بمطره السحاب وماله فضل عليه لأنّه من مائه

وإيذانًا بإشراق فجر اليقين ما حيا بنوره سدفات الأباطيل، وإظهارًا للحقَ والحقيقة ابتغاء مرضاة اللّه، وتثبيتًا من أنفسنا، وإعلاءً لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وقربة إليه تعالى، ونفعًا للمؤمنين من خلقه. فقد عمدنا إلى اقتفاء أثر سلفنا الصالح، وترجيع ما ارتفعت به أصواتهم، وتجديد ما سجّلته أقلامهم موجزًا ممّا ندين اللّه في سرّنا وعلانيّتنا، ونحن بعملنا هذا لا نضيف جديدًا إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنّه تجديد لإقامة الحجّة، وإيضاح المحجّة وتأكيد لِما كنّا ونكون عليه، كما نؤكّد في صلواتنا يوميًّا تجديد العهد مع اللّه ورسوله، فنشهد مرّات، تسعًا على الأقلّ، أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّدًا رسول اللّه ﷺ وحكمة اللّه بالغة في إلزام المؤمنين بتجديد العهد مع اللّه كلّ يوم عددًا من المرّات.

واللّه وحده نسأل أن يكون عملنا هذا قبسًا يفيء إلى نوره كلّ جاهل أو مشكّك، وهديًا تطمئنّ إليه كلّ نفس[1].

وتحت عنوان "عقيدتنا" جاء في البيان:

الدِّين: نعتقد أنّ ما شرّعه اللَّه سبحانه لعباده، على لسان رسول من رسله، وآخر الأديان الإلهية وأكملها هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]

الإسلام: هو الإقرار بالشهادتين: "أشهد أنّ لا إله إلاّ اللّه وأشهد أنّ محمدًا رسول اللَّه". والإلتزام بما جاء به النبيّ ﷺ من عند اللّه.

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص ٧٧ ـ ٨٣.

٢ ـ آل عمران: ١٩.

٣ ـ آل عمران: ٨٥.

الإيمان: هو الإعتقاد الصادق بوجود اللّه وملائكته وكتبه ورسله، مع الإقرار بالشهادتين.

أصول الدّين: نعتقد أنّ أصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد. وتجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظنّ أو التقليد.

التوحيد: نعتقد بوجوب وجود إله واحد لا شريك له، لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء، خالق للكائنات كلّها وجزئيها، ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ومنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، وهو كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ. اللّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

العدل: نعتقد بأن اللّه تعالى عدل منزّه عن الظلم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3]، ولا يحب الظالمين وأنه تعالى إثباتًا لعدله ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[4]، ولا يأمر الناس إلاّ بما فيه صلاحهم، ولا ينهاهم إلاّ عمّا فيه فسادهم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[5].

---

١ ـ الشورى: ١١. ٢ ـ الإخلاص: ١ ـ ٤. ٣ ـ الكهف: ٤٩.

٤ ـ البقرة: ٢٨٦. ٥ ـ فصلت: ٤٦.

النبوّة: نعتقد بأن اللّه تعالى سبحانه، لطفًا منه بعباده، اصطفى منهم رسلاً وأمدّهم بالمعاجز الخارقة، وميّزهم بالأخلاق العالية، وأرسلهم إلى الناس: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا واسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] لتبليغ رسالاته، حتى يرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم، ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. والأنبياء كثيرون وقد ذُكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيًا ورسولاً، أوّلهم أبونا آدم وخاتمهم سيّدنا محمّد بن عبد اللّه ﷺ وهو نبيّ ورسول أرسله اللّه للعالمين كافّة بشيرًا ونذيرًا، وشريعته السمحة آخر الشرائع الإلهيّة وأكملها، وهي صالحة لكلّ زمان ومكان. ونعتقد أنّ اللّه عصم الأنبياء من السهو والنسيان وارتكاب الذنوب، عمدًا وخطأً، قبل النبوّة وبعدها، وجعلهم أفضل أهل عصورهم وأجمعهم للصفات الحميدة.

الإمامة: نعتقد أنّها منصب إلهيّ إقتضته حكمة اللّه سبحانه لمصلحة الناس، في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم، وصونها من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة. ونعتقد أنّ اللطف الإلهيّ اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنصّ القاطع والصريح: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]. وأن يكون الإمام معصومًا، مثل النبيّ، عن السهو والذنب والخطأ، لكي يطمئنّ المؤمنون بالدين إلى الإقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، والأئمّة عندنا إثنا عشر، نصّ عليهم النبيّ ﷺ وأكّد السابق منهم النصّ على

---

١ ـ النساء: ٤٦. ٢ ـ الأنعام: ٤٨. ٣ ـ القصص: ٦٨.

إمامة اللاحق. ونعتقد أنّ الإمام الذي نصّ عليه اللّه تعالى وبلّغ عنه رسوله الأمين ﷺ، في أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عبد اللّه وأخو رسوله وسيّد الخلق بعده وجاء النصّ بعده لإبنيَه سيدَي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين (ع) وبعدهما للتسعة من ولد الحسين: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فإبنه الإمام الباقر محمّد بن عليّ، فابنه الامام الصادق جعفر بن محمد، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فابنه الإمام رضا علي بن موسى، فابنه الإمام الجواد محمّد بن عليّ، فابنه الإمام الهادي عليّ بن محمّد، فابنه الإمام الحسن بن عليّ الملقّب بالعسكري، فابنه الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الحجّة المهدي عجّل اللّه به فرج المؤمنين، وسيظهره اللّه في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

المعاد: نعتقد أنّ اللّه سبحانه يبعث الناس أحياء بعد الموت للحساب ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1] فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[2] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3]. وكما نؤمن بالمعاد، فإنّنا نؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح، من أخبار البعث والنشور والحشر، والجنّة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وما إلى ذلك: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَآ أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[4].

---

١ ـ الحج: ٧.
٢ ـ النجم: ٣١.
٣ ـ الزلزلة: ٦ ـ ٨.
٤ ـ آل عمران،: ٥٣.

أدلّـــــة التشريع

وجاء في البيان تحت عنوان "أدلّة التشريع":

أدلّة التشريع عندنا أربعة:

١ ـ **القرآن الكريم:** نعتقد أنّ المصحف الشريف المتداول بين أيدي المسلمين هو كلام اللّه تعالى، لا تحريف فيه ولا تبديل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[1] ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]

٢ ـ **السنّة النبويّة:** وهي عندنا ما ثبت عن النبيّ ﷺ، من قول وفعل وتقرير وهي المصدر الثاني للتشريع، ونعتقد أنّ مَن أنكر حكمًا من أحكامها الثابتة فهو كافر، مثل من أنكر حكما من أحكام القرآن، لأنّ السنّة النبويّة لا تتعارض مع الكتاب الكريم إطلاقا ويلحق بها ما ثبت عن الأئمّة الطاهرين قولاً وفعلاً وتقريرًا.

٣ ـ الإجماع: نعتقد أنّ ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين، وفيهم الإمام المعصوم، فهو دليل قطعيّ، ولو خفي علينا مستنده من الكتاب والسنّة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما.

٤ ـ **العقل:** الدليل العقليّ حجّة إذا وقع في سلسلة العلل أو كان من المستقلاّت العقليّة، ويقتصر استعمال الدليل العقليّ في الفقه عندنا على المجتهد، وهو مَن حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعيّة من أدلّتها التفصيليّة. والمرجع المقلّد عندنا هو "مَن كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا لهواه، مطيعًا لأمر مولاه، فللعوّام أن يقلدوه" كما ورد عن صاحب الزمان عجّل اللّه فرجه.

---

١ ـ فصلت: ٤١.

٢ ـ فصلت: ٤٢.

فروع الدِّين

نعتقد أنّها كثيرة، وكنّا نؤثر أن نكتفي بذكر بعضها، رغبة في الإيجاز، محيلين المتطلّع إلى المعرفة، والمرجف، والجاهل، والمتعنّت، إلى كتب علمائنا المبثوثة في المكاتب، فهي تفصّل عقائدنا بوضوح.

الصلاة

نعتقد أنَّها ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[1] وأنّها عمود الدين، وأهمّ العبادات التي فرضها اللّه على عباده، وأحبّ الأعمال إليه "إن قُبلَت قُبِلَ ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها".

ونعتقد أنّ الصلوات المفروضة يوميًّا خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ومجموع ركعاتها سبع عشر ركعة، تقصّر الرباعيّة منها إلى النصف في حالات السفر والخوف.

ونعتقد أنّ من الصلوات الواجبة: صلاة الجمعة، والعيدين مع استكمال شروطها، وصلاة الطواف الواجب، وصلاة الميت وو.. إلخ.

كما نعتقد أنّ من الصلوات المستحبّة النوافل أو السنن، ومجموع ركعاتها أربع وثلاثون ركعة في الأوقات الخمسة، وتُعرف عندنا بالرواتب اليوميّة، ويجوز الإقتصار على بعضها كما يجوز تركها جميعًا.

ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبّات، وبعدم العقوبة على ترك فعلها.

---

١ ـ من الآية ١٠٣ من سورة النساء.

الأذان والإقامة

نعتقد باستحبابهما قبل الدخول في الصلاة، وفصول الأذان عندنا ثمانية عشر فصلاً، وفصول الإقامة سبعة عشر. أمّا الشهادة لعليّ عليه السلام بالولاية فنعقد استحباب ذكرها فيهما، بعد الشهادة لمحمّد ﷺ بالرسالة كما نعتقد أنّ عدم ذكرها لا يؤثّر في صحّة إقامتهما.

الصَّوم

نعتقد أنّه من أركان الدين الإسلاميّ، ويجب على كلّ مكلّف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِنَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. وهو شرعًا الإمساك عن المفرطات؛ من أول الفجر الصادق إلى المغرب الشرعيّ، مع نيّة القربة. ويجب في شهر رمضان وفي موارد أخرى مذكورة في كتب الفقه.

الزكاة

نعتقد أنّها من الأركان التي بُني عليها الإسلام، ولها شرائط عديدة مذكورة في كتب الفقه، وتجب في النقدَين: الذهب والفضّة، والأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، والغلاّت الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وتُستحبّ في موارد أخرى.

---

١ ـ البقرة: ١٨٣.

الخمس

نعتقد بأنّه حقّ واجب فرضه اللّه تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

الحَجّ

نعتقد بأنه واجب، لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[2]. ويجب على كلّ مسلم بالغ عاقل، ذكرًا كان أم أنثى، مرّة واحدة في العمر، بشرط الإستطاعة وتخلية السرب[3].

الجهاد

نعتقد بأنّه من أركان ديننا، ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام، ووجوبه كفائي. ويجب أيضًا من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال، ووجوبه عينيّ على كلّ مَن يستطيع أن يقدّم نفعًا.

---

١ ـ الأنفال: ٤١.

٢ ـ آل عمران: ٩٧.

٣ ـ أي الأمن على النفس والمال والعرض.

الأمرُ بالمَعروف
والنَّهيُ عَن المُنكر

نعتقد أنّهما من فروع الدين ونعتقد أن اللّه أمر بكلّ خير وسمّاه معروفًا، أمر إيجاب أو ندب، ونهى عن كل شرّ وسمّاه منكرًا، نهي تحريم أو كراهة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

الولاء
والبراء

معناها المحبة للّه ولأنبيائه وللأئمّة الطاهرين، والبراءة من أعداء اللّه.

أمّا بقيّة فروع الدين، ومنها الزواج والطلاق، والخلع والظهار والإيلاء، ومنها أحكام كالديانات والقصاص والكفارات، ومنها معاملات كالبيع والشراء والزراعة والمساقاة وسواها. فإنّنا نعمل بها وفق نصوص مذهبنا الجعفريّ، دون خلاف، مستندين إلى مراجعه الكثيرة وأهمّها: للفقهاء المجتهدين: الكتب الأربعة الكافي للكليني، والتهذيب والإستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، وللمقلّدين: الرسائل العمليّة وهي فتاوى الفقهاء المراجع.

---

١ ـ آل عمران: ١٠٤.

خَاتمَةُ

البَيَـان

وجاء في خاتمة البيان:

هذه هي عقيدتنا نحن المسلمين العلويّين. ومذهبنا هو المذهب الجعفريّ الذي هو مذهب مَن عُرفوا بالعلويّين والشيعة معًا، وإنّ التسمية: (الشيعيّ والعلويّ) تشير إلى مدلول واحد وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفريّة الإماميّة الإثنا عشريّة. وإنّنا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين، وأن يجد فيه القريب والبعيد، والمنصف والمتحامل، منهلاً عذبًا ومرجعًا مقنعًا. وإنّنا لنعتبر كلّ مَن ينسب إلينا أو يتقوّل علينا، بما يغاير ما ورد في هذا البيان، مفتريًا أو مدفوعًا بقوى غير منظورة يهمّها أن تفرّق كلمة المسلمين، فتضعف شوكتهم. أو جاهلاً ظالمًا لنفسه وللحقيقة. ولا قيمة لقول أحدهما عند العقلاء المتّقين[1].

هذا بياننا ينطق علينا بالحقّ، وللمطّلع عليه أن يحكم بما يشاء، وعليه التبعة أمام اللّه والدنيا والوطن، ومن اللّه وحده نستمدّ العون، ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمّة محمّد ﷺ وصلاحها، في دينها ودنياها، بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البرّ والتقوى، وعلى جهاد أعدائها المتربّصين الشرّ بنا جميعًا، دون استثناء.

والحمد للّه أوّلاً وآخرًا، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم.

---

١ ـ جاء هنا في موسوعة الأديان الميسّرة الإضافة التالية: وأمّا ما يُرى عند بعض جماعاتنا من جهل بالعقيدة أو قول بالرأي أو أعمال لا تتّفق وهذه العقائد، فلذلك لا يجوز لعاقل منصف أن يعتبره دينًا أو مذهبًا، لوجود مثله عند الكثيرين من أتباع المذاهب الإسلاميّة الأخرى.

التّوَاقيع

وذُيّل البيان بالتواقيع، وممّن وقّعه المشايخ: عبد اللطيف إبراهيم مرهج، عبد الرحمَن الخير، حيدر محمّد حيدر، محمود صالح عمران، حسين سعُّود، سليمان العيسى، كامل حاتم، عبد الكريم علي حسين، عبد الهادي حيدر، محمود سليمان الخطيب، محمود مرهج، الدكتور علي سليمان الأحمد، فضل غزال، كامل صالح معروف، وعلي محمود منصور[1].

---

١ ـ عرموش أحمد راتب، موسوعة الأديان الميسّرة، مرجع سابق، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨؛ الإبراهيم، الطويّون، مرجع سابق، ص٧٧ ـ ٩١.

الفَصلُ الرَّابع

فتَاوَى وأقوَال في المَذهَبِ العَلَويّ

العَقيدَةُ الإسلاميَّة في قَلبِ العَلَويّ؛ أقوَالُ لعُلَماء مُسلِمين؛

العلويُّون مَن هم؟ وأين هم؟؛

المؤرّخ الدكتور مصطفى الرافعيّ: العلويُّون من فُروع الشيعَة؛

مَن هو العلويّ؟؛ العَلويُّون فرقَة إمَاميَّة.

العَقيدَةُ الإسلاميَّةُ في قَلبِ العَلَويّ

الأديب الشاعر محمّد مجذوب الطرطوسيّ، كتب في مجلّة "النهضة" الصادرة في دمشق سنة ١٩٣٧، تحت عنوان: "في زوايا التاريخ الإسلاميّ ـ السنّة والشيعة" قال:

لست في حاجة إلى استعراض الأسباب التاريخيّة في قسم الإسلام إلى فريقَين: شيعيّ وسنّيّ، ثمّ تحوّلت هذه الأسباب السياسيّة الصرفة، بشأن الحكم والخلافة، إلى أشكال مذهبيّة أفرغت على هذَين الإسمَين: العلويّ والسنّيّ، الصفة الدينيّة، ولا إلى الكلام عن مسالك الاجتهاد الفقهيّ بين الشيعة والسنّة، ثمّ إلى تشعُّب هذه المسالك بين الشيعة نفسها وبين السنّة نفسها أيضًا. ولست في حاجة كذلك إلى ذكر ما لقيه هؤلاء الشيعة، على مدى العصور، من عذاب واضطهاد مستمرّ، في سبيل مبادئهم الفكريّة، من إيثار ولاية أهل البيت، المبادئ التي تنهض على أسس معروفة من الاجتهاد والرأي، فكانت ذنبهم الكبير في نظر مضطهديهم، وكان قيامهم عليها وتشبّثهم بها، بدلاً من أن يكون داعيًا لاحترامهم وتقدير ثباتهم، أبرز العوامل في إيذائهم ومطاردتهم، طوال قرون اثنَي عشرة. ولا إلى القول: بأنّ من الطبيعيّ أن ينتج مثل هذا العداء، من أحد الطرفَين، عداء مثله من الطرف الآخر، ولكن، على شدّته، كان على شيء من الاعتدال، بالقياس إلى مقابله وما أدّى إليه، إبّان تدهور الإسلام في عهود الحكم التركيّ، من إدخاله حيّز الدين، واستخدامه الشريعة المبرّأة لدعمه، بما أصدره بعض المشايخ من فتاوى ضدّ فرق الشيعة، كهؤلاء العلويّين خاصّة، يندى لها جبين الإنصاف، ويضجّ من هولها كلّ فاهم حقيقة الإسلام وقيمة الاجتهاد، في نظر الشرع المطهّر الذي جعل تسعة وتسعين دليلاً على كفر إنسان

يردّها دليل واحد على إيمانه، ممّا لا نزال نضرس من حصرمه، ونتخبّط في دياجيره حتّى اليوم، وممّا يبرهن على أنّ هؤلاء الغارسين لم يكونوا ليبالوا حقّ أحفادهم من الأجيال التي عملوا على تسميم حياتها بهذه البذور، فهدموا بذلك حكمة الإسلام من التبشير، واجتناب التنفير، ومزّقوا من جديد ما رتقه ثاني العمَرين الأشجّ بن العزيز (رض).

أمّا الدين وقوّة العقيدة الإسلاميّة في هؤلاء الشيوخ فلا أذكر لك من مظاهرهما إلاّ شواهد ثلاثة فقط، وأترك لك بعدها الحكم على ما أقول. أنت تعلم مبلغ ذلك الغرض الذي استهدفه الاستعمار، أثناء مرحلة الانتداب، من محاولة التأثير على هذه العقيدة، وإظهار الطائفة العلويّة بمظهر الانفصال التامّ عن المجموع الإسلاميّ، وأنت تعلم كذلك مدى العنف في تلك الوسائل الاستعماريّة، لتحقيق هذه الخطّة، فاسمع إذًا بعض ما اعترض تلك المؤامرة من قوّة الدفاع عن هذه العقيدة:

دعا ذات يوم أحد ضبّاط الاستخبارات الشيخ محسن حرفوش، وكان قاضي المذهبيّة في جبلة، وجعل يجادله في أمر صلاة الجمعة، يريد أن يمنعه من إقامتها في مسجد السنّيّين، باعتبار أنّه غير مسلم في نظرهم، فما كان جواب هذا الشيخ؟ لقد قال للضابط: "إنّ إلهنا واحد، ونبيّنا واحد، وكتابنا القرآن، ونحن مسلمون، أرادت السياسة أو لم ترد، وإنّ في هذا الكتاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] وليس هناك مَن يستطيع أن يحول بيني وبين سعيي إلى ذكر اللّه".

وجاء أحد الضبّاط إلى إحدى القرى ذات يوم، يريد الحصول على بعض ما يودّه من موادّ يضمّها إلى مؤلّف يعدّه في تاريخ العلويّين وديانتهم، وكان ثمّة البطل العربيّ الكبير الشيخ صالح العلي آنئذ، فلمّا سأل الرجل أسئلة مدّ الشيخ يده الكريمة، بكتاب اللّه، وهو يقول: "إذا أردت تاريخ العلويّين، فهذا تاريخهم، وإذا شئت دينهم فهذا دينهم". وعبثًا حاول الرجل وعبثًا داور وكابر... ولا أزيدك في

---

١ ـ من الآية ٩ من سورة الجمعة.

معرفة هذا البطل الإسلاميّ العربيّ، فتلك شخصيّة من شخصيّات التاريخ، وذلك شعار من شعائر الحريّة التي لا تُنسى.

لكنّي أذكر لك، خدمة للتاريخ، خلّة واحدة من مزايا هذا البطل في كفاح الاستعمار، تلك هي إصراره على تسجيل كلمة مسلم التي حذفها الأجنبيّ بالقوّة في كلّ تذكرة من تذاكر أفراد عشيرته، ممّا أجبر الفرنسيّين على إرجاء التسجيل يومئذ، حتّى آخر عهد الانتداب، انهزامًا أمام قوّة الإيمان الغالب[1].

أقوَالٌ لعُلَمَاء مُسلمِين في شأنِ مذهَبِ العلويّين

في ٢٢ محرّم ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. صدر عن مفتي الديار الفلسطينيّة المرحوم سماحة الحاج أمين الحسيني، الفتوى التالي نصّها:

إنّ هؤلاء العلويّين مسلمون، وإنّه يجب على عامّة المسلمين أن يتعاونوا معهم، على البرّ والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعًا ويتضافروا، ليكونوا قلبًا واحدًا في نصرة الدين، ويدًا واحدة في مصالح الدين، لأنّهم إخوان في الملّة، ولأنّ أصولهم في الدين واحدة، ومصالحهم في الدين مشتركة، ويجب على كلّ منهم، بمقتضى الأخوّة الإسلاميّة، أن يحبّ للآخر ما يحبّ لنفسه، وباللّه التوفيق[2].

---

١ ـ مجلّة "النهضة"، العدد الأوّل، تشرين الثاني ـ نوفمبر (دمشق،١٩٣٧).

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص ١٠١، عن: جريدة الشعب الدمشقيّة، عدد ٣١ تمّوز (يوليو) ١٩٣٦.

أمّا العلاّمة المجتهد الشيعيّ الشيخ محمّد جواد مغنيّة، فقد دوّن في رسالة وجّهها إلى فضيلة الشيخ الشاعر عبد اللطيف إبراهيم، مؤرّخة في ٢٣ نيسان (إبريل) ١٩٦١ ما حرفيّته:

إنّي جدّ مغتبط ومرتاح النفس إلى أقصى الحدود، بعد زيارتي للإخوان الكرام العلويّين. لقد لمست منهم الإخلاص، والإيمان، والتمسّك بالدين الصحيح، وأيقنت عين اليقين بأنّه لا فرق أبدًا بيننا وبينهم في شيء والحمد للّه وألف شكر، وقد شعرت، في الأمد القصير معكم، بالطيبة والكرامة والطهر الذي يتجلّى في شخصكم الكريم، كما لمست الفهم والمعرفة والتمييز والوعي الدينيّ، أكثر اللّه في الأمّة من أمثالكم، وما زال مثالكم في ذهني وقلبي لا يفارقني أبدًا، ومرّة ثانية أقول: إنّي سعدت كثيرًا بالإخوان العلويّين بعامّة وبكم بخاصّة، أخي، نحن وأنتم يد واحدة، في سبيل واحدة إلى غاية واحدة إلى هدف واحد، أمّا السبيل فهي الولاء والحقّ لأهل الحقّ، وأمّا الهدف فمرضاة اللّه. وقد ترك اجتماعي بكم أطيب الأثر في نفسي، كما عرّفني حقائق كنت أجهلها من قبل، وقد كتبت إلى المرجع الحكيم في النجف، عمّا شاهدت ولمست، وعن المجامع والمصلحين، وعن المصلّين والمؤمنين حقًّا بكلّ ما في معنى الإيمان الصحيح، وسأحاول جاهدًا أن يكون لزيارتي أثر ملموس[١].

وجاء في رسالة له أيضًا، إلى المرحوم فضيلة الشيخ عبد الكريم علي حسن، خطيب وإمام مسجد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في طرطوس بسوريا، وهي مؤرّخة في ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦١ ما يلي نصّه:

واعلم أخي أنّي اجتمعت مطوّلاً بسفير الجمهورية العربيّة المتّحدة في بيروت عبد الحميد غالب، وقلت له أن يبلّغ شكري وشكر الطائفة جمعاء، وعلى رأسها السيّد الحكيم، للمعاملة الطيّبة وإطلاق الحريّة الدينيّة للعلويّين الذين هم من المسلمين في

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١١١ ـ ١١٢.

الصميم ومن العروبة في الطليعة وقد سرّ بذلك كثيرًا، وأطلنا الحديث حول الموضوع، بما فيه الخير والنفع العامّ إن شاء اللّه[1].

ونقل الشيخ علي عزيز الإبراهيم في كتابه "العلويّون في دائرة الضوء" عن الشيخ العلاّمة الدكتور محمّد علي الزعبي قوله في مجلّة "العرفان":

لم أرَ مؤلّفًا نادى بالفصل بين الأقليّة الجنبلانيّة الماخوسيّة التي تعتمد على كتب الأعياد ودرّة الدرر والمجموع، وبين الأكثريّة المسلمة من سكّان الجبل الذي عرفناه أخيرًا باسم علويّ، وهي الأكثريّة المسلمة البريئة من مرض الغلوّ التي تعبد اللّه وتتقرّب له وحده بمذهب أئمّة أهل البيت النبويّ، مذهب الإمام الجعفريّ[2].

العلويّـــــــون،

مَن هم؟ وأين هم؟

وفي كتاب لمحافظ اللاذقيّة سابقًا، منير الشريف الدمشقيّ، أصدره بعنوان: المسلمون العلويّون، مَن هم؟ وأين هم؟، جاء التالي:

لم تبلَ طائفة من الطوائف الإسلاميّة، كما بُليت الطائفة العلويّة "النصيريّة" حيث سلقتها الألسن الحداد، وحامت حولها الظنون، فمن الناس مَن أخرجها عن قوميّتها العربيّة، وجعلها من أمم شتّى، جمعتها جامعة المحيط، من بقايا الفينيقيّين والرومانيّين والحثّيين واليونانيّين والصليبيّين... ومنهم مَن أقصاها عن الدين الإسلاميّ وقال: إنّ اسم النصيريّة قد أتى من اسم النصرانيّة أي أنّ العلويّين ليسوا من الطائفة الإسلاميّة، ومنهم مَن قال عنها، إنّها متوحّشة أكّالة للحقوق، فتّاكة

---

١ ـ حسن أحمد علي، المسلمون العلويّون في مواجهة التجنّي، الدار العالميّة (بيروت، ١٩٨٧) ص١٥٤.

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١١٣.

بالبشريّة نهّابة سلاّبة، لا تتورّع عن أيّ عمل كان غير مشرّف، تعيش عيشة الهمج الأوّلين، ضمن أسوار الانحطاط، فلا يمكن أن تنهض للعلم، وليس في الإمكان اشتراكها مع العرب في النهضة الحديثة، والجامعة القوميّة، والازدهار الاقتصاديّ، ومن الصعب تعويدها على الطاعة والنظام... هذا بعض ما تحدّث به فريق من الناس في الشرق والغرب.. وحيث أنّي عشت بين هذه الطائفة عدّة سنين، وتجوّلت في كلّ أطراف محافظة اللاذقيّة، ودرست حالة العلويّين عن كثب، وصادقت رجالهم وخبرتهم، رأيت الواجب يدفعني إلى تأليف هذا الكتاب لأُبعد عن هذه الطائفة الشبهات، والظنون، وأُطلع الناس على الحقيقة: بأنّها فئة عربيّة الدمّ واللسان والخصائل، والغاية، وإسلاميّة كبقيّة الطوائف الإسلاميّة، غير السنّيّة، رغم ظهور بعض الغلوّ المذهبيّ فيها، كتابها القرآن الكريم، وإنّها رغم ما نزل بها من البلايا والرزايا الشعوبيّة، ما تزال مرتبطة بالعروبة والإسلام، رافعة الراية العربيّة على جبالها الشماء، وعلى ساحل بحرها اللازورديّ، منذ رفعها العرب في كلّ مكان، تحترم الحقوق، وتحافظ على التربية العربيّة الطيّبة، وتسير بسرعة إلى الأمام، لتتبوّأ مقامها في دنيا العرب[1].

ويقول الكاتب نفسه تحت عنوان "المذهب الشيعيّ السياسيّ":

العلويّون، هم من صميم الأمّة العربيّة التي نبتت في الجزيرة العربيّة، وكان لها تاريخ عظيم، لم يصلنا كلّه بعد، ثمّ نهضت إلى المجد والسؤدد، عندما جاء النبيّ ﷺ وبثّ فيها روح السيادة والاستقلال والحريّة والاتّحاد، ورغب إليها الفتح، لتوحيد العرب، وإهداء الناس إلى الرشد والمدنيّة العربيّة ولتملك عنان الثروة، وتصبح في مأمن من شظف العيش، والسنين المجدبة، فسار العلويّون كعرب اعتنقوا الدين الإسلاميّ، مع إخوانهم العرب، إلى طرد البيزنطيّين من سوريا وبلاد أرمينيا والروم، وطرد العجم من العراق، واشتركوا في فتح العالم الآهل بالسكّان، فاكتسبوا

---

١ ـ شرف منير، المسلمون العلويّون، مَن هم؟ وأين هم؟ المطبعة العموميّة (دمشق،١٩٦١) ص ٣.

الصيت الحسن، ونالوا المجد التليد... ولمّا انقسم العرب إلى قسمَين وافترقوا إلى جبهتَين، جبهة تقول بحقّ عليّ بن أبي طالب (رض) في الخلافة، وأخرى تريدها لمعاوية، كان العلويّون بجانب عليّ، فذادوا عن حقّه لا رغبة في مال ولا في نوال، إلاّ ابتغاء مرضاة اللّه، وحبًّا بعليّ، لأنّهم يجدون فيه العلم الواسع والشجاعة والتقوى والنزاهة، التي ما بعدها نزاهة، فكانت سيوف معاوية تعمل فيهم وهم يقضون نحبهم في سبيل المبدأ الذي دانوا به.

لقد سُمّيت الفئة التي كانت مع عليّ (رض) آنئذ شيعة، لأنّهم تشيّعوا لعليّ، ولخلافة عليّ، وأصبحوا حزبًا سياسيًّا كبقيّة الأحزاب السياسيّة في العالم، وقد ظلّ الشيعيّون يقولون بحقّ عليّ ثمّ بحقّ ولده، رغم ما لحقهم من الأذى.

وقد ضعف شأن هؤلاء، لأنّ الحكم في يد غيرهم، لأنّ الشدّة والضيق قد أثقلهم، فتفرّقوا في البلاد العربيّة، وكانوا، في كلّ محلّ هبطوه، دعاة لنصرة آل البيت، وسكن أكثرهم الجبال التي كانت تعصمهم من رجال الحكم، أكثر من الأراضي السهليّة، ولم يبقَ المذهب الشيعيّ سياسيًّا، بل أصبح دينيًّا، فظهر المذهب الجعفريّ، لصاحبه جعفر الصادق، وتمزّق الكيان الدينيّ الإسلاميّ، وأصبح بعض فلاسفة الإسلام، بدلاً من أن يجولوا في مواضيع العلوم العالميّة، يدورون في أبحاثهم، حول الدين والمذاهب، ولعب العجم دورهم في ذلك الزمان لتفريق الأمّة العربيّة والذهاب بنزاهة الدين الإسلاميّ، انتقامًا من العرب، ولكي يعودوا ويشيّدوا ملكهم الذي قضى عليه العرب، عند فتحهم لبلادهم، الأمر الذي أدّى إلى ظهور أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ، وهو من ولد أبي موسى الأشعريّ وقوله بالرجوع إلى السنّة، وقد ظلّ الشيعيّون العرب على مبدأ عربيّ وهو القول: إنّ الخلافة في قريش، وإنّ أفضل فخذ في قريش هو آل عليّ، وهذا ممّا حفظ الخلافة العربيّة عدّة قرون في الأمّة العربيّة، ولم يقدم أحد من الملوك الشعوبيّين على نزعها من العرب، إلاّ ياوز سلطان سليم التركيّ العثمانيّ سنة ١٥١٧م. بعد أن مهّد لذلك، بتفظيعه بالشيعيّين سنة ١٥١٤، وباجتياحه لسوريا سنة ١٥١٦، ومصر سنة

١٥١٧. ولقد ظهر بين رجال الشيعة، رجل يُسمّى محمّد بن نصير النميريّ، وذلك في زمن الحسن العسكريّ الإمام الحادي عشر، في القرن الثالث الهجريّ، فأجرى تعديلاً في المذهب، فسُمّي مَن أيّده "نصيريّون" وبقي اسم هذا الفريق هكذا، إلى سنة ١٩٢٠ حيث أُبدل باسم علويّ. وقام بتأييد هذا الفريق "النصيريّ" بعد محمّد بن نصير، محمّد بن جندب، ثمّ حسين بن حمدان الخصيبي، وبعده بختيار بن معزّ الدولة البويهيّ العجميّ، ثمّ انتشر هذا المذهب في عدّة أماكن من البلاد.

إنّ هذا المذهب، هو كباقي المذاهب الشيعيّة، يفضّل أصحابه عليًّا على غيره، ولم يخرج عن النطاق الإسلاميّ، إلاّ أنّه تسرّب إليه بعض الغلوّ، ولا شكّ، علاوة على تفضيل عليّ عليه السلام على غيره، شأن المذاهب التي تحارَب وتضطهَد. لأنّ النصيريّة أوذوا في ديارهم، وصبّت الأمم الإسلاميّة، غير العربيّة نارها عليهم، وفتكت بهم أنّى ثقفتهم، فلم يبقَ لهم ملجأ إلاّ رؤوس الجبال وسفوحها، حيث يختبئون، فكان رجال مذهبهم يفسّرون لهم الدين الإسلاميّ، كما يريدون، خلافًا لِما تفسّره بقيّة الفرق الإسلاميّة، لأنّ النصيريّة يقرّون بتوسيع الاجتهاد بتفسير القرآن الكريم، ليجعلوا من المذهب الدينيّ جامعة تحفظ عليهم حياتهم ليس إلاّ، ولكنّهم ظلّوا مسلمين[١].

---

١ ـ شرف منير، المسلمون العلويّون مَن هم؟ وأين هم؟ مرجع سابق، ص ٥٩.

الدكتور مصطفى الرافعيّ:

العلويُّون من فُروع الشيعَة

الدكتور مصطفى الرافعي، المؤرّخ الثقة، قال في كتابه: "إسلامنا في التوفيق بين السنّة والشيعة"، ما حرفيّته:

لم يخرج العلويّون عن كونهم فرعًا من فروع الشيعة، يعتمد الشريعة الإسلاميّة، ويطبّق أحكامها وفقًا لمذهب الإمام جعفر الصادق سادس أئمّة أهل بيت رسول اللّه ﷺ، ولقد بات معلومًا أنّ جميع فرق الشيعة تعرّضت للتعذيب والتنكيل والذبح والقتل، ابتداء من العصر الأمويّ، مرورًا بالعبّاسيّ، انتهاء بالعثمانيّ، بسبب معارضتهم لمذاهب أهل السنّة التي كان يدين لها، على مرّ تلك العصور، السلاطين والحكّام، وكانت هذه الجماعة المسمّاة بالعلويّين من أكثر الفرق التي تعرّضت للاضطهاد والاتّهام، حتّى من بعض فرق الشيعة الأخرى التي تأثّرت بما نسجه المؤرّخون حولهم وما نسبوه إليهم، من ارتكاب الموبقات وإباحة المحرّمات، حتّى وصفوهم بالزندقة والكفر، ولم يتسنّ لجماعة العلويّين، وعددهم في العالم قليل، أن تهدأ الضجّة حولهم، وأن يتنفّسوا الصعداء إلاّ فترة وجيزة من العصر العبّاسيّ، حيث قُدّر لشيخهم أبي عبداللّه الحسين بن حمدان، أن ينهض بالدعوة العلويّة بعد أن اتّخذ إقامته في مدينة حلب الشهباء، وذلك بمؤازرة أمراء بني بويه، وانتشرت الدعوة العلويّة إذذاك في العراق والأهواز وبلاد فارس، وكذلك في مصر أيّام الفاطميّين.

وفي حديث عن أنساب العلويّين قال المؤرّخ الدكتور مصطفى الرافعيّ:

ومن المؤرّخين مَن قال إنّ العلويّة فرقة سريانيّة كانت موجودة على أيّام الرومان، ومنهم مَن قال إنّ أصلهم من القرامطة، نسبة إلى حمدان قرمط. فنسبوا إليهم تبعًا لذلك ما يُنسب إلى القرامطة من زعم أنّ لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، ولا ميزان ولا حساب، ولا نعيم ولا عذاب، وإنّما الثواب والعقاب هما في هذه الحياة

الدنيا لا غير. ومن المؤرّخين مَن زعموا أنّهم فرع من فروع الإسماعيليّة، والإسماعيليّة، كما هو معروف، فرقة من الإماميّة تقف في تسلسل أئمّتها عند إسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفّي في حياة أبيه، لذا سُمّوا بالشيعة أيضًا كما ذكرنا آنفًا، ولمّا كانت الإسماعيليّة تعتقد أنّ لكلّ نصّ دينيّ معنيَين: معنى ظاهرًا وهو للعامّة، ومعنى باطنًا لا يفهمه إلاّ الأئمّة، فقد نُسب إلى العلويّين القول بأنّها من الفرق الباطنيّة، من قبيل الخلط بينهم وبين الإسماعيليّة، علمًا بأنّ الإسماعيليّة الشيعيّة لعبت دورًا بارزًا خلال العصر العبّاسيّ، وكانت لهم في التاريخ أكثر من دولة منها: ١ ـ دولة ابن حوش التي أسّسها في اليمن عام ٢٧٠ هـ؛ ٢ ـ دولة عبد اللّه الشيعيّ التي أسّسها في المغرب عام ٢٩٦هـ؛ ٣ ـ دولة جوهر الصقليّ التي أسّسها في مصر سنة ٣٨٥ هـ؛ ٤ ـ دولة الحسن بن الصباح التي أسّسها عام ٤٨٣ هـ.

ووُجد من المؤرّخين مَن يقول إنّ العلويّين أصلهم من الحثّيّين ليثبت أنّهم ليسوا عربًا، وبالتالي يسهل بترهم عن جسمهم العربيّ، مثل ما حاول غيره من المغرضين، تجريدهم من دينهم الإسلاميّ، وجميع هذه الأراجيف التي زعمها المؤرّخون، بالنسبة لأصل العلويّين، لا تستند إلى دليل، وليس إلاّ من قبيل الظنّ، وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئًا... وفي الحقيقة، أنّ العلويّين هم عرب أقحاح، معروفون بأنسابهم ومشهورون لا كما يزعم المغرضون، وهم مسلمون موحّدون، يؤمنون باللّه ربًّا، وبمحمّد نبيًّا، وبالقرآن منهجًا ودستورًا ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجّون بيت اللّه الحرام إذا استطاعوا إليه سبيلاً، وهم منذ ظهور المذاهب الفقهيّة المعروفة يتعبّدون على مذهب الإمام جعفر الصادق، وإنّ لفظ علويّ أو شيعيّ أو إماميّ أو جعفريّ، يعني أمرًا واحدًا هو أنّهم أحبّوا عليًّا كرّم اللّه وجهه، وعظّموه، لمزايا لا ينكرها أحد من المسلمين، من كونه صهر الرسول ﷺ، وابن عمّه وخليفته، ومن أوّل الناس إسلامًا وأقواهم إيمانًا وأشجعهم، حتّى سُمّي سيف اللّه. وإنّ هؤلاء العلويّين لم يعبدوا عليًّا، كما يتوهّم الجاهلون بحقيقتهم اعتمادًا على مجرّد تسميتهم بالعلويّين، إذ لو كانت مجرّد التسمية

المنسوبة إلى إنسان تستلزم عبادته، يلزم القول: بأنّ العثمانيّين يعبدون عثمانًا، والمالكيّين يعبدون مالكًا، والشافعيّين يعبدون الشافعي، وهكذا إلى أن نصل إلى أيّامنا هذه، حيث يلزم القول بأنّ الماركسيّين يعبدون "ماركس" والديغوليّين يعبدون "ديغول" والناصريّين يعبدون "جمال عبد الناصر" وهذا غير حاصل البتّة.

وعن عبادات العلويّين يقول الرافعي:

أمّا عبادات العلويّين، فليس من شكّ في أنّهم يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة التي ذكرناها آنفًا، ويمارسونها، ولقد شاهدت ذلك بعيني، عندما كنت أقوم بزيارة بعضهم في المدن والقرى، ولكنّني لا أنكر أنّهم لم تكن عندهم مساجد كافية لإقامة صلوات الجمعة والجماعة فيها، وأنّ روح التديّن عند الكثيرين فيهم، لا سيّما سكّان القرى، كان ضعيفًا للغاية، وأنّ الجهل المتفشّي في صفوفهم، والدسّ الخارجيّ المقصود، من جهة ثانية، وفوقهما الفقر المدقع الذي كانوا يعيشون فيه، هذه الأمراض الوبيلة الثلاثة التي كانت تتتابهم وتفتّ في عضدهم، وتلقي بهم إلى اليأس والقنوط، هي التي ألجأتهم إلى ضعف ممارستهم الدينيّة بالنسبة لغيرهم من الفرق الإسلاميّة التي كانت، بالنسبة إليهم، تتحلّى بغزارة العلم، وتمتاز بوفرة دور العبادة، وتتمتّع برخاء العيش، ولقد صدق مَن قال "كاد الفقر أن يكون كفرًا".

وينقل الرافعي شهادة مؤلّف كتاب "العلويّون النصيريّون" فيقول:

ولقد صدق مؤلّف كتاب "العلويّون النصيريّون" ولم يتعدّ عن الصواب حين قال ما حرفيّته: الحقّ يقال إنّ النصيريّين هم من متطرّفي الشيعة، غدر بهم الزمان، وقهرهم التاريخ فانطووا على أنفسهم، وخشوا من الإبادة والفناء، وحاربهم أعداؤهم السنّيّون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيّون، وغدر بهم جيرانهم الإسماعيليّة واستزلّهم الصليبيّون، فهم بالحقيقة شعب قهر، لم يعرفوا استقرارًا في جبالهم الوعرة".

ثمّ قال عن معتقداتهم:

إذا أخذنا بالاعتبار أنّ العلويّة ظهرت، في أيّام الفتن الدينيّة والخلافات المذهبيّة، والانقسامات السياسيّة، وأنّ أكثر المصادر التي اعتمد عليها المؤرّخون هي من وضع خصوم هذا المذهب، فضلاً عن المستشرقين، في ما بعد، الذين كانوا يعبّرون عن شعور الاستعمار، ولا سيّما في مرحلة الانتداب على هذه الديار، والخطط التي انتهجها لسلخ هذه الجماعة عن محيطها الإسلاميّ، كان لا بدّ وأن تُحاك حول العلويّين القصص، وتُلصق بهم التّهم، وتُلفَّق حولهم الأباطيل، قصدًا إلى تشويه معتقداتهم، بادّعائهم عليهم القول: بقِدم العالم، وإنكار البعث والنشور، والجنّة والنار، وتناسخ الأرواح، واستحلال الخمرة وتقديسها وتأليهها ممّا لا يصدّقه العقل السليم... وتوصّل بعض العلماء والمؤرّخين إلى تكفيرهم، من أمثال ابن تيميّة والشهرستانيّ وابن الأثير وغيرهم، علمًا بأنّ في اتّهاماتهم هذه كثيرًا من المبالغة ومجافاة للحقيقة، وإذا صحّ أنّ العلويّين أو بعضهم قال بشيء ممّا تقدّم، فإنّهم ليسوا وحدهم من المسلمين الذين قالوا به. وهاكم الأمثلة:

١ ـ في ما يتعلّق بقدم العالم، قال به أكثر فلاسفة المسلمين، كالفارابي، والغزالي، وابن سيناء، وابن رشد.

٢ ـ وفي ما يتعلّق بتناسخ الأرواح، قال به كثير من الفقهاء والفلاسفة والأطبّاء، من أمثال إبن سينا، وإبن الجوزيّة، والإمام الشعراني الذي زعم أنّ الأرواح تتشكّل بصور مختلفة، وكذلك الإمام الغزالي الذي يعتبر في كتابه "التهافت" أنّ البعث والتناسخ يرجعان إلى واحد، بمعنى أنّ الروح بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى جسم آخر، ولم نسمع أحدًا من المسلمين قال بتكفير هؤلاء الفلاسفة الحكماء والعلماء لمجرّد أنّهم قالوا ما قالوه.

٣ ـ أمّا شرب الخمر، فقد ابتلى به عدد كبير من المسلمين، وإنّ البعض من المنحرفين قالوا بإباحته، حتّى قبل ظهور العلويّين كفرقة مستقلّة بأمد بعيد، بل ومنذ عهد الخليفة يزيد بن معاوية، وقد روى أبو هلال العسكريّ في كتابه "الأوائل" أنّ أوّل مَن باع خمرًا في الإسلام هو سمرة بن جندب المتوفّى سنة ٦٠ هـ.

وأمّا قول معاوية بالتقيّة، فهو من معتقدات الشيعة الإماميّة، وكذلك قول العلويّين بالرجعة هو قول الشيعة الإماميّة أيضًا، وإن كان معظم أهل السنّة والجماعة يعيبون على مَن يعتقد بالتقيّة والرجعة، بل ويستنكرون ذلك منهم، ولكنّهم لم ينادوا بتكفيرهم من أجل ذلك، وبّما لأنّهم لم يروا أنّ هؤلاء، في اعتقادهم التقيّة والرجعة، أنكروا أمرًا في الدين بالضرورة.

هذا ولا صحّة لِما رُميت به هذه الفرقة العلويّة من أنّهم يعتقدون بالثالوث المرتّب من "الربّ والحجاب والباب" وأنّ عليًّا هو الربّ، ومحمّد هو الحجاب، وسلمان الفارسيّ هو الباب، لأنّه لم يثبت بالدليل القطعيّ عنهم، إنّما الذي ثبت عنهم في هذا المجال، أنّهم يبالغون في احترام سلمان وخمسة معه من صحابة رسول اللّه ﷺ هم: المقداد بن الأسود الكنديّ، وأبو ذرّ الغفاري، وعبداللّه بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشيّ، وقنبر بن كادان الدوسي. هؤلاء الذين قال بعض المؤرّخين، إنّهم يطلقون عليهم لفظ "الأيتام الخمسة"، وهذا القول إن صحّ فإنّه يعود، في رأي العلويّين، إلى كون سلمان وهؤلاء كانوا من أشدّ المسلمين الأولّين التصاقًا بالإمام عليّ، وقد اعترفوا بإماميّته قبل تولّيه الخلافة، كما كان قائد المسيرة لهؤلاء الخمسة، في حلّهم وترحالهم، هو الصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ، الذي يروى أنّ رسول اللّه ﷺ اشتراه من امرأة يهوديّة، وأدخله بيته، وقال في حقّه: "سلمان منّا أهل البيت"، فقيل له: "مِن بني هاشم يا رسول اللّه؟" فأجابهم: "نعم من بني هاشم"؛ كما يروى عن رسول اللّه ﷺ قوله "سيّد العرب أنا، وسيّد الفرس سلمان"؛ وكذلك يُروى عنه ﷺ قوله: "أخبرني ربّي أنّه يحبّ أربعة، وأمرني بمحبّتهم، عليّ منهم وسلمان". لهذه الآثار وغيرها أحبّ العلويّون سلمان الفارسيّ وعظّموه، مثل ما نحبّه ونعظّمه نحن المسلمين جميعًا، ولشدّة التصاق أولئك الخمسة الكبار من صحابة رسول اللّه بسلمان، وفرط تعلّقهم به وانصياعًا لأوامره، عُرفوا بأيتام سلمان، لا لأنّهم يكوّنون تشكيلاً خاصًّا، كما يحلو لبعض المفرّقين والمبغضين للعلويّين القول فيه ووصفه بأنّ هذا التشكيل يرمز به العلويّون إلى الخلاص الأبديّ. أمّا اعتقادهم بالإثنَي عشر، عليّ ومن بعده إلى محمّد بن الحسن العسكريّ، مع اعتقاد العصمة

لهم، فهو اعتقاد الشيعة الإماميّة الإثنَي عشريّة أيضًا، وهم جميعًا يستندون في اعتقادهم هذا إلى روايات كثيرة، تفيد أنّ عدد هؤلاء النقباء المحدّد بعد نقباء بني إسرائيل الإثنَي عشر منصوص عليهم من قِبَل اللّه تعالى، من هذه الروايات ما نقله وهب بن منبه عن ابن عبّاس، أنّ اللّه خاطب نبيّه ﷺ قائلاً: "يا محمّد إنّ عليًّا هو الخليفة من بعدك، وإنّ أمّتك يخالفونه وإنّ الجنّة محرّمة على مَن خالفه، فبشّر عليًّا أن له هذه الكرامة منّي، وإنّي سأخرج لمَن له من صلبه أحد عشر نقيبًا".

ومهما يكن من أمر تلك المقولات التي تُقال بشأن العلويّين والشبهات التي تحوم حول معتقداتهم، والتي يتّضح من أقوال كبار أدبائهم وأفاضل علمائهم، تعليل بعضها الذي لا يتعارض مع جوهر الإسلام، ونفي البعض نفيًا قاطعًا لمجافاته لشريعة القرآن، ثمّ من الإمعان في تقصّي أخبارهم ومعاشرتهم في محالهم ومنازلهم، يتأكّد كلّ منصف أنّ معظم ما رُميت به هذه الجماعة المسلمة، من حلول وزندقة وغير ذلك، هو كذب وبهتان، ولا يُفضي بالتالي إلى الحكم عليهم بفساد عقيدتهم وخروجهم من ربقة الإسلام. وإنّ الظروف المأساويّة التي عاشتها هذه الجماعة في أيّام مؤسّسها الأوّل عليّ عليه السلام وتجنّي الناس، جميع الناس عليهم، وظلم ذوي القربى لهم، حتّى جاء الاستعمار البغيض، فأسرف في ظلمهم وزاد في تحطيمهم إمعانًا، لا لشيء، إلاّ لإظهارهم بمظهر المبتعدين عن محيطهم الإسلاميّ، لكي يفضي بنا وبهم الحال إلى التصارع والتقاتل فالإنحلال، وليس أدلّ على ذلك من قول الشيخ محسن حرفوش قاضي المذهب العلويّ في بلدة جبلة أثناء الانتداب الفرنسيّ، لأحد ضبّاط المخابرات الفرنسيّة الذي أراد منعه من أداء صلاة الجمعة في جامع لأهل السنّة، ومحاولة إقناعه بأنّه لا يُعتبر في نظره من المسلمين، بجوابه الرصين الحكيم لذلك الضابط: "إنّ إلهنا واحد، ونبيّنا واحد، ورسولنا واحد، ونحن مسلمون، أرادت السياسة أو لم ترد، وإنّ ربّنا ينادينا بقوله: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر اللّه﴾، (سورة الجمعة: ٩.) وليس هناك مَن يستطيع أن يحول بيني وبين السعي إلى ذكر اللّه".

يُضاف إلى هذا الموقف النبيل، لذلك القاضي العلويّ الجليل من ذلك الضابط المغرض، موقف آخر له دلالته ومغزاه، ألا وهو وقفة المجاهد العربيّ الكبير الشيخ صالح العليّ، وفي أيّام الانتداب الفرنسيّ أيضًا، حين سأله ضابط فرنسيّ آخر عن تاريخ العلويّين وديانتهم، فتناول الشيخ بيده القرآن الكريم، وأجاب سائله قائلاً: إذا أردت تاريخ العلويّين، فهذا تاريخهم، وإذا شئت دينهم فهذا دينهم. كما وأنّ العلويّين، لو كانوا حسب ما افترى عليهم المفترون وتعمّد الإساءة إليهم المؤرّخون والمغرضون، لا ينتمون إلى الشيعة الإماميّة الإثنَي عشريّة، لما كان يسوغ للمجلس الإسلاميّ الشيعيّ الأعلى في لبنان أن يُسند منصب الإفتاء الجعفريّ في طرابلس لشيخ علويّ... وما دام العلويّون يفتون ويتعبّدون، ويتقاضون في أحوالهم الشخصيّة وفقًا للأحكام الواردة في المذهب الجعفريّ، وذلك في سوريا ولبنان، بل وفي كلّ مكان، وإذا عرفنا من قبل أنّ مشيخة الأزهر الشريف، أفتت بجواز التعبّد على مذهب الإمام الجعفر الصادق، كالتعبّد على مذهب أهل السنّة والجماعة، وإذا عرفنا أيضًا أنّ من بين فقهائنا مَن صرّح بأنّه، إذا قام تسعة وتسعون دليلاً على كفر إنسان، وقام دليل واحد على إيمانه، وجب حمل هذا الإنسان على الإيمان.. أقول: إذا عرفنا هذا كلّه لم يبقَ مجال للشكّ في أنّ العلويّين مسلمون.

---

١ ـ الرافعي مصطفى، إسلامنا في التوفيق بين السنّة والشيعة، دار الكتاب اللبنانيّ (بيروت).

مَن هو العلويّ؟

الأديب الدمشقيّ السيّد عارف الصوص، قال في كتابه القيّم "مَن هو العلويّ" ما حرفيّته:

لقد تبيّن أنّ العلويّين هم فرقة مسلمة تدين بهذا الدين الحنيف، يقرّون بشهادة أن "لا إله إلاّ اللّه"، والاعتراف بنبوّة العربيّ الأمّيّ سيّدنا محمّد بن عبداللّه ﷺ رسول الهدى وخاتم الأنبياء والمرسَلين، كما أنّهم يقولون بإمامة أخيه وابن عمّه سيّد الوصيّين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه الأحد عشر المعصومين. سمعتهم يتلون القرآن الكريم الذي أنزله اللّه على نبيّه محمّد ﷺ فلم أرَ في هذا القرآن ما يخالف القرآن الذي يقرؤه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ويتوجّهون في صلواتهم إلى القبلة التي يستقبلها كلّ المسلمين في صلواتهم، ويصومون الشهر الذي فرض اللّه على العباد صومه، ويؤتون الزكاة كما أمر اللّه، بل يتمسّكون تمسّكًا شديدًا بإيتاء الزكاة، حتّى ولو كان المزكي فقيرًا مدقعًا، ومَن يستطيع الحجّ إلى البيت الحرام منهم فإنّه يحجّ، إلى غير ذلك من كافّة الفروض التي فرضها اللّه على عباده، والعلويّ يحافظ على التقاليد العلويّة، فلا تطيب له إلاّ الأحاديث التي تتحدّث عن آل البيت، ولا يقول إلاّ بالوصايا والتعاليم التي سنّها ووصفها عليّ وأبناؤه نقلاً عن الرسول العظيم[1].

---

١ ـ الصوص عارف، مَن هو العلويّ، مطبعة الإتقان (دمشق) ١: ١١ ـ ١٢.

العلويّـــــون

فرقَة إمَاميَّة

المؤرّخ المصريّ الدكتور مصطفى الشكعة، قال في كتابه "الإسلام بلا مذاهب"، في فصل "العلويّون" ما حرفيّته:

العلويّون فرقة من الشيعة الإماميّة.. ومن ثمّ، فإنّ نشأتهم الأولى هي نفسها نشأة الإماميّة، غير أنّها اتّخذت سبيلاً آخر بعد الإمام محمّد الثاني عشر "القائم بالحجّة"، وبيان ذلك أنّه كان لكلّ إمام باب، حسب المذهب الإثنَي عشريّ، وكان أوّل باب هو سلمان الفارسيّ الذي يحتلّ مقامًا رفيعًا عند العلويّين جميعًا، لأنّه كان باب الإمام عليّ رضي الله عنه، وآخر باب هو أبو شعيب محمّد بن نصير البصريّ النميريّ فقد كان بابًا للإمام الحادي عشر حسن العسكريّ، أمّا الإمام محمّد القائم بالحجّة فمبلغ علمي أنّه لم يتّخذ بابًا، لأنّه ولّي الإمامة سنة ٢٦٠ هـ، وعمره خمس سنوات، واختفى وعمره إحدى عشرة سنة.

يتولّى محمّد بن نصير البصريّ النميريّ، وقد شغل وظيفة الباب للإمام الحسن العسكريّ الحادي عشر، زعامة فريق من العلويّين، ولهذا ذهب بعض الدارسين إلى أنّ اسم النصيريّة الذي عُرف به العلويّون، في سوريا وتركيا لفترة طويلة من الزمن، إنّما هو نسبة إليه. وليس في ذلك كبير غضاضة، فالرجل له مكانة الخضوع والإجلال من قِبَلهم، وهو رئيسهم الأوّل من بعد انقضاء دور الأئمّة الإثني عشر، غير أنّ حقيقة التسمية "النصيريّة" جاءت نسبة إلى المكان الذي عاش فيه إخواننا العلويّون، واتّخذوا منه درئية وملجأ ضدّ الأذى، ومستقرًّا ومقامًا بعيدًا عن الاضطهاد، وهو جبل النصيرة، فنُسبوا إلى المكان، فلمّا زالت أسباب الاضطهاد، بزوال الاستعمار، وعاودهم الاستقرار والأمان، في الاستقلال، استعادوا اسمهم الأصليّ الذي به يعتزّون وهو "العلويّون" نسبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

وبقدر ما كان العلويّون ضائقي الصدور بتسميتهم "النصيريّة" كانوا سعداء كلّ السعادة باستعادة اسم "العلويّين"، فهم يرون أنّ إطلاق اسم النصيريّة عليهم لم يكن إلاّ بداعي العداوة المذهبيّة، كإطلاق اسم "الروافض" على الإماميّة واسم "النواصب" على السنّة.

غير أنّ ستائر النسيان وأسباب الإهمال وموجات التعذيب والاضطهاد، وما يستتبع ذلك من آفات الجهل والتأخّر والخوف، قد فعلت فعلها في القوم، فكان لكلّ ذلك أسبابه في عاداتهم وتقاليدهم، بحيث انسحبت على عقائدهم، فكان ما كان من غلوّ في معتقداتهم، لم يكونوا على الأغلب السبب المباشر لها، وإنّما شارك في ذلك حياة مضطربة غير آمنة، ومشايخ لا يعلمون من صلب المذهب إلاّ القشور، وصوفيّة ارتبطت بمذهبهم، منذ ولاية السيّد الجنبلاني، لم تواكبها متابعة علميّة ولا تطوّر ثقافيّ، فكانت الانحرافات التي شاعت بينهم ونُسبت إليهم، بعضها صحيح وبعضها مبالَغ فيه.

وإذا لم يكن بُدّ من كلمة حقّ تُقال في العلويّين على مسرى تاريخهم الطويل، فإنّ كثيرًا من الفضل منتسب إليهم لاصق بهم، فلقد تعرّضوا للغزو من قِبَل الإسماعيليّة والمضايقة من قِبَل السنّة، وهم مع ذلك كانوا أصحاب نخوة وفروسيّة في الحرب، في صفوف جيش سيف الدولة الحمدانيّ، وخاضوا المعارك الباسلة ضدّ الصليبيّين، في صفوف إخوانهم من أبناء عامّة المذاهب الإسلاميّة، وقاوموا بعض طغاة الأتراك، من الحكّام الغاشمين، وكانوا صورة طيّبة للجهاد، على مسرى حركات الاستقلال العربيّة الحديثة التي آخرها أحداث سنة ١٩٢٠ في سوريا، وما حديث البطل العظيم الشجاع الشيخ صالح العليّ ببعيد [١].

---

١ ـ الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، مرجع سابق، ص٣٠٣، و٣٠٦.

الفَصلُ الخَامِس

مِن تَاريخِ العلَوِيِّين

في العَهدِ العبَّاسِي؛ بدايَـةُ الخَيبَة؛ دَولةُ الحَمَدانيّين؛ في العَهدِ الحَمدَاني؛ الدَّولَة المرداسِيّة؛ الحكومَةُ التنوخيّة؛ إمارة بني عمّار؛ إمَارة بَني عَقِيل؛ حَسَن المَكرُون السِّنجاري؛ في ظلِّ الدَّولة الأيوبيَّة؛ غَـزوَة المَغُول.

في العَهدِ العبَّاسِي

نتجاوز تاريخ العلويّين منذ نشأتهم كشيعة لأهل البيت ومناصرتهم لعليّ ﷺ، مرورًا بالأئمّة المتعاقبين حتّى غيبة الإمام الثاني عشر، إذ أوردنا تأريخ هذه المراحل في الكتابَين المخصّصَين للشيعة عمومًا من أجزاء هذه الموسوعة[1]، وتوسّعنا في الجزءَين المشار إليهما في موضوع نشوء الدول الشيعيّة والأحداث التي مرّت عليها. وتوقّفنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب عند نشوء العلويّين بعد وفاة الإمام العسكريّ. وسنحاول في ما يلي أن ننقل ما دوّنه المؤرّخون بما يختصّ بالعلويّين وتاريخهم منذ انتشار مذهبهم في مواطنهم. قبل ذلك، سنحاول أن نلقي نظرة سريعة على حال العلويّين عمومًا في خلال الحقبة العبّاسيّة.

في نهاية العهد الأموي، كانت وفاة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥٠هـ/٧٤٣م، وقد دامت ولايته تسعة عشر عامًا، وإذ خلفه ابن أخيه عبد الملك: الوليد، وهو الخليفة الأمويّ الحادي عشر (١٢٥هـ/٧٤٣م - ١٢٦هـ/٧٤٤م)، حدث الانقلاب بالفعل على هذا الخليفة الذي لم يحكم أكثر من سنة وثلاثة أشهر، ولكنّ الانقلاب جاء على أيدي الأمويّين أنفسهم، الذين ثاروا على فسق الوليد ومجونه وعربدته وسكره، فقاد الثورة ابن عمّه يزيد بن الوليد، الخليفة الأمويّ الثاني عشر ١٢٦ هـ / ٧٤٤م، الذي تسنّم

١ - راجع الجزءَين التاسع عشر والعشرين من هذه الموسوعة.

كرسي الخلافة بعد قتل الوليد، فلم يملك سوى أشهر قليلة إذ توفّي بالطاعون بعد أن أوصى بالبيعة لأخيه إبراهيم، بينما كان مروان بن محمّد يتهيّأ للانقضاض على العرش انتقامًا لقتل الوليد. ولمّا مات يزيد ابن الوليد، انقضّ مروان على إبراهيم وانتزع منه الخلافة (١٢٧هـ/٧٤٤م) فكان الخليفة الأمويّ الأخير، الذي منه سوف تنتقل الخلافة إلى العبّاسيّين، بعد أن ينتقم العبّاسيّون في نهاية عهده، من الأمويّين ذلك الانتقام الرهيب.

في هذه الأثناء، دبّت الحروب والفوضى في المملكة الأمويّة، إذ تعاظم الصراع الأمويّ ـ الأمويّ من جهة، واستشرت الحرب القبليّة بين النزارية (عرب شماليّ الجزيرة العربيّة) واليمنيّة (عرب الجنوب)، وظهر تمرّد الولاة في أنحاء المملكة. وكان الهاشميّون يزكّون تلك العداوات بمختلف الوسائل[1].

قبل أن تؤول الخلافة إلى مروان، كان الداعي العبّاسيّ الأوّل محمّد بن عليّ ابن عبد الله بن عبّاس، قد توفّي سنة وفاة الخليفة هشام (١٢٥هـ/٧٤٣م) بعد أن أوصى أتباعه بالانقياد لولده إبراهيم[2]، الذي لُقّب بالإمام. وبذلك انتقلت الدعوة العبّاسية من يد محمّد إلى يد ولده إبراهيم[3]، الذي عمّم على الأتباع أمر الوصيّة، فقبلوه، و"دفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة"[4] وهو في مكّة. ومن مكّة راح يدير، في خراسان، النشاط السريّ الهادف إلى مآل الخلافة لبني العبّاسي.

---

١ ـ راجع: المسعودي، مروج الذهب (طبعة القاهرة) ٣: ٢٤٢ – ٢٤٥.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٢٧٥؛ اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٢١.

٣ ـ أخبار الدعوة العبّاسيّة في عهد محمّد بن عليّ: ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٥٣، ١٠٠، ١١٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٩٦، ٢١٨؛ المسعودي، مروج الذهب (طبعة القاهرة) ٣: ٢٣٩؛ اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٤ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٣٠٨.

كان عامل إبراهيم الإمام في خراسان، قائدًا كبيرًا، هو أبو مسلم الخراساني، الذي تزعّم الحركة الشيعيّة ـ العبّاسيّة هناك. وقد اتّخذ اللون الأسود، حدادًا على أهل البيت من عليّ عليه السلام وأبنائه، شعارًا لحركته. ولم تكد تبدأ سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، حتّى كانت الراية السوداء ترفرف على مدينة مرو الخراسانيّة، دون أن يتمكّن العامل الأمويّ من الوقوف بوجه الثورة. وكانت البيعة:

> أُبايعكم على كتاب الله وسنّة رسوله محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام، وعلى أن لا تسألوا رزقًا ولا طعمًا حتّى يبتدئكم به ولاتكم[1].

لقد كانت هذه البيعة، التي تضمنّت "الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله ﷺ" حلمًا علويًّا تحقّق، وباعثًا بالتالي الحماس في نفوس العلويّين لبذل كلّ غال ونفيس في سبيل نصرة راية بني العبّاس. ولاذ والي الأمويّين، نصر ابن سيّار، بالفرار، بعد أن يئس من وصول النجدة التي طلبها من الخليفة مروان، الذي كان منشغلاً بما كان يجري ببلاد الشام من اضطرابات إثر حركة العصيان اليمنيّة في فلسطين وحمص، وبالعراق حيث كان الخوارج قد ثاروا من جديد[2].

بعد سيطرة العامل العبّاسيّ على مرو، اتّسعت هذه السيطرة على نهاوند، وغيرها من المدن الفارسيّة، فأصبحت الطريق إلى الكوفة شبه مكشوفة. وبسقوط الكوفة في ١٣٢هـ/٧٤٩م، كان قد مرّ على بداية الدعوة العبّاسية والعمل، في البداية سرًّا بخراسان، ومن ثمّ ظهورًا إلى العلن، سبع وعشرون سنة، وقد بدأها محمّد بن عليّ

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٣٨٠.

٢ ـ الطبري، مرجع سابق، ٢: ١٩٥٣ وما يليها، ٢: ١٩٤٣ ـ ١٩٤٩.

بن عبد الله بن عبّاس، وكان قد صار عمر ذلك الصبيّ الذي وُلد له سنة ١٠٤هـ/٧٢٣م، وسمّاه أبا العبّاس عبد الله، خمسًا وعشرين سنة. وإذ كان أخوه، إبراهيم الإمام، قد مات قبل وقت قصير، فقد آلت القيادة إلى عبد الله أبي العبّاس. وفي شهر ربيع الأول ١٣٢هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) ٧٤٩م، بويع له بالخلافة في مسجد الكوفة الكبير[١]، حيث ألقى عبد الله أبو العبّاس خطبته الأولى التي ختمها بقوله:

...أنا السفّاح المبيح[٢].

ومنذ ذلك التاريخ أصبح الخليفة العبّاسيّ الأول يُعرف بـ "السفّاح".

أمام هذا النصر الخطير الذي وضع الخلافة الأمويّة على مشارف النهاية، عزم الخليفة الأمويّ مروان على مواجهة القدر، فسار على رأس جيش ينوف عدده على العشرة آلاف جنديّ نحو العراق، حتّى بلغ الزّاب الأعلى، حيث التقى القوى العبّاسيّة بقيادة عمّ السفّاح: عبد الله بن عليّ، ودارت رحى معركة طاحنة استمرّت تسعة أيّام، ما كان أحدٌ يشكُّ في خلالها بأمر النتيجة الموثوقة: نهاية الدولة الأمويّة. فلقد كان عدد الذين قُتلوا من عسكر مروان غرقًا في النهر، وهم ينهزمون، أكبر من عدد الذين قُتلوا منهم في المعارك. وانهزم مروان إلى العاصمة، بينما راحت المدن السوريّة تفتح أبوابها تباعًا للخراسانيّين والعراقيّين المقاتلين تحت راية العبّاسيّين بقيادة عبد الله. وحدها مدينة دمشق حاولت المقاومة، ولكنّها سقطت بعد أيّام قليلة من الحصار، ففرّ مروان إلى فلسطين، حيث تبعته فصيلة عبّاسيّة بقيادة عبد الله، فانتقل إلى مصر، وهناك أدركوه وقتلوه في نطاق كنيسة بـ"بوصير" في أواخر شهر ذي الحجّة سنة

---

١ ـ اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٤٩ ـ ٣٦٣؛ الطبري، مرجع سابق، ٣: ٢٧ ـ ٣٣؛ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٠٨ ـ ٤١٧.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤١٣.

١٣٢هـ/آب (أغسطس) ٧٥٠م[1].

وإذا كان قتل الخليفة الأمويّ، بعد أن عمّت الراية السوداء أقطار البلاد الإسلاميّة، وانتزاع شارات الخلافة منه، وإرسالها إلى السفّاح مع رأس مروان المقطوع، قد حسم موضوع الخلافة، فإنّ ذلك لم يكن حاسمًا بالنسبة لأمرٍ آخر: خطر الردّة الأمويّة. لذلك كان لا بدّ من الانقضاض على الأسرة الأمويّة بهدف تصفيتها نهائيًا.

قد يكون أفضل مَن عبّر عن هذا الواقع يومذاك، ذلك الشاعر الحجازيّ من أهل مكّة، المتعصّب لبني هاشم، واسمه سُدَيف، وقد دخل على السفّاح بعد مقتل مروان، وكان عند السفّاح سليمان بن هشام بن عبد الملك الأمويّ، قد جاء يطلب العفو، وقد أكرمه السفّاح. فقال سُدَيف:

لا يغرنّك ما ترى من الرجالِ إنّ تحت الضلوع داءً دويًّا

فضعِ السيفَ وارفعِ السوط حتّى لا ترى فوق ظَهرها أمويًّا...

فصاح سليمان (الأمويّ) إذ ذاك موجّهًا كلامه للشاعر: قتلتني يا شيخ[2]. وقد أمر السفّاح فعلاً بقتل سليمان. ولم يكن هذا الوحيد الذي قتله الشيخ.

ففي دمشق، دعا عبد الله حوالي تسعين نفرًا من بني أميّة على الطعام. ولمّا اكتمل عقدهم، أمر بهم القائد العبّاسيّ، فضُربوا بالعُمد حتّى قُتلوا، "وبسط عليهم

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٢٤ – ٤٢٧؛ اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٤٦؛ المسعودي، مروج الذهب (طبعة القاهرة ٣: ٢٦١ ـ ٢٦٢؛ السيوطي، مرجع سابق، ص٢٥٥.

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٢٩.

الأنطاع[1]، فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتّى ماتوا جميعًا. وأمر عبد الله بنبش قبور بني أميّة بدمشق، فنُبش قبر معاوية بن أبي سفيان، فلم يجدوا فيه إلاّ خيطًا مثل الهباء[2]؛ ونُبش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فوجدوا فيه حطامًا كأنّه الرماد؛ ونُبش قبر عبد الملك، فإنّه وُجد صحيحًا لم يبلُ منه إلاّ أرنبة أنفَيه، فضربه بالسيّاط وصلبه وحرقه وذرّاه في الريح. وتتبّع بني أميّة من أولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم، ولم يفلت منهم إلاّ الرضيع، أو مَن هرب إلى الأندلس، فقتلهم بنهر أبي فطرس... وقتل سليمان بن عليّ بن عبد الله ابن عبّاس بالبصرة أيضًا جماعة من بني أميّة،... وجُرّوا بأرجلهم وألقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب"[3].

بهذا، تمّ تخلّص الشيعة الذين آزروا العبّاسيّين من حكم الأمويّين. إلاّ أنّ هذا التخلّص، من الناحية العمليّة، كان عقيمًا، ذلك أنّه لم ينقل الخلافة إلى سلالة عليّ عليه السلام، مثلما كانوا يريدون، إنّما هو نقلها إلى بني العبّاس.

بعض المؤرّخين، نسب فرقة الراونديّة إلى أبي الحسين أحمد بن يحيى ابن الراونديّ، لكنّ هذه النسبة خاطئة، لأنّ الراونديّ هذا قد توفّي سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م، بينما الراونديّة، ظهرت قبل مولد الراونديّ بكثير. وقد تكون الراونديّة منسوبة إلى رواند من أصبهان، وليس إلى داعية معيّن.

فالراونديّة، هم شيعة أبناء العبّاس ابن عبد المطّلب، من أهل خراسان وجوارها. وقد قالت هذه الفرقة بأنّ "رسول الله ﷺ قُبض، وأحقّ الناس بالإمامة بعده العبّاس بن

---

١ - النطع، جمعها إنطاع ونطوع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

٢ - الهَباء: الغبار.

٣ - ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٢٩ – ٤٣١؛ المسعودي، مروج الذهب، (طبعة القاهرة) ٣: ٢٦١؛ اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٥٥؛ المبرّد، ص ١٧٠٧؛ الأغاني، ٤: ١٦١.

عبد المطّلب، لأنّه عمّه ووارثه وعَصَبَته، تبعًا لقوله عزّ وجل: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾؛ وإنّ ﴿الناس اغتصبوه حقّه، وظلموه أمره، إلى أن ردّه اللّه إليهم﴾. وتبرّأ هؤلاء من أبي بكر وعمر، وأجازوا بيعة عليّ ابن أبي طالب ﷺ، بإجازة ابن العبّاس له، عندما قال العبّاس لعليّ بن أبي طالب ﷺ عقب انتقال الرسول ﷺ من هذه الفانية: "يا ابن أخي، هلمّ إليّ أبايعك فلا يختلف عليك أثنان"[1].

غير أنّ بعض المحقّقين يرى أنّ الراونديّة قالت بهذا المبدأ متأخّرة، وليس قبل ظهور الدعوة العبّاسيّة، وأنّ رائد الراونديّة إنّما هو الراونديّ المتوفّي سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م.

ولكن، إذا صحّ ذلك، يكون هنالك من تشيّع لبني العبّاس من منطلقات دينيّة قبل الراونديّة، ذلك أنّ المدوّنات تذكر عن فرق تشيّعت لبني العبّاس، انطلاقًا من أنّ الرسول ﷺ قال:

> يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن، يقال له السفّاح، فيكون إعطاؤه المال حيثًا.

ومن أنّ "الرسول ﷺ أعلم العبّاس عمّه بأنّ الخلافة تؤول إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك". كما في المدوّنات أنّ "أبا هاشم عبد الله بن محمّد ابن الحنفيّة خرج إلى الشام، فلقي محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فقال له: "يا ابن عمّ، إنّ عندي علمًا أريد أن أنبذه إليك، فلا تطلعنّ عليه أحدًا، إنّ هذا الأمر الذي ترتجيه الناس فيكم..." فردّ محمّد: "قد علمته فلا يسمعنّه منك أحد". ورُوي عن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، والد السفّاح، أنّه قال: "لنا ثلاثة أوقات: موت يزيد بن معاوية، ورأس

---

١ ـ المسعودي، مروج الذهب (طبعة القاهرة) ٣: ٢٥٢.

المائة[1]، وفتح بأفريقية، فعند ذلك تدعو لنا دعاة، ثم تُقبل أنصارنا من المشرق حتّى تَرِدَ خيولهم المغرب"[2]. وذكر بعضهم أنّ الخليفة مروان، كان قد "وجد في الكتب أنّ رجلاً له صفات أبي العبّاس (السفّاح) سيقتل الأمويّين ويسلبهم ملكهم، فحاول جاهدًا أن يقضي على هذا الرجل، إلاّ أنّ خطأً في تطبيق التشبيه بالمواصفات، أدّى إلى قتل إبراهيم، أخي السفّاح، بدلاً من السفّاح"[3].

غير أنّ الراونديّة، وإن كانت قد شايعت بني العبّاس في الأساس، فلم يكن بنو العبّاس دعاتها أصلاً، بل كان ذلك القائد الخراسانيّ الذي حقّق النصر المبين على الأمويّين: أبا مسلم الخراسانيّ. وعندما قتل المنصور أبا مسلم تبيّن أنّ الراونديّين الخرسانيّين، لم يكونوا فعلاً من شيعة بني العبّاس، إنّما كانوا شيعة لأبي مسلم. فما أن وصل خبر قتل الخليفة العبّاسيّ للقائد الخراسانيّ، حتّى ثار الراونديّون الخراسانيّون على الخليفة العبّاسيّ، وكادوا يطيحوه.

كان الراونديّون يقولون، تبعًا لتعاليم أبي مسلم الخراساني، بتناسخ الأرواح، وبأنّ روح آدم في عثمان بن نَهيك؟ وأنّ ربّهم الذي يُطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأنّ جبريل هو الهيثم بن معاوية! وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ الراونديّة قد طوّرت تعاليمها من التعاليم الكيسانيّة، ثمّ انفصلت عنها، وغدت فرعًا من فروعها، بعد موت ابن محمّد ابن الحنفيّة: أبي الهاشم. وقد اعتبر أتباعها أنّ الرسول ﷺ قد نصّ على العبّاس بن عبد المطّلب ونصّبه إمامًا، ثمّ نصّ العبّاس على إمامة ابنه عبد الله، ونصّ

---

١ ـ رأس المائة: أي عندما يمر ٩٩ سنة على حكم الأمويّين.

٢ ـ السيوطي، مرجع سابق، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧؛ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤٠٩.

عبد الله على إمامة ابنه عليّ بن عبد الله، ثمّ ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور[1].

يجب أن يكون الراونديّون قد أصيبوا بالهلع والارتباك عندما قَتل المنصور، أبا مسلم الخراساني. فباعتبارهم أنّ المنصور هو ربّهم بالذّات، وهو مَن قتل الداعية الذي علّمهم هذا الاعتبار. وبنتيجة هذا الارتباك، تجمّع هؤلاء أمام قصر الخليفة، وراحوا يصيحون وهم مصابون بما يشبه الجنون: "هذا قصر ربّنا". فكانت ردّة فعل المنصور أن أمر بالقبض على حوالى مائتَي رجل من رؤساء القوم، ما زاد في غضبة أتباعهم، فتداعوا سرًّا إلى التجمّع، وأحضروا نعشًا في مكانٍ ما، وتظاهروا بأنّهم يسيرون في جنازة، حتّى إذا ما وصلوا إلى باب السجن، رموا النعش الفارغ، واقتحموا السجن، وأخرجوا أصحابهم. ثمّ توجّهوا إلى قصر الخليفة: "ربّهم المنصور"، وعددهم حوالى ستّمائة رجل، وإذ خرج المنصور من قصره "تكاثروا عليه حتّى كادوا أن يقتلوه" لولا تدخّل بض أنصار المنصور وإنقاذه، وقد تجمّع عليهم العراقيّون حتّى أبادوهم تمامًا[2]. وقد كانت الكوفة مسرح جميع هذه الأحداث.

بدايَــةُ
الخَيبَة

عانى العلويّون مرارة الظلم في عهد الأمويّين، وعندما كانت الثورة العبّاسيّة على الأمويّين منتصف القرن الثامن، كان العلويّون، بجميع فروعهم وفصائلهم ومعتقداتهم،

---

١ ـ راجع: طعيمة، الشيعة معتقدًا ومذهبًا، مرجع سابق، ص ١٦٠.

٢ ـ راجع: ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٥٠٢ ـ ٥٠٥.

إمّا من المحازبين للعبّاسيّين، أو على الأقلّ، من المؤيّدين لهم، غير أنّ هؤلاء العلويّين قد وجدوا أنفسهم على أبواب مرحلة جديدة من الصراع، فور اعتلاء السفّاح المنبر بعد مبايعته بالكوفة، قبل أن يُتاح للعلويّين الانتقام من بني أميّة، وإلقائه خطبته الأولى، لما ورد فيها من تأكيد على أنّ الخلافة إنّما هي من حقّ بني العبّاس، خاصة بعد أن أكّد على هذا الأمر عمّ السفّاح: داود، الذي خطب هو الآخر معقبًا على خطبة الخليفة.

ففي خطبة الخليفة العبّاسيّ الأول: أبي العبّاس السفّاح، عند اعتلائه المنبر بعد المبايعة، جاءَ التالي:

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرّمه وشرّفه وعظّمه واختاره لنا فأيّده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقُوّام به والذابّين عنه والناصرين له، فألزَمنا كلمة التقوى وجعلنا أحقّ بها وأهلها، وخصّنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، وأنشأنا من آبائنا، وأنبتنا من شجرته، واشتقّنا من نبعته، جعله من أنفسنا عزيزًا عليه ما عَنِتنا حريصًا علينا بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابًا يُتلى عليهم، تبارك وتعالى في ما أنزل من محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2]؛ وقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[3]؛ وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾[4]؛ وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾[5]؛ فأعلَمهم جَلَّ ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقّنا ومودّتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

---

١ ـ من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب. ٢ ـ من الآية ٢٣ من سورة الشورى. ٣ ـ الشعراء: ٢١٤.

٤ ـ من الآية ٧ من سورة الحشر. ٥ ـ من الآية ١٤ من سورة الأنفال.

حتّى هنا، لم ينفِ أبو العبّاس حقّ بني طالب بالخلافة، أو على الأقلّ، لم يحصر أهليّة البيت ببني العبّاس. على أنّ هذا ما سيبدو من بقيّة خطبته، إذ قال:

زعمت السبئيّة الضلال أنّ غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منّا، فشاهت وجوهم، ولمَ أيّها الناس وبنا هَدى اللّهُ الناس بعد ضلالتهم، وبصّرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحقّ، ودحض الباطلَ، وأصلحَ بنا منهم ما كان فاسدًا، ورفع بنا الخسيسة، وتمّم بنا النقيصة، وجمع الفرقة حتّى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبرّ والمواساة في دنياهم، وإخوانًا على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح اللّه ذلك منّةً ومنحة لمحمّد، ﷺ، فلمّا قبضه اللّه إليه قام بالأمر من بعده أصحابه وأمرُهم شورى بينهم وأعطوها أهلها وخرجوا صحاحًا منها. ثمَّ وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزّوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما أملى اللّه له حينًا حتّى آسفوه، فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا وردّ علينا حقّنا وتدارك بنا أمّتنا وولّى نصرنا والقيام بأمرنا ليمنّ بنا على الذين استُضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا.

وقبل أن يُنهي أبو العبّاس خطبته، كان قد اتّضح للعلويّين أنّ ما يعنيه العبّاسيّون بأهل البيت، إنّما هم أهل بيت عبّاس دون سواه. وقد تأكّد لهم ذلك تمامًا، عندما عقّب داود، عمّ أبي العبّاس، على خطبة الخليفة الجديد بخطبة طويلة اختتمها بقوله:

> ...واعلموا أنّ هذا الأمر فينا (أي الخلافة) ليس بخارج منّا حتّى نسلّمه إلى عيسى بن مريم، عليه السلام، والحمد للّه ما أبلانا وأولادنا[1].

لم تمضِ أيّام قليلة حتّى عاد الوضع العلويّ إلى ما كان عليه أيّام الأمويّين. إذ أصبح أحفاد عليّ عليه السلام موضوع حذَر، وصار العبّاسيّون يخشونهم، كما كان يفعل

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٥: ٤١٣ – ٤١٤؛ قابل: اليعقوبي، مرجع سابق، ٢: ٣٥٠؛ السيوطي، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

الأمويّون. وإذا أخذنا بعين الإعتبار أنّ بعض العلويّين معتقدًا، كانوا علويّين أكثر من أحفاد عليّ ﷺ أنفسهم، أدركنا ما قد يسبّبه هؤلاء لهم من مخاطر[1].

لقد كان العلويّون يرون، وهم فرقة من الشيعة الجعفريّة الإثنَي عشريّة، بأنّ الإمامة والخلافة حقّ من حقوق أهل البيت، وهم ينكرون على العباس عمّ النبيّ ﷺ كمال الإيمان، ولذلك كان العبّاسيّون يضطهدون العلويّين إسكاتًا لدعوتهم، وقد تمادوا في هذا الاضطهاد زمنًا طويلاً، حتّى كاد العلويّون ينسون أعمال الأمويّين لكثرة ما أصابهم من مظالم العبّاسيّين. حتّى اضطرّ العلويّون إلى أن يهاجروا إلى البقاع البعيدة، فكان منهم في خراسان ومصر وكيليكيا، وقد سكن العلويّون في كيليكيا جهات طرسوس، وآدنه ومصيص، وهرونية، وآياس، وكانوا يسمّون هذه المدن "العواصم"، وهاجر قسم منهم أيضًا إلى المغرب الأقصى وإلى الأندلس.

ففي الأندلس، أنشأ بعض العلويّين سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، وهم بنو حمّود، أوّل دار لملك العلويّين، وذلك في مدينة قرطبة، وبعدها في ملقة، وكانت مدّة ملكهم ٤٢ سنة نهايتها في ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م، وعدد ملوكهم ثمانية. وكان أوّل بني حمّود عليّ الملقّب بـ "المتوكّل على اللّه"، وكان عاملاً على مدينة "سبتة" في أيّام سليمان بن عبد الملك الأمويّ، وعندما ظهر الفساد وعمّ الخلل في الأندلس، ذهب علي إلى بلدة ملقة وأخذها. وفي سنة ١٠١٦ استولى على بلدة قرطبة واستقلّ فيها، وبعد سنة ونصف قتله غلمانه في الحمّام، وجلس مكانه "المأمون القاسم". فنقل المأمون مركزه من قرطبة إلى إشبيلية. وعند ذلك خرج عليه ابن أخيه يحيى، وأخذ منه قرطبة في سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م، وبعد سنة توفّي المأمون القاسم، وجلس مكانه "المعتلي باللّه يحيى"

---

١ ـ راجع: الجزء التاسع عشر من هذه الموسوعة، الفصل السادس.

وتوفّي في حرب سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، وجلس مكانه أخوه "المؤيّد باللّه إدريس" الذي توفّي في سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، وجلس مكانه "المستنصر باللّه حسن بن يحيى"، وبعد سنتَين توفّي هذا وجلس مكانه "المتعالي باللّه إدريس بن يحيى"، وكان ليّن الجانب كثير الصدقات، وكان كلّ يوم جمعة يتصدّق على الفقراء بخمسمائة ليرة ذهبًا، ويعطي لكلّ مَن قصده الشيء الذي يطلبه، وقد خلع في سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، وجلس مكانه "المهديّ محمّد بن إدريس" وعند وفاته انقرضت حكومة بني حمّود. وبعد انقراض دولة الأمويّين في الأندلس استقلّ الولاة فيها، ومن جملتهم بنو هود الذين أخذوا سرقسطة والثغر الأعلى واستقلّوا، وعندما وقع الضعف ببني هود اتّفق العلويّون هناك، وأعلنوا استقلالهم في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وكان أوّل أمير لحكومة بني الأحمر العلويّة أحد أعيان بلدة قرطبة، وبعد استقلاله سمّي "السلطان أبا عبد اللّه محمّد"، وقد دام حكم أبي عبد اللّه مدة ٤٢ سنة، وله غزوات عديدة، ولم يكن يُغلب أبدًا بل كان الظفر حليفًا له في جميع غزواته. وبعد وفاة أبي عبد باللّه جلس مكانه ابنه "الأمير محمّد" ثمّ خلفه ابنه المسمّى "الأمير محمّد" ومن بعده الأمير "نصر"، وفي أيّام نصر، في سنة ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨م، اتّفقت الحكومات المسيحيّة، وجمعت جيشًا باسم أهل الصليب، وهجموا على مملكة بني الأحمر، وكان الظفر حليفًا للأمير نصر في هذه الحروب العظمى. وبعد الأمير نصر جلس مكانه ابنه "الغالب باللّه إسماعيل" وقد تألّب عليه أكثر من عشرين حكومة عيسويّة، وقد هوجم بقوّة تزيد على ماية ألف رجل كاملي العدّة، فقابلهم الملك الغالب باللّه، وعدد جيشه "١٥٠٠ فارس" و "٣٠٠٠ رجل". وفي سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م، استولى الفرنجة على غرناطة، وانقرضت دولة بني الأحمر[١].

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٣٦، عن الطويل، تاريخ العلويّين.

وحينما نقض المنصور بيعته لمحمّد بن عبد اللّه النفس الزكيّة (رضي اللّه عنه)، هاجر أخو عبد اللّه إدريس إلى المغرب الأقصى، وفي زمن خلافة هارون الرشيد اجتمع العلويّون هناك، وعقدوا البيعة لإدريس هذا، ومنذ ذلك التاريخ تأسّست الدولة العلويّة الإدريسيّة في المغرب وقد دامت من سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م حتّى يومنا هذا، غير أنّ دولة الأدارسة لم تتّخذ الخلافة عنوانًا لملوكها، لأنّ أصحاب الحقّ كانوا لا يزالون موجودين، وهم بقيّة الأئمّة الاثني عشر (ع)، وقد كان العلويّون الذين نزلوا كيليكيا وغرب سوريا عرضة لنكبات الحروب الصليبيّة. وكانت مصر في صدر الاسلام علويّة، أي بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان، ولكنها لم تعمل في سبيل الإمامة شيئًا، بل بقيت العلويّة هناك عبارة عن رابطة دينيّة محضة، لا تعلّق لها بالسياسة، ولكنها أصبحت بعد ذلك مركزًا سياسيًّا كبيرًا للعلويّين[1].

كان من جملة تضييق العبّاسيّين على العلويّين قتلهم محمّد بن عبد باللّه الحسيني وأقاربه، إذ كان التجأ إلى مصر فقبضوا عليه هناك ثم ساقوه إلى المنصور فقتله في بغداد. وفي زمن المتوكّل العبّاسيّ، اشتدّ هذا الضغط، وكان من أعماله أن أمر بنقل كلّ من سلالة عليّ عليه السلام إلى العراق، وهكذا كان. ثم أرسل هؤلاء إلى المدينة، وفي ذلك الزمن التزم العلويّون التكتّم التامّ، وكان ذلك سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م. واتّفق أنّ أحد الجنود العلويّين اقترف ذنبًا يستوجب عقاب الجلد، فأمر حاكم مصر إذ ذاك يزيد بن عبداللّه بجلد هذا الجنديّ، ولمّا استغاث بالحسن والحسين، زادوا في جلده ثلاثين جلدة، ولمّا سمع المتوكّل في بغداد بذلك، أمر بجلده ماية جلدة أخرى مجازاة له على ذكر هذَين الإسمَين[2]. وبلغ من تشديده أن كتب إلى عامله في مصر، سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م،

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٢٢.

٢ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، مرجع سابق، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

بأن لا يؤجّر أحدٌ إلى العلويّين شيئًا من الأطيان والقرى، وأن يحكم الحكّام على العلويّين بمجرّد الإدّعاء. ولمّا وصلت المظالم في العلويّين إلى هذا الحدّ، ثارت حميّتهم، فنهضوا نهضتهم المعروفة، وظهر فيهم رجل عظيم هو الحسين بن حمدان الخصيبي المصريّ الذي نفخ فيهم روحًا جديدة، وبذلك تخلّصوا من حياة الهون وأصبحوا حكّامًا بعد أن كانوا محكومين.

وينقل الشيخ علي عزيز الإبراهيم عن الشيخ محمود الصالح، في كتابه "النبأ اليقين عن العلويّين" ما حرفيته[٢]:

إنّ العلويّين هو اسمهم الذي كانوا يُعرفون به قديمًا، إذ لا جدال أنّ علويّي اليوم هم أحفاد أولئك العلويّين القدماء الذين زانوا مفرق الأمّة العربيّة، بأكاليل من غار انتصاراتهم على الروم أيّام الدولة الحمدانيّة، والذين كانوا يُعرفون به آنذاك تمييزًا بينهم وهم أنصار الأئمّة من أبناء عليّ عليه السلام وبين أنصار الخلفاء العبّاسيّين، ولا أعتقد أنّ مطّلعًا، على ما في بطون سير التاريخ، يخامره أدنى شك من علويّة الحمدانيّين وأشياعهم ومعرفتهم آنذاك بهذا الإسم، وما زال أحفادهم يُعرفون به إلى أن سلبهم ساسة الجور عن انتسابهم إليه بعد ظهور مذهب النصيريّة، واستبدلوهم به اسم النصيريّين، سيرًا على خطّة الطعن والتجريح التي اعتادوا سلوكها حيال هذه الفئة العربيّة المؤمنة بحقّ آل بيت نبيّها ﷺ، بغية عزلها عن أخواتها من فرق الشيعة، وتبريرًا لأعمالهم الوحشيّة معها، وتمكينًا لهم في الأرض على حساب ظلمها وإرهاقها، ولقد تمّ لهم ما أرادوا. فرّقوا بين العلويّين وبين إخوانهم الإماميّين، وألزموهم اسم النصيريّين رضوا أم أبوا، وأفاضوا بدعوتهم به حتّى أمسى اسمهم

---

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٢٣ ـ ١٢٤، نقلاً عن: صالح الشيخ محمود، النبأ اليقين عن العلويّين، ط٢، مؤسّسة البلاغ (بيروت،١٩٨٧) ص٧٤.

الذين يُدعون به، وعلمهم الذي به يُعرفون، إلــى أن كـانت الحـرب العالميّـة الأولـى وأخذت شمس الحريّة تنشر خيوط أشعّتها علـى عـالم الكـون مؤذنـة بمحـو ظلمـات الاستعمار وقطع دابر المستعمرين، فهبّ العلويّون لمقاومــة (فرنسـا) حجـر الزاويـة في بناء الاستعمار الغاشم وهم يلحّون بوجوب تعريفهم باسـمهم الحقيقـيّ "العلويّـون" ممّا اضطرّ الفرنسيّين إلى إعلان دعوتهم به.

دَولَـــــــةُ الحَمَدانيِّين

نادرًا ما اعتبر المؤرّخـون أنّ الدّولـة الحمَدانيّـة هـي دولـة علويّـة شيعيّة بـالمعنى الواضح للكلمة، وإنْ كان أكثر مؤرّخي الشيعة قد صنّفوها كذلك. ولكنّ الثـابت هـو أنّ هذه الدولة قد شهدت هجرة جليّة لعلماء العلويّين الشيعة إليها، وأشـهرهم الشـريف أبـو إبراهيم جدّ بني زهرة، الذي انتقل إلى حلب في عهد سيف الدولـة الحمدانـيّ (٣٠٣ ـ ٣٥٦ هـ / ٩١٥ ـ ٩٦٥م) فتحوّل بعض أهلها من السنّة الحنفيّـة إلـى التشـيّع[1]. وكـان المؤذّنون في مساجد المدن الواقعة تحت حكم الحمدانيّين يؤذّنون بحيّ على خير العمل. وفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٤م، ضرب سيف الدولة دنانير جديدة كتـب عليهـا: "لا إلـه إلاّ الله ومحمّد رسول اللــه أمـير المؤمنيـن علـيّ بـن أبـي طـالب فاطمـة الزهـراء الحسـن والحسين جبريل عليهم السلام"[2].

وقد نقل الشيخ علـي عزيـز الإبراهيـم[3] عـن كتـاب للعلاّمـة السيّد محسـن الأميـن بعنوان أبو فراس الحمدانيّ، الدولة الحمدانيّة" قوله:

> وكـان عصـر الحمدانيّيـن عصـرًا قـد انقسـمت فيــه المملكـة الاسـلاميّة المتراميـة الأطراف إلى ممالك وإمارات جلّها غـير عربيّـة، فكـانت خراسـان ومـا والاهـا بيد السـامانيّين، ومـا وراء النهـر بيـد الغزونيّيـن، وكلتـا الدولتَيـن غـير عربيّـة، وبغـداد وفارس بيد البويهيّين وهم من الفرس، والخلافة العباسيّة في بغداد لا حـول لهـا ولا طول، وإنّما لها الخطبة والمشاركة في السكّة في البلاد الإسلاميّـة الشرقيّـة، والشـام

---

١ ـ كرد عليّ محمّد، خطط الشام، ص٢٥٨.

٢ ـ مغنّية، دول الشيعة، مرجع سابق، ص ٩٣.

٣ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٢٤ ـ ١٢٦.

ومصر بيد الإخشيديّين وهم أتراك، وأفريقيا والمغرب بيد الفاطميّين، والأندلس بيد الأمويّين. فأنشأ الحمدانيّون مملكة إسلاميّة عربيّة في الموصل وديار بكر وديار ربيعة والجزيرة وحلب والعواصم إلى منتهى البحر المتوسّط شمالاً وإلى مملكة الروم وقاعدتها القسطنطينيّة شرقًا، وإلى فلسطين ودمشق غربًا فردّوا غارات الروم، وأغاروا على بلادهم وفتحوا كثيرًا منها، والروم يومئذ في قوّتهم، وقهروا القرامطة والخوارج الشراة، كهارون الشاري وغيرهم، وتسلّطوا على الأكراد وأخضعوهم، وأخضعوا قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة وبادية الشام، صاحبة العدد الكثير والقوّة، وأدخلوها في طاعتهم، وحاربوا الإخشيديّين في الشام وأخذوا منهم دمشق، ثمّ عادوا إليها بمخامرة أهلها، وكانت هذه المملكة منقسمة بين ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان، وأخيه سيف الدولة علي بن عبد اللّه بن حمدان، وكان لناصر الدولة الموصل والجزيرة ولسيف الدولة حلب والعواصم وما إليها، وكان ناصر الدولة لا يخلو من منازعة البويهيّين له، وسيف الدولة يحارب الروم غالبًا، وسيّد بني حمدان ورئيسهم سيف الدولة، ووزيره وقائده الأوّل ومحلّ اعتماده في الحروب وقيادة الجيوش وحماية المملكة أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، ولم يكن سيف الدولة وأبو فراس طالبي ملك صرف وإمارة محضة، بل كان لهما باعث دينيّ وغيرة وطنيّة على حماية المملكة وحفظها، فسيف الدولة يجمع من غبار غزواته للروم، التي كان يقصد منها ردّ عاديتهم عن بلاده، لبنة ويوصي أن توضع تحت رأسه في قبره... وإنّ رجلاً كسيف الدولة وابن عمّه أبي فراس يستطيعان إنشاء دولة قويّة، عربيّة إسلاميّة، نمت في ظلّها العلوم العربيّة والإسلاميّة والأدب العربيّ نموًّا فائقًا، في عصر تفكّكت فيه عزى الإسلام والعروبة، وفي بقعة محاطة بالروم من جهة، وبالإخشيديّين والبويهيّين الأقوياء من جهات أخرى، ومشحونة في داخلها بدعايات القرامطة والخوارج وفتنتهم، وبغزوات الأكراد والقبائل العربيّة وفسادهم، لرجلان فريدان عظيمان خلّد التاريخ ذكرهما في صفحاته بالعزّ والفخر.

وقد اعتبر بعض المستشرقين، ومنهم بروكلمان Brockelman الألمانيّ في "تاريخ الشعوب الإسلاميّة" أنّ الحمدانيّين إنّما اتّبعوا مذهب التشيُّع إرضاء للفاطميّين"[1]. ولكنّ مَن يتعمّق في دراسة الحمدانيّين يجد أنّهم كانوا من الشيعة الاثنَي عشريّة، وليس من الإسماعيليّة التي كانت مذهب الفاطميّين؛ وأوضح دليل على اثنَي عشريّة الحمدانيّين، هو ما جاء في شعر كبير شعرائهم أبي فراس الحمدانيّ (٩٣٢ ـ ٩٦٨) ابن عمّ سيف الدولة الذي قلّده إمارة منبج؛ فقد نظم هذا الشاعر الحمدانيّ قصيدة ميميّة طويلة جعل مقدّمتها مشحونة بالعطف على أهل البيت، وهاجية للعبّاسيّين لأنّهم لم يرُاعوا حرمة آل عليّ عليه السلام، ثمّ مدح أئمّة الاثنَي عشريّة. وفي قصيدة ثانية، صرّح بمذهبه الاثنَي عشريّ بوضوح، إذ عدّد فيها الأئمّة الاثنَي عشر على أنّهم أئمّة مذهبه إذ قال:

لست أرجو النجاة من كلّ ما أخشاه إلاّ بأحمد وعليّ
وبنت الرسول فاطمة الطهر وسبطَيه والإمام عليّ
والتقيّ النقيّ باقر علم الله فينا محمّد بن عليّ
وابنه جعفر وموسى ومولانا عليّ أكرم به من عليّ
وأبي جعفر سميُّ رسول الله ثمّ ابنه الزكيّ عليّ
وابنه العسكريّ والمظهر حقّي محمّد بن عليّ
فيهم أرتجي بلوغ الأماني يوم عرضي على مليكي عليّ

---

١ ـ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة منير البعلبكي (بيروت،١٩٥٤) ص٨٩.

وفي أبيات أخرى، يتوسّل الشاعر الشفاعة بمحمّد وفاطمة والأئمّة الإثنَي عشر[1]:

شـافعيّ أحمـد النبـيّ ومـولاي علـيّ والبنـت والسـبطان
وعلـيّ وبـاقر العلـم والصـادق ثـمّ الأميـن ذو التبيـان
وعلـيّ ومحمّـد بـن علـيّ وعلـيّ والعسـكريّ الدانـي
والإمـام المهديّ فـي يوم لا ينفـع إلاّ غفـران ذي الغفـران

***

أسّس الدولة الحمَدانيّة حمَدان بن حمدون شيخ قبيلة تَغلِب من بطون ربيعة بن نزار. وكان هؤلاء من نصارى العرب في الجاهليّة.

كان حمدان أميرًا على قلعة ماردين قرب الموصل من قِبَل العبّاسيّين. وفي عهد المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) مال حمَدان إلى الخوارج، فسار إليه الخليفة العبّاسيّ وهدم قلعته بعد أن سارع حمَدان بالانتقال إلى قلاع أخرى بقرب الموصل، فتبعه المعتضد حتّى ظفر به بعد مطاردة طويلة[2].

بعد موت المعتضد، ولّى المكتفي سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥م ابن حمَدان: عبد اللّه، الموصل، فتمكّن من ضبطها بعد تغلّبه على الأكراد[3].

١ ـ الشعكة مصطفى، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين؛ مغنيّة، دول الشيعة، مرجع سابق، ص ٩٥ ـ ١٠٠.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٧: ٤٦٦، ٤٦٩؛ المسعودي، مروج الذهب، مرجع سابق، ٤: ٣٤٦.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٧: ٩٣ ـ ٩٤، ١٦٣.

ونلتقي بابنٍ آخر لحمَدان بعهد المقتدر، هو الحسين بن حمَدان، وقد خرج على طاعة الخليفة العبّاسيّ بالجزيرة. وبنتيجة ملاحقة المقتدر له سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥م، قُبض على الحسين وإخوته وحُبسوا، وقُتل ابن الحسين في آمد إذ هرب مع إخوته إلى هناك، وأُرسل رأسه إلى الخليفة ببغداد، بينما بقي عبد اللّه متوليًا الموصل التي راح يحكمها من بغداد، وينوب عنه بالموصل ولده ناصر الدولة[1]، وذلك في أحداث سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦م، إذ يظهر اسم ناصر الدولة لأوّل مرّة في المدوّنات.

بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ (٣١٨ هـ / ٩٣٠م) وكان لا يزال العهد للخليفة العبّاسيّ الثامن عشر: المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ ـ ٩٣٢م) عُزل ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان عن الموصل ووُلّيها عمّاه سعيد ونصر ابنا حمَدان، بينما وُلّي ناصر الدولة ديار ربيعة، ونصيبين، وسنجار، والخابور، ورأس عين، ومعها من ديار بكر ميافارقين، وأرزن، وذلك لقاء مبلغ مقطوع من المال[2]. غير أنّ ناصر الدولة عاد واستولى على الموصل بعد أن قتل رجاله، بأمر منه، أحد عمّيه الواليين عليها. حدث ذلك سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤م، بعهد الخليفة العبّاسيّ الراضي[3].

أحكم ناصر الدولة قبضته على الموصل بعد عدّة وقعات بينه وبين القادة الأتراك في الخلافة العبّاسيّة، حتّى تمكّن منهم، سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١م، في عهد الخليفة العبّاسيّ الحادي والعشرين: المتّقي (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ ـ ٩٤٤م) الذي اعتمد لقب ناصر الدولة للحسن بن عبد الله الحمَدانيّ، ولقّب أخاه أبا الحسن عليًّا بسيف الدولة. حتّى إنّ

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٨: ٩٣ ـ ٩٤، ١٦٣.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٨: ٢١٦.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٨: ٣٠٩ ـ ٣١٠؛ المسعودي، مروج الذهب، مرجع سابق، ٤: ٣٤٠.

المتّقي جعل ناصر الدولة "أميرًا للأمراء"[1]. وبدا أنّ ذلك قد كـان إيذانًـا بقرب سطوع نجم الحمدانيّين، إذ منذ ذلك التاريخ، أصبح ناصر الدولة وأخـوه سيف الدولـة وبعض أقربائهما، يشكّلون القوّة العمليّة في قصر الخليفة وممالكه، خاصة في حروب المتّقي مع البريديّين[2]. إلاّ أنّ القائد التركيّ المملوكيّ توزون، استطاع أن ينتزع بغداد من الحمدانيّين، وأن يطيح الخليفة سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢م، بينما بقيت المناطق الأخرى خاضعة للحمدانيّين[3]، وقد لجأ إليها الخليفة قبل أن يعود إلى بغداد ليُطيحه توزون. وبقيت الموصل بأيدي الحمدانيّين حتّى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٨٧م إذ انتزعها منهم البويهيّون على يد عضد الدولة.

بينما كان أبناء ناصر الدولة، الذي توفّي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨م، يتنازعون الموصل، كان شقيق ناصر الدولة: سيف الدولة، يحلم بما هو أهمّ من ولاية أو إمارة، فاتّجه بطموحه نحو حلب، التي كانت تتأرجح بين حكم الخليفة العبّاسيّ في بغداد، والإخشيديّين[4] في مصر ودمشق، وهي على حدود الأعداء الأساسيّين: البيزنطيّين. فراح يتحيّن الفرصة.

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٨: ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

٢ ـ **البريديّون**: هم ثلاثة إخوة، كان أبوهم صاحب البريد في البصرة، لعبوا دورًا خطيرًا على أيّام المقتدر وخلفائه، حاربهم "ابن رائق أمير الأمراء" دون جدوى، حاربوا معزّ الدولة البويهي فطردهم من البصرة، أكبرهم عبد اللّه أحمد (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٥م) كان عاملاً على الأهواز فجمع ثروة طائلة في وزارة ابن مقلة، اغتال أخاه أبا يوسف يعقوب ٩٤٣، أمّا الأخ الثالث أبو الحسين فقد أعدم في بغداد ٩٤٥.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ص ٣٤٨، ٣٩٤، ٣٩٦ ـ ٣٩٩.

٤ ـ **الإخشيديّون**: أصلهم من إيران، حكموا سوريا ومصر ٩٣٥ ـ ٩٦٩ في أعقاب الدولة الطولونيّة والقرمطيّة، أنهى الفاطميّون حكمهم باستيلائهم على مصر ٩٦٩، وهم: محمّد بن طغج، أبو القاسم أنوجور بن إخشيد، أبو الحسن علي بن إخشيد، أبو المسك كافور، أبو الفوارس أحمد بن علي.

ويبدو أنّ هذه الفرصة قد حانت في أواخر سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤م، إذ سار سيف الدولة بجيشه إلى حلب، وانتزعها من يد والي الإخشيديّين بدون مقاومة تُذكر. ومن حلب، سار سيف الدولة إلى حمص التي استولى عليها هي الأخرى بعد قتال قصير، ولكنّه عجز في هذه الحقبة عن الاستيلاء على دمشق التي امتنعت عليه رغم حصارها لبعض الوقت. وتمكّن سيف الدولة من الإبقاء على سيطرته على حلب وحمص رغم قتاله الطامحين بهما على ثلاث جبهات: العبّاسيّين، والإخشيديّين والبيزنطيّين[1]. ثمّ بعد وقت قصير، عُقد صلح بين سيف الدولة والإخشيديّين، نصّ على أن تكون حلب وحمص وأنطاكية للحمدانيّين، ودمشق للإخشيديّين، وإذ كان الإخشيديّون من أهل السنّة، كثر التسنّن في دمشق، بينما كثر التشيّع في شمال الشام بعهدهم[2]. وقد تمكّن هذا المحارب الفذّ من القضاء على فتن داخليّة كثيرة نشبت بحلب خلال حكمه، فكان يردّ تلك الفتن بيد، ويغزو بلاد الروم ويردّ الهجمات الخارجيّة للطامعين باليد الثانية، وقد استمرّ هذا الوضع على حاله حتّى وفاته سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٥م بمرض الفالج[3].

أمّا الشيخ علي الإبراهيم، فقد أرّخ لسيف الدولة على الشكل التالي:

> وُلد سيف الدولة علي بن عبد اللّه بن حمدان العدوي التغلبي، سنة ثلاث وثلاثمائة هجريّ، في بيت عريق يكتنفه المجد، وتحيط به عزّة الإمارة، وما أن بلغ أشدّه حتّى اعتلا ذروة الفخار فملك "واسطًا" ونواحيها ثم تقلّبت به الأحوال، فملك "حلب" واتّخذها قاعدة ملكه، بعد أن انتزعها سنة ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين هجريّ، من يد أحمد بن سعيد الكلابي عامل الإخشيديّين عليها. وقال أبو الفداء في تاريخه

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٢ ـ كرد عليّ، خطط الشام، مرجع سابق، ١: ٢١٨.

٣ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٩: ٨٥ ـ ٩٠.

"المختصر في تاريخ البشر": سيف الدولة أحد الأمـراء الشـجعان والملـوك الكثيريّ الإحسان، على ما فيه من تشيّع، وقد ملك دمشق في بعض السنين واتّفـق لـه أشـياء غريبة منها أنّ خطيبه كان مصنّف الخطب النباتيّة أحد الفصحـاء البلغـاء ومنهـا أنّ شاعره كان أبا الطيّب المتنبّي، ومنها أنّ مطربه كان أبا نصر الفارابي، وكان سيف الدولـة كريمًـا جـوّادًا معطيًا للجزيـل" إلـى أن قـال: "وُلـد سـنة ثـلاث وقيـل إحـدى وثلاثمائـة، وإنّـه ملـك "حلـب" بعـد الثلاثيـن والثلاثمائـة، وقبـل ذلـك ملـك "واسـطًا" ونواحيها، ثم تقلّبت به الأحوال حتّى ملـك حلـب، انتزعهـا مـن يـد أحمـد بـن سـعيد الكلابي صاحب الإخشيد". ويقول الثعالبي في يتيمته: "كان سـيف الدولـة الحمدانـيّ، غرّة الزمان وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور، وكانت وقائعه فـي عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها وتفلّ أنيابها ويـذلّ صعابهـا وتكفـي الرعيّـة سوء آدابها، وغزاواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شرّهم المثار، وتحسـن في الإسلام الآثار، وحضرتـه مقصـد الوفـود ومطلـع الجـود، وقبلـة الآمـال ومحـطّ الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء. وفي سنة ٣٣٩ غزا سـيف الدولـة الـروم، وتوغّل في بلادهم، واغتنم أموالاً لا تحصى ومن كثرة الغنـائم لـم يسـتطع الرجـوع بانتظام، ووقع في كمين الروم فاستردّ الروم أموالهـم. وفـي سـنة ٣٤٣ غـزا الـروم أيضًا، واغتنم أموالاً أكثر مـن المـرّة الأولـى، وقتـل فـي الحـرب إبـن ملـك الـروم، فعندها استمدّ ملك الروم من الروس والبلغار العون، بقوّات عظيمة، وقصدوا البـلاد الإسلاميّة، وكان سيف الدولـة قـد تجهّـز للحـرب، والتقـى الفريقـان، ووقعـت بينهـم حروب هائلة، وكان النصر حليفًا لجيوش سيف الدولة. وبعد انهـزام الـروم انهزامًـا تامًّا أسر المسلمون صهر دمشق المشهور وابن بنته مـع أعـاظم القـوّاد. وفـي سـنة ٣٤٥ غزا سيف الدولة بلاد الروم وداوم غزوه حتّى وصل إلى أماسية، وأخذ قلاعًا عديدة، وأموالاً كثيرة، ورجع لمقرّه ظافرًا منتصرًا. وفي سنة ٣٤٩ هـ. غزا سـيف الدولة بلاد الروم، وخرّب البلدان، وقتل رجالهـا، وأسـر الصبيـان والنسـاء، واغتنـم الأموال، ولكن عند عودته كانت الروم أخذت كوالك وقطعت طريقـه، فأشـار عليـه أهل طرسوس بقتل الأسرى والرجـوع لتخريـب بـلاد الـروم، لأنّ الرجـوع صعـب

وغير ممكن، فإذا أعاد الكرّة عليهم يفتحون له الطريق، ولكنّه لم يفعل وتجاوز على المرابط، فغُلبت عساكره ولم ينجُ منهم سوى ثلاثمائة شخص ورجع هو معهم بعد مشاق. وفي سنة ٣٥٠، أرسل سيف الدولة غلامه نجا من جهات ميافارقين، ودخل بلاد الروم وأتى بغنائم وأسرى كثيرين. وفي سنة ٣٥١، أتى دمستق إلى عين الزربة، ونقض عهده مع أهلها، وبعد أن أخرجهم قتلهم ظلمًا، والذين نجوا من يد الروم هلكوا على الطريق وقد أحرق عين الزربة بعدما أخذ مقدار خمسين قلعة من المسلمين وقتل أكثر أهاليها ثم رجع لبلدة قيصري. ويتابع الثعالبي في يتيمة الدهر: يقال إنّ سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة، له وعليه فمنها: إنه أغار على زبطرة، وغرقة، وملطية، ونواحيها، فقتل وأحرق وسبى، وانثنى قافلاً إلى درب موزار، فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله وعقب إلى بلدانه، وقد ترجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم وقد عبر الفرات إلى بلاد الروم ولم يفعله أحد قبله، حتّى أغار على بطن هنزيط، فلمّا رأى فردس بعد مغزاه وخلوّ بلاد الشام منه، غزا نواحي أنطاكية، فأسرى سيف الدولة، لا ينتظر متأخّرًا ولا يلوي على متقدّم حتّى عارضه بمرعش فأوقع به وهزمه، وقتل رؤوس البطارقة وأسر قسطنطين بن الدمستق، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه[1].

بعد وفاة سيف الدولة ملك بلاده بعده ابنه أبو المعالي الشريف الملقّب بسعد الدولة، بعد حروب ومنازعات مع خاله أبي فراس، ثمّ مع حاجبه قرغويه. واستقرّت له الأمور في عهد الخليفة العبّاسيّ، الطائع (٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ / ٩٧٤ ـ ٩٩١م) وقد أكمل سعد الدولة نهج أبيه، وصمد في وجه الروم وهزمهم، حتّى توفّي بالفالج كأبيه سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م، وهو على أرض المعركة بخلال تمرّد أحد قوّاده الذي انحاز إلى

١ ـ الإبراهيم، الطويّون، ص١٢٦ ـ ١٢٩.

الفاطميّين[1]، إلاّ أنّه كان قد خسر حكم أنطاكية أمام الروم.

خلف سعد الدولة ابنه أبو الفضائل الملقّب بسعيد الدولة، فاضطرّ إلى محاولة الاستعانة بالروم ضدّ الفاطميّين الذين حاولوا الاستيلاء على ملكه كما فعلوا في عهد أبيه. ولكنّ النجدة البيزنطيّة لم تصل إليه بسبب قطع الطريق عليها من قِبَل الفاطميّين[2]. وهكذا سقطت المملكة الحمَدانيّة التي كانت تضمّ حلب وحمص، بيد الفاطميّين سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م.

لا شكّ في أنّ أبرز وجوه الدولة الحمَدانيّة إنّما هو سيف الدولة، الذي حقّق انتصارات عسكريّة باهرة، وقد ازدهرت في عهده الآداب والعلوم، فنبغ في بلاطه المتنبّي وأبو فِراس الحمدانيّ[3]، وأبو نصر الفارابي الفيلسوف، وإليه قدّم أبو الفرج الأصفهانيّ كتاب الأغاني.

أمّا إخوة سيف الدولة، فكانوا قد فقدوا سلطتهم على الموصل إثر منازعات دامية في ما بينهم، ما أدّى إلى إضعافهم وانهيار حكمهم في حوالى سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧م.

وبزوال الدولة الحمدانيّة، بدأت الإثنا عشريّة بالضعف في بلاد الشام، وفُتح الباب واسعًا أمام الإسماعيليّة التي بلغت أوج انتشارها في عهد الخلافة الفاطميّة.

---

١ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٩: ٨٥ ـ ٩٠.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٩: ٩٠.

٣ ـ قُتل أبو الفراس على يد أبي المعالي، ابن سيف الدولة، وهو ابن أخت أبو الفراس، بسبب "وحشة وقعت بينهما". ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ٨: ٥٨٨.

العلَويُّـــــــــون

في العَهدِ الحَمدَاني

ينقل الشيخ علي الإبراهيمي عن "الشيخ محمود الصالح" في حال العلويّين في عهد الدولة الحمدانيّة قوله:

في غضون ذلك العهد الميمون أمن الساحل السوريّ من غوائل الغزاة الإفرنج رغم توالي غزواتهم عليه، والتي كانوا في أيّها ينكصون على أعقابهم مذمومين مدحورين، بفضل ما كان من روابط قوميّة واجتماعيّة وأواصر ودّ وقربى وتوثيق عرى صداقة وولاء، بين هذا المليك الغازي وبين ولاة ثغور الساحل الأشدّاء، وبتماسكهم للذّود عن حوضه تماسكهم بالولاء لآل البيت الطاهرين (ع)، وبإجماعهم على حمايته إجماعهم في الأذان على "حيّ على خير العمل". "فقد كان على أنطاكية الأمير أبو العشائر الحسين بن عليّ بن الحسين بن حمدان، وعلى اللاذقيّة الأمراء التّوخيّين، وفي طليعتهم الأمراء، محمّد وحسين إبنا إسحق التنوخيّ، وعليّ ومعاذ ابنا إبراهيم التنوخيّ، وعلى الجنوب من طرابلس إلى طبريّة الأمير أبو الحسن رائق بن خضر الغسّاني، ثم ابنه الأمير محمّد بن رائق المعروف بأمير الأمراء، وكان عامله على صور، وصيدا ومرجعيون الأمير بدر عمّار بن اسماعيل، وجلّهم مدحه المتنبّي"[1]...

ورغم ما حاق بالعلويين في تلك الآونة، من نقص في النفوس وفي الأموال والأملاك، بسبب صدّ غارات الروم وغزوات الإفرنج المتتالية من جهة، والعمل لإخماد الاضطرابات الداخليّة، كفتن الأكراد والبدو والخوارج الشراة من جهة ثانية،

---

١ ـ الإبراهيم، العلويون، ص١٣١ ـ ١٣٢، عن: الصالح، النبأ اليقين، ص١٣٩.

ممّا سبّب ضعفًا وقلّة في عدد العلويّين وعدتهم، فإنّ العلويّ يعتبر ذلك العهد من أخصب وأمرع عهود تاريخ حياته، لأنّ حكمه نفسه بنفسه واستعلاء كلمة دينه ومذهبه على يده كانا ينسيانه آلام القتل والتخريب، ومشاق الأسر، والأسفار، ويجدّدان فيه العزم والنشاط، فيُقبل على الجهاد والتضحية بقوى لا تعرف الخور، وعزائم لا يتسرّب إليها الانحلال. وقد ذكرنا في الفصل السابق أنّ السيّد حسين بن حمدان الخصيبي المصريّ، بعد مجاهداته العظيمة ونجاحه، في ديار الديلم، وخراسان والفرس والعراق، جاء لحي بني حمدان وسكن في حلب مع تلميذه سيف الدولة لحين وفاته، في سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، وأنّ السيد محمّد الجلي الكبير كذلك سكن في حلب، وأصبحت بلدة حلب المرجع الوحيد للعلويّين الذين أتبعوا الباب السيّد محمّد أبا شعيب البصري النميري. وبعد محمّد الجلي أي بعد أيّام بني حمدان، انتقلت مشيخة العلويّين للسيّد أبي سعيد الميمون سرور، كما جاء ذكره، الذي رحل إلى اللاذقيّة، وسكن فيها، وهناك زاره أعاظم بني خلاّد المعروف باسم "أبو ذهيبة". ولكن عندما رحل بنو هلال انحلّت التشكيلات الدينيّة عند العلويّين، وتفرّقوا على مراكز دينيّة غير مربوطة ببعضها، وأصبحت المراجع الدينيّة تُسمّى: "المشايخ"، وتفرّد أهل جبل النصيرة بالتقوى.

بعد أفول سلطنة بني حمدان في حلب، أصبح العلويّون مرتبطين سياسيًّا ودينيًّا بالعلويّين المصريّين. فإنّ هجمات الصليبيّين جعلت مركز العلويّين المنقول، من حلب إلى اللاذقيّة، ضعيفًا، واكتسب مركز مصر أهميّة اللاذقيّة. أمّا المركز الشرقيّ في بغداد، فقد انفرط عند وقوع النكبة هناك. وأخيرًا انفرط مركز مصر العظيم الذي كان يرأسه رؤساء عائلة البلقيني: وذلك في أيّام السلطان سليم، وليومنا هذا، لم يتعيّن لهم مركز منفرد، بل كان شيخ من المشايخ العظام

استقل في رياسة مركز صغير، وهذا أعظم خسارة للعلويّين، وهو من أهمّ أسباب عدم توحيد كلمتهم[1].

الدَّولَـــــة المرداسيّة

الدولَة المرداسيَّة، دولة عربيّة شيعيّة (١٠٢٣ ـ ١٠٧٩) قامت على أنقاض الدولة الحمدانيّة، انطلقت من وادي الفرات وشملت حلب ومنبج وبالس والرقّة والرحبة ثمّ حمص وصيدا وبعلبك وطرابلس وامتدّت إلى عانا وملكت جميع وادي الفرات الشاميّ، أسّسها صالح ابن مرداس. إشتهر المرداسيّون بانتصارهم على ملك الروم أرمانس سنة ١٠٣٠ في معركة فاصلة صدّته عن شمال سوريا. ثمّ قضى عليها العقيليّون. وكان آخر مَن حكم السلالة بن محمود.

وفي بعض المدوّنات تأريخ للدولة المرداسيّة على الشكل التالي:

> بعد موت سيف الدولة ومقتل الشاعر أبي فراس، أخذ الوهن والضعف يدبّ في جسم الدولة الحمدانيّة، وثار "قرعويه"، وهو من الغلمان الموالي، على الملك سعد الدولة سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، فاستحوذ على حلب فخرج منها خائفًا يترقّب، وسعى في إمارة حمص التي كان خرّبها ملك الروم في تلك السنة. ذلك أنّ ملك الروم دخل إلى طرابلس، فأحرق وسبى وقتل منها خلقًا كثيرًا... ثمّ مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلدًا سوى القرى، وتنصّر خلق كثير على أيديهم. وجاؤوا إلى حمص، فأحرقوا ونهبوا وسبوا، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ من البلاد ما أراد،

---

[1] ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص٣٢٥؛ الإبراهيم، العلويّون، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

ويأسر مَن قدر عليه، وصارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبي نحو من مائة ألف، ما بين صبيّ وصبيّة، وبعث سريّة إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا، وعاد الروم إلى أنطاكية فملكوها وقتلوا خلقًا كثيرًا من أهلها، وركبوا إلى حلب وأبو المعالي محاصر "قرعويه" الذي انتزعه ملكها، فخانهم وهرب منها، فحاصرها الروم وأخذوا البلد وامتنعت عليهم القلعة، ثم اصطلحوا مع "قرعويه" على هديّة ومال يحمله إليهم كلّ سنة، وسلّموا إليه البلد ورجعوا عنه، وفي عودة أبي المعالي عن حلب، هربًا من ملك الروم، رجع إلى عمارة حمص، وبعد أن أتم ترميمها سكنها إلى أن كانت سنة ٣٦٦هـ. حيث اختلفت الأمور على "قرعويه"، فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي، وهو في حمص أن يأتيهم. فسار إليهم وحاصر "قرعويه" في حلب أربعة أشهر ثمّ افتتحها"[1].

وبعد موت سعد الدولة، وخلافته من قِبَل ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل، اضطربت في عهده نار الفتن، فعجز عن إخمادها. وكثرت حوادث الشغب والاضرابات الداخليّة فلم يستطع ضبط الأحوال ولم يُحسن تصريف الأمور. وكانت قبائل البادية، وفي مقدّمتها قبيلة بني مرداس، تلعب دورًا هامًّا في إثارة الشغب على الملك الواهي، وحمل الأمّة على شقّ عصا الطاعة عليه. وقد اغتنم المرداسيّون ضعف الحمدانيّين فرصة للقبض على ناصية الحكم، فاستولوا على حلب قاعدة مملكة الحمدانيّين، وبنوا دولتهم على أنقاض تلك الدولة المترامية الأطراف، التي كان يخشى بطش رجالها ملك الروم. وباستيلاء المرداسيّين على حلب، أخذ التاريخ يغفل ذكر العلويّين، وفي سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م، جاء جيش كثيف من مصر إلى حلب، وعليها الملك "أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي" الذي لقّب نفسه "أسد الدولة"، فاقتتل مع الجيش المصريّ الذي رجع عن حلب، بعد أن قتل "أسد الدولة". ثمّ قام بعده على حلب حفيده "نصر"

---

١ ـ أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، أحداث سنة ٣٥٩ و٣٦٦هـ.

المعروف "بشبل الدولة". وما زالت الدولة المرداسيّة في حلب إلى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، حيث قتل الجيش المصريّ الفاطميّ "شبل الدولة" آخر ملوك بني مرداس، واستولى المصريّون على حلب وأعمالها. وضمّوها إلى مُلكهم في مصر، كما ضمّوا الشام من قبل.

ويذكر مؤرّخو العلويّين أنّ العلويّين قد ساهموا بتقوية روح الدعوة الفاطميّة وعملوا بكلّ ما أوتوا من قوّة لنجاحها، وإيصالها إلى النفوس، ونشرها في البلاد، اعتقادًا منهم أنّ الخلافة هي حقّ أبناء فاطمة (ع)، وقد آن لهذا الحقّ المغتصب أن يعود إلى أهله، وتخلّصًا من حكم الدولة المرداسيّة التي سلبتهم سلطانهم، فأسرعوا إلى البيعة يتفيّأون ظلال دولة علويّة هاشميّة، مكتفين بإعلان شعائرهم الدينيّة، وإعلاء كلمة مذهبهم الولائيّ، وكلّهم عيون متطلّعة وآمال باسمة للمستقبل الذي عملوا لازدهاره، وفزعوا من حاضرهم إليه، فلم يضنّوا بثمين في سبيله، ولا رغبوا بشيء عنه، ينشدون الراحة في أفيائه، والحريّة ترفّ عليهم من أجوائه، فيحيون حياة تنسيهم آلام حاضرهم، وتعيد إليهم ذكرى ماضيهم الطيّبة العبير، ولكن في القدر ما لم يكن في حسبانهم... وتنكّر الفاطميّون لإخوانهم العلويّين، وجرّدوهم من مناصب الدولة، ونعموا بمرافق البلاد وخيراتها، واستأثروا بالحكم دونهم، ولم يقف الأمر بهم دون ادّعاء الخليفة الفاطميّ العصمة لنفسه، واعتقاد تابعيه ذلك فيه[1].

ويوضح باحث معاصر "أنّ هذا الاعتقاد لا يتّفق واعتقاد العلويّين، إذ لا عصمة عندهم، بعد الأنبياء والرسل، لغير الأئمّة الإثنَي عشر (ع)، فأصبحوا متّفقين مع الفاطميّين في المبدأ ومختلفين بالغاية، وعند ذلك انكمشوا على أنفسهم، وانطووا على ذواتهم وآثروا العافية"[2].

---

١ ـ الصالح، النبأ اليقين، ص١٦٤.

٢ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٤٢.

الحكومَة التنوخيّة

العلويّـــــــــــة

ذكر مؤرّخو العلويّيــن أنّ "التنوخيّيــن والغسّـانيّين هـم أقـدم السـكّان العلويّيــن الموجودين الآن في سوريا، ولـم تكـن فـي اللاذقيّـة وجبـال النصيرة تشكيلات إداريّـة منتظمة قبلاً، بل كانت كلّ قرية وبلدة مستقلّة عن أختها، ولم يكـن مـن السنة فـي ذلك المحيط إلاّ نفر قليل في جبلة، وكـانت جهـات صهيون يقطنهـا اليهـود، واللاذقيّـة كـان يسكنها المسيحيّون والعلويّون، وكان أكثر أهـل الجبـل علويّيـن، وكـانت معيشـتهم شبه انفراديّة، ولكن عندما استولت الـروم علـى محيـط اللاذقيّـة، فـي سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م، شعر العلويّون بالتشكيلات الإداريّة والعسكريّة، واغتنموا الفرصة وأعلنـوا القيام علـى الروم، وكان يرأسهم حسين بن إسحاق الضلعيني العلـويّ التّوخـيّ، ففـاز واسـتقلّ فـي اللاذقيّة سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨م، ثم حكم مدّة محمّد بن اسحق التنوخـي، ثـم عقبـه أخـوه إبراهيم. وحافظت دولة اللاذقيّة العلويّة على استقلالها، إلى حين مجيء أهل الصليـب، حيث انقرضت في سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، وبقيـت اللاذقيّـة فـي يـد الصليبيّيـن مقدار تسعين سنة، حتّى مجيء صلاح الدين الأيّوبـيّ الـذي استردّها وألحقهـا ببـلاد الإسـلام ثانية. وبقي العلويّون فيها تابعين للمشايخ المسمّى كـلّ منهـم "إمـام البلـدة" وهـو مرجـع العلويّين في الإفتاء والأمور الدينيّـة، ولكـن لـم يكـن لدَيهم تشـكيلات سياسـيّة قويّـة"[1]. ويرى بعض الباحثين أنّ غياب "المشروع السياسيّ" عند العلويّين، أفضى إلـى تـأصيل العشـائريّة بينهم[2]، وقـد سـاعد علـى ذلـك مـا حـلّ بهم مـن محـن علـى يـد العبّاسـيّين والسـلاجقة، ولـم يتنفّسـوا الصعـداء إلاّ فـي ظـلّ الإمـارة الحمدانيّـة فـي حلـب التـي

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

٢ ـ محمّد غالب الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٢٦١.

كان أمراؤها شيعة "الإثنا عشريّة"، لذلك لم يتقاعس العلويّون النصيريّة عن مناصرتهم ضدّ البيزنطيّين. ولم يسلموا كذلك من أخطار الصليبيّين، فقد بطشوا بهم، وزاد الطين بلّة تعرّضهم لاضطهاد الأكراد والإسماعيليّة، ومع ذلك لم يتقاعسوا عن مناجزة الصليبيّين حتّى دحرهم صلاح الدين[1].

إمارة بني عمّار

في طرابلس

أسّس إمارة بني عمّار العلويّة في طرابلس أبو طالب أمين الدولة بن عمّار، وقد كان قاضيًا علويًّا في طرابلس، فلمّا كان انهيار الخلافة الفاطميّة في عهد المستنصر، أعلن نفسه حاكمًا مستقلاً على المدينة في حوالى سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م[2].؛ ويبدو لنا من خلال دراسة شخصيّة هذا القاضي العالم، أنّ استقلاله بطرابلس لم يكن بدافع سلطويّ، إنّما دافعه كان مصلحة المدينة وشعبها وسط تلك الأوضاع السيّئة ومعاناة طرابلس من التجاذب. والدليل على تميّز بن عمّار عن السلطويّين ليس فقط أنّه كان قاضيًا يحكم بالعدل بين الرعيّة، بل كان أديبًا وباحثًا وعالمًا ومؤلّفًا، أبدى اهتمامه الأساسيّ بالعلم والعلماء، وقد بنى في طرابلس مدرسة سمّاها "دار العلم"، وأنشأ مكتبة قيل إنّها كانت تحوي مائة ألف كتاب، واستمال طلاّب العلم إلى طرابلس، وقد شبّه

---

١ ـ اسماعيل، فرق الشيعة، مرجع سابق، ص ١٥٠.

٢ ـ حتّي د. فيليب، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخيّة إلى عصرنا الحاضر، نشر مؤسّسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر (بيروت ـ نيويورك، ١٩٥٩) ص٣٥٣؛ مكّي محمّد علي، لبنان من الفتح العربيّ إلى الفتح العثمانيّ، دار النهار للنشر (بيروت، ١٩٧٩) ص١٠٠.

باحثون عمله بما قام به سيف الدولة الحمدانيّ في حلب. وكان من جملة مَن أمّ مكتبة طرابلس هذه أبو العلاء المعرّي[1]. ولكنّ عمر هذا القاضي السياسيّ الرائد لم يطل، فمات بعد إعلانه الإمارة بسنتَين إذ توفّي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م؛ وبعد وفاته، تسنّم كرسي الإمارة ابن أخيه، القاضي جلال الملك أبو الحسن علي، الذي حكم حتّى سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م؛ وذكر باحثون أنّ "الفضل يعود إلى هذا القاضي الكبير في الحفاظ على استقلال طرابلس وتوسيع إمارتها من جبلة[2] شمالاً إلى جبيل جنوبًا، وفي وضع سياسة مرنة تجاه الفاطميّين وتجاه السلاجقة الأتراك، فهو لم يقطع علاقته بالخليفة الفاطميّ بسبب تشيّعه وتشيّع أكثريّة السكّان في إمارته، وفي نفس الوقت وقف يتصرّف مع السلاجقة (السنّة) كصديق وحليف، وبذلك حافظ على إمارته"[3]. ونلاحظ هنا أيضًا عدم محاولة هذا الأمير التوسّع باتّجاه مناطق المردة المحيطة بإمارته، ما من شأنه أن يدلّ على مستوى ملحوظ من التعايش بين المجتمعات اللبنانيّة على تعدّدها في ذلك التاريخ. وقد ذكر مؤرّخون عرب "أنّ صهر الأمير جلال الملك، وهو الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة، حاول الإستقلال بدمشق، فهاجمه الفاطميّون فهرب ملتجئًا إلى طرابلس، ولكنّ جلال الملك سلّمه للفاطميّين في القاهرة فأُعدِم هناك. وعندما جاء السلاجقة إلى بلاد الشام بقوّاتهم الضخمة هاجموا إمارة طرابلس وانتزعوا من بني عمّار حصن عرقة الشهير وضربوا الحصار على مدينة طرابلس، ولكنّ جلال الملك راسل أمراء السلاجقة ودفع مبلغ ٣٠ ألف دينار وأبرز بالحيلة مناشير من السلطان السلجوقي تنصّ على الأمر بإبقاء طرابلس في حكم بني عمّار،

---

١ ـ حتّي، لبنان في التاريخ، ص٣٥٣.

٢ ـ مكّي، لبنان، ص١٠١.

٣ ـ مكّي، لبنان، ص١٠١، مرجعه" ابن الأثير، الكامل، ١٠: ٢٠٣.

فنجحت حيلته ونجا من السلاجقة. كما أعان جلال الملك قاضي جبلة[1] بن صليحة على الإستقلال عن البيزنطيّين، ثمّ ضمّ جبلة إلى إمارته بالإتّفاق مع بن صليحة الذي بقي قاضيًا ومتسلّمًا على جبلة. وسيكون لهذه الإمارة مواقف مشرّفة في خلال الغزو الصليبيّ، وسيكون إذذاك أميرًا شقيق أبي طالب، فخر الملك أبو علي، الذي خلف أخاه إثر وفاته سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م.

إمَارة بَني عَقِيل

فِي صُـــــور

لمّا أعلن قاضي مدينة طرابلس، أبو طالب أمين الدولة بن عمّار، طرابلس، إمارة مستقلّة سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م.، أقدم قاضي صور العلويّ عين الدولة بن أبي عقيل بدوره على إعلان مدينة صور إمارة مستقلّة أيضًا، غير أنّ ردّة الفعل الفاطميّة كانت سلبيّة هنا، وقد ردّ مؤرّخون سبب ردّة الفعل هذه إلى "أهميّة صور بالنسبة للفاطميّين، لأنّها تشكّل المرفأ الرئيسيّ لمنطقة دمشق"[2]. فأرسل الفاطميّون قائد الجيوش بدر الجمالي لاستردادها. وإذ قام القائد الفاطميّ بمحاصرة المدينة، سارع بن أبي عقيل إلى الاستنجاد بالسلاجقة الذين أرسلوا فرقة عسكريّة يفوق عديدها العشرة آلاف جنديّ، قامت بمحاصرة صيدا التي كانت لا تزال بيد الفاطميّين، ما اضطرّ القائد الفاطميّ إلى

---

١ ـ جبلة: هي اليوم مرفأ سوريّ في جنوب اللاذقيّة، ومركز قضاء جبلة في محافظة اللاذقيّة، وهي جبلة الفينيقيّة ابنة أرواد، احتلّها الأشوريّون واستولى عليها السلوقيّون ثمّ الرومان ٦٤ق.م.، أضحت كرسيًا أسقفيًا، فتحها العرب ٦٣٦، انتقلت إلى أيدي الصليبيّين ١٠٩٨ واسترجعها السلطان قلاوون نهائيًا ١٢٨٥، فيها آثار مسرح رومانيّ وقبر ابراهيم بن أدهم أمير بلخ المتنسك.

٢ ـ مكّي، لبنان، ص١٠٢.

فكّ الحصار عن صور. ولكن بعد أن عاد السلاجقة عن صيدا، عاد القائد الفاطميّ ليحاصر صور برًّا وبحرًا لمدّة سنة، وقد تمسّك الصوريّون بموقفهم رغم الضيق الذي أصابهم "حتّى أكلوا الخبز بنصف دينار"[1]. ولكن في هذا الوقت كان أهل مصر يأكلون الخبز بدينار. وإذ توقّف الإمداد عن القائد المصريّ، ترك صور وشأنها، وانسحب.

رغم ردّة الفعل الفاطميّة السلبيّة على إعلان بن أبي عقيل إمارته الصوريّة، فإنّ هذا الأمير الصوريّ العلويّ حرص على عدم معاداة الفاطميّين، ومثلما فعل ندّه أمير طرابلس برفضه إلجاء المعلى بن حيدرة الذي كان يلاحقه الفاطميّون لمحاولة استيلائه على دمشق، كان رفض ابن أبي عقيل إلجاء بن حيدرة قبل انتقال هذا الأخير إلى طرابلس ليلاقي الرفض نفسه.

ويذكر باحثون أنّ إمارة بن أبي عقيل "زادت مكانة حين أصبحت دمشق والمناطق البقاعيّة بأيدي السلاجقة، فأصبح بإمكان صور أن تستفيد من عداوة الفريقَين لبعضهما البعض"[2]. غير أنّ سياسة التوازن التي اتّبعها بن أبي عقيل، كما اتّبعها أمير طرابلس بن عمّار وخلفاؤه من بعده، خرج عنها أولاد بن أبي عقيل "فدخلوا في تبعيّة السلاجقة في دمشق الذين كان على رأسهم تاج الدولة تُتُش[3] شقيق ملكشاه[4]، لذلك عمد

---

١ - ابن الأثير، الكامل، ١٠: ٦٠.

٢ - مكّي، لبنان، ص١٠٣.

٣ - **تاج الدولة تُتُش** (ت١٠٩٥): هو ابن ألب أرسلان وأحد أمراء سوريا السلاجقة، حكم الشام ١٠٧٩ ـ ١٠٩٥ بعد أن احتلّ دمشق، حاول الوصول إلى العرش بعد وفاة أخيه ملكشاه فأخضع آمد والموصل ونكّل بنصيبيين، حارب الأمراء المجاورين لتأييدهم بركياروق ابن ملكشاه وانتصر عليهم قرب تلّ السلطان جنوب حلب ١٠٩٤ وأعدم آقسنقر، قُتل انتقامًا للأخير.

٤ - ملكشاه الأول (١٠٥٥ ـ ١٠٩٢): ثالث سلاطين السلاجقة الكبار ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢، ابن ألب أرسلان وخلفه، تولّى الحكم وهو في الثامنة عشرة، ترك الأمر لوزيره نظام الملك فبلغت الدولة السلجوقيّة الأوج في امتدادها وازدهارها، جعل بغداد مقرّه الشتوي، في عهده احتلّ القرامطة البصرة والحشّاشون قلعة ألموت وازدهرت "النظاميّات" ولمع عمر الخيّام، لاقى لقب ملكشاه رواجًا كبيرًا فاتّخذه في ما بعد عدد من ملوك السلاجقة.

المصريّون الفاطميّون مجدّدًا إلى محاصرة صور سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وتمكّنوا من انتزاعها من حكم أولاد بن أبي عقيل، وعيّنوا عليها حاكمًا فاطميًّا لقبه منير الدولة الحيوشي، واحتلّوا صيدا وجبيل"[١]. وعندما حاول الحاكم الجديد بعد خمس سنوات (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) أن ينفصل عن الفاطميّين وينتقل إلى حظيرة السلاجقة، ثار أهالي صور وأعلنوا تمسكهم بتشيّعهم، ما أدّى إلى تدخّل الجيش الفاطميّ واحتلال صور وفرض غرامة كبيرة عليها بقيمة ستّين ألف دينار. أمّا والي المدينة وأعوانه فقد سيقوا إلى مصر حيث أعدموا[٢]. إثر ذلك "عيّن الفاطميّون واليًا على صور إسمه كثيلة، ما أن ثبّت أقدامه في الحكم حتّى أعلن عصيانه واستقلّ بالمدينة سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، فكانت ردّة الفعل الفاطميّة هذه المرّة أكثر عنفًا، ويبدو أنّ الفاطميّين قد اتّهموا الأهالي بتحريض العامل على الإستقلال، فصبّوا جام غضبهم على المدينة إذ أرسل الخليفة الفاطميّ المستعلي[٣] جيشًا اقتحم صور وأعمل السيف برقاب أهلها، وأسر الوالي ونقله إلى مصر حيث أعدِم[٤]. وبذلك عادت صور إلى قبضة الفاطميّين واستمرّت فيها حتّى مجيء الصليبيّين.

---

١ ـ مكّي، لبنان، ص١٠٣.

٢ ـ ابن الأثير، الكامل، ١٠: ٢٢٣.

٣ـ **المستعلي بالله** (٤٦٧ ـ ٤٩٥هـ/ ١٠٧٥ ـ ١١٠١م.): هو أحمد بن المنتصر، تاسع الخلفاء الفاطميّين ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م.، جاء إلى الحكم بفضل الوزير بدر الدين الجمالي وابنه الأفضل الذي استلم شؤون الدولة، استعاد أفاميا وصور من الصليبيّين.

٤ ـ ابن الأثير، الكامل، ١٠: ٢٦٤.

حَسَن المَكزُون السِّنجَــــاري

يذكر مؤرّخو العلويّين أنّه لمّا "استولت الصابئة على مواطـن العلويّيـن، ثمّ زحـف الأكراد بصفة المهاجرة لحيّ العلويّين، وأخذ الإسماعيليّون بتشديد الوطأة عليهـم، حيـن ذلك استمدّ العلويّون العون من أمير سنجار[1] الشيخ حسن المكزون السنجاري[2]، سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وقد جاء المكزون لأوّل مـرّة ومعه خمسة وعشـرون ألفًـا مـن العلويّين، ونصب خيامه على عين الكلاب، بقرب قلعة أبي قبيس، وعلـى سطح جبل الكليبة، وكان ممّن التجأوا إليه الشيخ محمّد البانياسي والشيخ علي الخياط اللذَين سـافرا لسنجار، وأبلغا الأمير حالـة العلويّيـن ومضايقة الأتـراك والأكراد والإسماعيليّة لهم، فجاء بقوّة ظنّ بأنّها كافية. ولمّا كان صلاح الدين الأيّوبيّ قد نسّق العساكر الإسلاميّة، وترك مَن كان روميًّا أرمنيًّا أو صقلبيًّا، وباشر في استـخدام الأتـراك والأكـراد، فلذلك امتلأت سوريا بمهاجري الأكـراد، وانتبهت الأكـراد لمجـيء الأمـير حسـن المكـزون، فأيقظت حلفاءها، وتجمّعوا فــي مصيـاف، وأغـاروا ليـلاً علـى خيـام الأمير وعسـاكره وغلبوه، فرجع إلى سنجار خائبًا. وبعد ثلاث سـنين... عـاد وزحـف مـن سـنجار علـى منطقة العلويّين في سوريا ومعه خمسون ألف مقاتل، عدا النساء والصبيان وهـم الذيـن تشكّلت منهم العشائر الحدّاديّة والمتاورة والمهالبة والدراوســة والنميلاتيّـة وبنـي علـي،

---

١ ـ **سِنجار أو بلَد سِنجار**: مدينة في العراق هي سنجارا القديمة، مركز قضـاء سنجار فـي محافظـة نينـوى، أعلنهـا مرقس أوريليوس ١٦١ ـ ١٨٠ مستعمرة رومانيّة، هاجمها الفرس عدّة مرّات، احتلّها شابور الثاني ونقل سكّانها إلى فـارس، ثـمّ أعادهـا الأمبراطور يوليانُس ٣٦٣، اشتهرت بتقدّمها في العهد العبّاسيّ. **وجبل سنجار**: كتلة صخريّة في العـراق بـالقرب مـن الحـدود السوريّة تشـرف على مدينة سنجار، تبلغ ذروة ارتفاعها عن سطح البحر نحو ١,٢٠٠م.

٢ ـ الأمير حسن المكزون السنجاري (٥٨٣ ـ ٦٣٨هـ/ ١١٨٧ ـ ١٢٤٠م): وُلد في سـنجار، المعروف أنّـه دفيـن فـي قريـة كفرسوسة بقرب الشام، وضريحه مزار مشترك للسنّيين والعلويّين، وقيل إنّه مدفون في سنجار العراق.

وقد جاء عن طريق حلب، فالتحق به هناك بعض العلويّين، واحتلّ المنطقة بعد حروب هائلة، وقد أنجدته عائلة البلقيني بقوّة من مصر، وسكنت في جبلة. فعاد الأمير حسن المكزون وأخذ قلعة أبي قيس عنوة، واستولى على جبل الكليبة في مدّة ثلاثة أشهر، وكانت الرياح تمنعه من اجتياز جبل الشمرا، لأنّ الرياح التي تهبّ في الجانب الشرقيّ من الجبل لم يكن مثلها في الشرق الأدنى. وعندما استولى الأمير على شواهق جبال النصيرة التي تُسمّى "الشمرا"، جعل جبهته الحربيّة ممتدّة ما بين الشرق والغرب، ومتّجهة إلى الجنوب. وكانت الإسماعيليّة قد تركت الأكراد وحدهم في الحرب وصادقت الأمير والعلويّين، وكان الأمير يسوق أمامه عددًا عظيمًا من الأكراد إلى الجنوب، حتّى أوصلهم إلى جبل الثلج من جهات عكّار، ثمّ رجع لقلعة "أبي قبيس" وجعلها مركزًا له، ثمّ اتّخذها مسكنًا في الصيف، وجعل قرية "سيانو" المجاورة لـ"خربة جبلة" مشتًى له. وعندما استولى الأمير على الجبل والمنطقة، وأزال الأكراد الذين كانوا مستولين على شرقي المنطقة وأجلاهم عنها وأسقط نفوذ الإسماعيليّة، وجمع الكتب الموجودة من عقيدة إسحق الأحمر، وهي شديدة الغلوّ والضلال، وأتلفها بالكامل، ارتاح العلويّون لهذا الإنجاز الكبير"[1].

ويروي محقّقون أنّ قسمًا كبيرًا من العلويّين، يعتبرون الأمير حسن المكزون من أعاظم مشائخ العلويّة المتأخّرين، ومن أشهر الأتقياء، لأنّه بعدما استخلص العلويّين، ونظّم أمورهم وسهّل لهم أسباب الرفاه، ترك الأمور الدنيويّة وأسلم نفسه للتصوّف والعرفان والدين. وقد افتتح هذا الأمير بابًا أدّى إلى انقلاب في الدين، ومن قبله لم يكن إلاّ الخواص يقفون على نكات الدين في العلويّة، وكانت المعرفة لحقوق ووظائف أهل

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، مرجع سابق، ص١٣٦ ـ ١٣٨، عن: الطويل، تاريخ العلويّين، ص٣٦٠ ـ ٣٦٢.

البيت منحصرة في الخواصّ، بل في خواصّ الخواصّ. وقد كتب الأمير ديوانًا شعريًّا مشحونًا بالإشراقات الصوفيّة، والألغاز العرفانيّة، وهو يُعتبر، وفق هذا الديوان، من فحول الشعراء العرب في القرن السادس الهجريّ، وقد اتّبع أثره بعض المشايخ، ونظموا الأشعار المكتومة المعاني الكثيرة الألغاز والأحاجي. وللأمير في أهل البيت النبويّ عليهم السلام شعر جيّد.

كان لمجيء الأمير حسن المكزون إلى جبال النصيرة أثرًا بالغ الأهميّة على مصيرهم، فقد ثبّتوا أقدامهم في أرضهم وحفظوا ملّتهم من الانهيار في تلك الظروف الصعبة من تاريخهم. وفيما يذكر بعض المدوّنات أنّ العلويّين قد استفادوا من تلك المرحلة لينقضّوا على أعدائهم التاريخيّين: الإسماعيليّين، فهدموا قراهم، ودكّوا مدنهم، وأحرقوا بيوتهم ومزارعهم، وتعقّبوهم أينما رحلوا وأينما حلّوا[1]، ذكر آخرون أنّه كان على العلويّين والإسماعيليّين آنذاك، وهما فرقتان شيعيّتان، أن يتّحدوا تجاه الأعداء المشتركين. وأنّه في أيّام الفاطميّين وبني بُوَيْه[2]، وقع افتراقهم سياسيًا، "إلاّ أنّ هذا الافتراق لم يصل إلى درجة الحروب والعدوان، وكان من الحكمة أن يتّحدوا أمام المصائب الصليبيّة. وبعد مجيء الأمير حسن المكزون، أحسّ الإسماعيليون بوجوب

---

١ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص٣٠٦ ـ ٣٠٩.

٢ ـ **البويهيّون**: تعدّدت الروايات حول نسب آل بُوَيْه، بين قائلة بأنّهم ينتسبون إلى سلالة الملك يزدجرد بن هرمز من ملوك الفرس، وقائلة بأنّهم من سلالة شهريار آخر ملوك الفرس، ولكن ما من خلاف على أنّهم من سلالة ملوك فارس، وعلى أنّ الجدّ الأوّل لهذه الأسرة، هو أبو شجاع بُوَيه من سكّان الديلم، وكان رجلاً متوسّط الحال، ماتت زوجته تاركة له ثلاثة أولاد، اعتنى بتربيتهم وسط الفقر والعوز، والأولاد الثلاثة هم: أبو الحسن عليّ، وأبو العليّ حسن، وأبو أحمد، وقد تنبّأ أحد المنجّمين لأبي شجاع بأنّ أولاده الثلاثة سيملكون الأرض ومَن عليها، ويعلو ذكرهم في الآفاق، ويولد لهم جماعة ملوك، فظنّ الرجل أنّ المنجّم يسخر منه، فأمر أطفاله بصفعه، فصفعوه، بيدَ أنّ نبوءة المنجّم لم تكن كاذبة تمامًا، فقد صدق الجزء الأكبر منها، وإن لم يملك البويَهيّون الأرض ومَن عليها، إنّما هم ملكوا دولةً شيعيّة أخرى، دامت أكثر من ١٢٠ سنة (٩٣٢ ـ ١٠٥٥) طالت أصفهان وشيراز وكرمان، وأحيانًا بغداد. وغدا أمير المؤمنين ألعوبة بيد البويَهيّين إلى أن غلبهم السلطان السلجوقيّ طغرل بك سنة ١٠٥٥.

الاتّحاد فاجتمع زعماء الفريقَين في صافيتا، وكان الاختلاف الأبرز في أساس واحد، وهو أنّ الإمامة عند العلويّين، مثلهم كإخوانهم الجعفريّة الإثنَي عشريّة، تسري في الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وتنتهي عند الإمام المهديّ محمّد بن الحسن الحجّة عجل اللّه فرجه، والإسماعيلية تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (ع)، وما زالت الإمامة عندهم سارية المفعول حتّى يومنا هذا، وفي ذاك الزمان كان الإمام عند الإسماعيلية مكتومًا. ولم يبق لاتّحاد العلويّين الإثنَي عشريّة والإسماعيليّة سوى النيّة الحسنة. ولكن لم تكن هذه النيّة الحسنة ضمن التقدير الإلهيّ، وانفرط المجلس دون نتيجة سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وبالرغم من المساعي المبذولة في المجلس الدينيّ في "عانة" بالعراق، لم تتحقّق الأماني، إلاّ أنّ الاتّحاد في مصر تكوّن بحالة طبيعيّة في أيّام المماليك البحريّة، وآنذاك كان أمراء الإسماعيليّة ومقدّمو العلويّة يلتحقون بجيش المماليك، ويشاركون بعضهم بعضًا في الجهاد وتحت راية المماليك المصريّة. وفي الأصل كانت حكومة المماليك تشتغل في استخلاص أوطان العلويّين من تعدّيات الصليبيّين وتطهّر البقيّة. وفي سنة ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م، في أيّام السلطان المنصور، اعتدى العلويّون على الصليبيّين واستولوا على قلعة المرقب التي لم يستطع صلاح الدين الأيّوبيّ الاقتراب منها، وبعد مدّة قليلة استردّها الصليبيّون، ولكن دامت العلويّة في عزمها واستولت عليها في سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وبعد أخذها هدموها خشية تكرار التحصّن بها"[١].

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٣٩، عن الطويل، تاريخ العلويّين.

فـــي ظـــــلّ
الدّولة الأيُّوبيَّة

كان العاضد لدين الله خاتمة الخلفاء الفاطميّين، وبـه انتهت الخلافـة الشيعيّة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م. وبينما كان العاضد على فراش الموت، كان صلاح الدين الأيّوبـيّ يأمر بوقف الدعاء للخليفة الفاطميّ في مساجد مصر، ويـأمر بالدعـاء للخليفـة السنّيّ العبّاسيّ المقيم ببغداد[١]، وكان يومها الخليفة العبّاسيّ الثالث والثلاثين، وهو المستضيء بالله[٢] الذي كان هو الآخر معترفًا به إسميًا كخليفة، بينما كانت السلطة قد أصبحت بيـد الوزراء.

وبذلك كانت خاتمـة الدولـة الفاطميّـة الشيعيّة الإسماعيليّة التـي بـدأت مـع ظهور المهديّ بسجلماسـّة سنـة ٢٩٩ هــ / ٩١١م، وانتهـت بمـوت العـاضد سنـة ٥٦٧ هــ / ١١٧١م؛ وكانت نهايتها ختامًا لدول الشـيعة فـي البـلاد العربيّـة، إذ منـذ ذلـك التـاريخ، انحصرت دولتهم في فارس. أمّا في مصر، فمنذ ذلك التاريخ، لم يعد المؤذّنون ينـادون على المآذن "حيّ على خير العمـل"، ولـم يعـد الخطبـاء فـي المسـاجد يفتتحـون كلامهم بالصلاة على عليّ المرتضى وفاطمة البتول والحسن والحسين بعـد محمّد المصطفى، ولـم يعـد الثـامن عشـر مـن ذي الحجّـة، وهـو يـوم غدير الخـمّ، يــوم عيـد، وتوقّفـت الاحتفالات التي كـانت تجـري فـي تلـك المناسـبة مـن كـلّ سـنة، ولقـد كـانت مـن أهـمّ الاحتفالات الدينيّة التي كانت تهتزّ لها جوانب القاهرة فرحًا وسرورًا... ولم تعد مصـر توقف البيع والشراء في العاشر من محرّم، ولم يعد الأهل يجتمعون في عاشوراء على

---

١ ـ راجع المجلّد الثامن عشر من هذه الموسوعة.

٢ ـ المستضيء بالله: الخليفة العبّاسيّ الثالث والثلاثون (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ ـ ١١٨٠م).

النّوح والإنشـاد والتطـواف بالأزقّـة والأسواق، وقصـد مشـهد أم كلثـوم ونفيسـة، وهـم نائحون باكون... وقضت سياسة الضغط التي اتّبعها صلاح الدين على المذهب الشيعيّ في مصر قضاءً شبه تامّ[1]. وهكذا كان أمر انتهاء الخلافة الفاطميّة وانتقالها إلى الخلافة العبّاسيّة، يسيرًا، لدرجةٍ وصَفها المؤرّخون المعاصرون بأنّها حصلت "ولم ينتطح فيها عنزان"[2].

وهكذا فقد عاد الأكراد وتمكّنوا من العلويّين بعد أن قبض على زمام القيادة صلاح الدين الأيّوبيّ الذي كانت سياسته تقضي بالقضاء على جميع الطوائف الخارجة عن السنّة (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٣٨ ـ ١١٩٣ م) وقد لاقت هذه الطائفة أقسى العذابات في عهد صلاح الدين، "فلم يبقَ لهم أدنى استراحة في جبلهم"[3]. وإنّ السلالة الأيّوبيّة التي أنشأها، لم تكن على قدر المسؤوليّة. ذلك أنّه بين وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣، وبين هلاك آخر أمير من سلالة الأيّوبيّين: طوران شاه، على يد المماليك، لم يكن من أمراء هذه الأسرة سوى سجلٌ من الصراع في ما بينهم. حتّى أنّ بعض هؤلاء الأمراء كان يستدعي الإفرنج لمساعدته ضدّ بعضهم الآخر. وبذلك انتهز الإفرنج الفرصة، وحصّلوا المغانم والمكاسب، فاستعادوا العديد من المناطق. بيدَ أنّ كل هذا، لا يبدّل في تعريف عهد السلاطين والأمراء الأيّوبيّين، بأنّه كان عهدًا إسلاميًّا سنيًّا في مصر والمدن السوريّة. فإنّ دولة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، وعاصمتها القاهرة، دولة كرديّة إسلاميّة سنيّة، صلاح الدين والطبقة الحاكمة فيها من أصل كرديّ: ضبّاط

---

١ ـ راجع: الجزء العشرين من هذه الموسوعة، الفصل الرابع.

٢ ـ إبن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ١: ٢٤٢؛ أبو الفداء، مرجع سابق، ٣: ٥٣؛ راجع: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ٢: ٢٣٦.

٣ ـ شرف منير، المسلمون العلويّون، مَن هم؟ وأين هم؟، ص٤٤.

جيشه وقادته أكراد وأتراك؛ وقد أنهى السلطان صلاح الدين الخلافة الفاطميّة والمذهب الفاطميّ الشيعيّ، وأعاد العقيدة السنيّة في مصر. أمّا ورثة السلطان صلاح الدين وخلفاؤه الأيّوبيّون، سلاطين مصر وأمراء المدن السوريّة، فمسلمون سنّيّون، من أصل كرديّ، غير أنّهم قد أنفقوا أوقاتهم وجهودهم في الدسائس والصراعات بعضهم ضدّ بعض، وقد تحالف بعضهم أحيانًا مع الصليبيّين ضدّ البعض الآخر[١].

وقد ذكر مؤرّخو العلويّين "أنّ الأيّوبيّين، ولهم مقاليد الحكم في البلاد، ما فتئوا يُمعنون بالتضييق على العلويّين، وتشديد الرقابة عليهم، وإقصائهم عن موارد الحكم والسياسة، ممّا جرح كبرياء العلويّين العربيّة، وأدمى صدورهم وأفئدتهم، وتألّموا وتقطّعت قلوبهم حسرات، حينما رأوا بلادًا ملكوها بشفار سيوفهم، وسقوا أرضها زكيّ دمائهم، تنتهبها أيدي لا عهد لهم بها من قبل، وينعم بمرافقها وخيراتها غزاة فاتحون وهم أصحابها الذين درأوا عنها غارات الروم، وخطر القراصنة والإفرنج، يطردون عن مناهلها طرد غرائب الإبل. وإنّ أفضل ما اهتدى العلويّون إليه، في تلك الفترة القاسية من حياتهم، هو محافظتهم على أنسابهم العربيّة الصحيحة، واحتفاظهم بخالص الحبّ والولاء لأئمّتهم المعصومين، وانشغال بعض علمائهم بتأليف الكتب القيّمة الدالّة على سموّ مكانة مؤلّفيها، العلميّة والأدبيّة. والحقّ أنّه لو أتيح لعلماء ذلك العصر وأدبائه إظهار مؤلّفاتهم للملأ، ولو تسنّى لهم إيصالها إلى النفوس الحرّة والعقول الواعية، لكان لهم من أنصار العلوم والآداب في المجتمع نصير وظهير، ولكن أنّى لهم نشرها وقد كان ولاة الأمر أعداء مذهب التشيّع وخصومه الألدّاء، ضربوا بينهم وبين الظهور على مسرح الحياة بسور من العيون والأرصاد، يحصون عليهم أنفاسهم

---

١ ـ بولس جواد، التحوّلات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الإسلام، دار عودة (بيروت، لا ت.) ص٢٦٥.

ويرقبون حركاتهم وسكناتهم، فرغب الكثير منهم عن حياة الحضارة إلى عيشة البداوة، تفاديًا لفتك ينتظرهم في نفوسهم، كما منوا به في نفيس ولائهم، إذ منعوا إعلانه فالتزموا كتمانه، فغادروا المدن مدثّرين الليل حجابًا إلى هذه الجبال التي اتّخذوا منها أكنانًا، ومن غاباتها وكهوفها ملاجئ ومدخلات. وإنّه لما يحزّ في النفوس ويدمي متحجّرات القلوب أن يحرم العلم والأدب العربيّان ذلك الانتاج الفكريّ الخصيب، وتأكله دابّة الأرض، أو تتلقّفه مياه الأنهار والبحار، أو تلتهمه أفواه النيران، خشية مقاصل الظلم ومقاطع الاضطهاد، وما استعصى منه على الإبادة والفناء مُني بما هو أشرّ، وحاق به ما هو أدهى وأمرّ، من تلاعب ألسنة السوء بمضامينه، وجري أقلام الافتراء في حقوله، فحشاها دسًّا وفسادًا وأشبعها كذبًا وإرجافًا، وأدخل عليها ما ليس منها، من أقوال حائدة، وعقائد فاسدة، إحتقارًا لتلك الآثار الجليلة، وانتقاصًا من شخصيّات مؤلّفيها، وإيذانًا للمسؤولين بإنزال العذاب الشديد والبأس البئيس بالآخذين بها والعاملين عليها. نعم دسّ في أوساط العلويّين، تنفيذًا لخطّة الطعن والتجريح، مرجفون من غواة الفرق البائدة التي من الظلم نسبتها إلى الشيعة، ممّن يسمّونهم غلاة الشيعة، الذين آن لرقعة الأرض أن تتخلّص منهم، فلا أحسب أنّ فيها اليوم منهم أحدًا، ولم يأن للشيعة، وخاصّة "العلويّين" أن يتخلّصوا من وباء ادّعائهم وفساد آرائهم، وأن يخلصوا من أرجاف منافقيهم الذين تسنّى لهم تخلّل صفوف العلويّين والامتزاج بهم، خلال ما مرّوا به من مراحل شاقّة وتجارب قاسية، وساعد أولئك المرجفين تقهقر العلويّين في ميدان الثقافة والاجتماع على إتمام فكرتهم الخبيثة، والقيام بدعوتهم السيّئة، كما أرادها لهم أئمّة الجور وقادة الفتن"[1].

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٤٣ ـ ١٤٥؛ راجع: الصالح، النبأ اليقين، ص١٥٣ وما بعدها.

غَـزوَة
المَغُول

دشّـن جنكيزخان[1] اجتياح المغول بسلسلة هجمات على العـالم الإسـلامي، أحدثـت فيه خرابًا ودمارًا لم تزل آثارهما بعد. "وقد تابع حفيده هولاكو[2] الزحـف غربًـا، وبعـد أن قضى على قلعة ألموت، وخرّب بغداد وقضى على الخلافة العبّاسيّة[3]، ظهـر فجـأة أمام أسوار حلب، فلمّا فتحها قتل من أهلها ٥٠ ألف نسـمة. ثـمّ جـاء دور حمـاة فنـالت نصيبها، وخرّب بعلبك، وخلّـف صيـدا أكوامًـا مـن تـراب، وأُلحقـت أنطاكيـة اللاتينيّـة بالأمبراطوريّـة المغوليّة[4]. وبنتيجة غزوة المغول، "هلكت الناس واندثرت ثروة البـلاد، وملايين من الكتب ألقيت في نهر دجلة، حتّى حصل منها جسر عظيم، وعمّـت البلـوى في الجزيرة التي كان يقدّر عدد سكانها آنئذ بثلاثين مليونًا، وتولّد القحط والغلاء[5].

---

١ ـ **جنكيزخان إبن يشوكي** (١١٦٧ ـ ١٢٢٧): منشئ الأمبراطوريّة المغوليّة، وُلد في إقليم دولـون بلـدق فـي بـلاد الـروس، كـان اسمه الأصلي تيموجين، هزّ بفتوحاته أركان الدول جميعًا بيـن الصيـن والبحـر الأسود، أسّس أمبراطوريّـة امتدّت مـن أطـراف الصيـن الشرقيّة إلى إيران ووادي السند الأندس في الهند، عُدّ من أعظم بناة الأمبراطوريّات في التاريخ.

٢ ـ **هولاكو أو هولاغو** (نحو ١٢١٧ ـ ١٢٦٥): حفيد جنكيزخـان، فـاتح مغولـيّ ومؤسّس دولـة المغـول الإلخانيّـة فـي إيـران ١٢٥١ ـ ١٢٦٥، قطع نهر أموديا وأخضع أمراء الفرس والإسماعيليّة في ألموت ١٢٥٦، عاد إلى إيران بعد موت أخيـه فهـاجم المصريّـون جيشه في الشام وأبادوه ١٢٦٠.

٣ ـ جاء المغول إلى بغداد بقيادة هولاكو، ومقدار عسكره مايتا ألف رجل، وبعد مناوشة خفيفة غلب الخليفة العبّاسيّ المسـتعصم (خليفـة ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨) فالتجأ لبغداد، وأرسل ابن علقم وزيره لكي يتمّ الصلح بينهم، فرجع الوزيـر ابـن علقـم وبشّـر الخليفـة أنّ هولاكـو يحبّ الصلح وينوي أن يزوّج ابنته لابن الخليفة أبي بكر، وأن يبقى الخليفة على سريره، وقد ذهب الوزير والخليفـة معًـا، ثـم رجـع الوزير ابن الطقم وحده، وأخذ الأشراف والأعيان والفقهاء لكي يحضروا عقد بنت هلاكو على ابـن الخليفـة، فقتلهـم المغـول جميعًـا ودخلوا بغداد وأمعنوا بالقتل أربعين يومًا.

٤ ـ حتّي، لبنان في التاريخ، ص٣٧٣.

٥ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٤٧.

الفَصل السَّادس

بَينَ المماليكِ والزَّمَنِ المُعَاصِرِ

في زَمَنِ المَماليك؛

في ظلّ العثمَانيِّين؛

في ظلِّ الإنتداب؛

الإعتِرافُ الرّسمِيّ بمَذهبِ أهلِ البيت.

في زَمَن المَماليك

المماليك: هم عبيد أتراك وجراكسة ومغول، استعان بهم الأيّوبيّون للخدمة العسكريّة فتمكّن بعض زعمائهم من الوصول إلى الحكم، وأسّسوا في مصر سلالتَي المماليك البحريّة والبرجيّة، أمّا المماليك البحريّة (١٢٥٣ ـ ١٣٨٢) فاشتراهم أيّوب الصالح نجم الدين، وأنشأ منهم فصيلة الحرس وأسكنهم جزيرة الروضة على بحر النيل فدُعوا بالبحريّين، أولهم "أيبك المعز" (١٢٥٠ ـ ١٢٥٧) وآخرهم حاجي الثاني (١٣٨١ ـ ١٣٨٢) أمّا المماليك البرجيّة (١٣٨٢ ـ ١٥١٧) فمن مماليك السلطان قلاوون، أقاموا في برج قلعة القاهرة فدُعوا بالبرجيّين، أولهم برقوق الظاهر (١٣٨٢ ـ ١٣٩٨) وآخرهم طزمان باي الأشرف الذي أعدمه السلطان سليم العثمانيّ بعد سحقه المماليك في معركة مرج دابق ١٥١٦.

بعد القائد المغوليّ هولاكو، قام قائد مغوليّ إسمه كتبوغا، وهو نصرانيّ نسطوريّ، فتوغّل جنوبًا نحو فلسطين، وسرعان ما تصدّى له السلطان المملوكيّ قطز[1]، وعلى رأس جيشه المملوك بيبرس ذو الأصل المغوليّ، فعرف كيف يتغلّب على أبناء جلدته المغول في معركة عين جالوت[2] سنة ١٢٦٠، ويطاردهم حتّى

١ ـ **الملك المظفّر قطز**: ثالث المماليك البحريّين (١٢٥٩ ـ ١٢٦٠)، اشتراه السلطان أيبك ثمّ عيّنه "نائب السلطنة"، أصبح وصيًا على ابن السلطان بعد اغتياله ١٢٥٧ ثمّ عزله وأعلن نفسه سلطانًا.

٢ ـ **عين جالوت**: موضع بالقرب من الناصرة، وهي عين جليات الجبّار في العهد القديم.

يجليهم عن مجمل المنطقة السوريّة من جهة، كما عرف كيف يغتال مليكه قطز وهو في طريق العودة إلى مصر ليتوّج انتصاره بالقبض على زمام السلطنة من جهة ثانية[١]. بعدها قام بتوحيد سوريا، وراح يضرب الحصار على المراكز الصليبيّة واحدًا بعد الآخر إلى أن أخضعها جميعًا. فأسقط الكرك سنة ١٢٦٣، وقيساريّة وأرسوف سنة ١٢٦٥، وصفد سنة ١٢٦٦، ويافا وشقيف أرنون وأنطاكية سنة ١٢٦٨، وحصن الأكراد سنة ١٢٧١[٢]، كذلك سقطت مصياف وسائر القلاع التي كانت تابعة للحشّاشين. وسارعت طرسوس، حصن الهيكليّين[٣]، وقلعة المرقب التابعة لجماعة الداوية[٤]، إلى عقد صلح لعشر سنوات وعشرة أشهر. وقد جُدّد عقد الصلح في عهد خليفة بيبرس السلطان قلاوون[٥] سنة ١٢٨٢ لمدّة مماثلة. وفي سنة ١٢٨٥ عقد

---

١ ـ نكر بعض مؤرّخي العلويّين (الإبراهيم، العلويون. ص١٤٧) أنّه لمّا تغلب الأمراء والمقتمون والإسماعيليّون والعلويّون الموجودون تحت قيادة بيبرس على جيش هولاكو، وأزالوا إسمه، وعندما لم يف الملك قطز بوعده ونكل عن إنجاز ما وعد به، قتله بيبرس على الطريق، واستقلّ بالحكم سنة ٦٥٨هـ.

٢ ـ **حصن الأكراد** أو **قلعة الحصن**: في محافظة حمص، عُرف أوّلا باسم حصن السفح، أقام فيه أمير عربيّ حامية كرديّة ١٠٣١ لمراقبة طريق طرابلس، احتلّه الصليبيّون ١١١٠ وأصبح من أعظم قلاعهم في سوريا، قاوم نور الدين زنكي ١١٦٣ وصلاح الدين بعد معركة حطّين، تعود أكثر عمارته إلى القرن الثالث عشر، سقط بيد بيبرس بعد حصار ١٥ يومًا، وكان تابعًا لكونتيّة طرابلس ويتّسع لألفَي رجل محارب في وقت واحد.

٣ ـ **الفرسان الهيكليّون** Templiers, Templars: جمعيّة عسكريّة رهبانيّة أُسّست ١١١٨ للدفاع عن الأراضي المقدّسة وتأمين سلامة الحجّاج إليها، أُطلق عليها اسم فرسان الهيكل نسبة إلى هيكل سليمان حيث أنشئ مقرّها الأوّل بالقرب من موقعه، انتقلت من ثمّ إلى الغرب حتّى حلّها ملك فرنسا فيليب الرابع مع البابا كليمنضوس الخامس ١٣١٣.

٤ ـ **الداوية**: هي فريق من فرسان الهيكل، وأحيانًا كان يُطلق إسم الداوية على الجمعيّة ككلّ.

٥ ـ **الملك المنصور قلاوون**: خليفة بيبرس في سلطنة المماليك البحريّين ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠، وُلد في كبتشاك حيث وُلد بيبرس، اشتراه الملك الصالح أيّوب ثمّ أعتقه، لُقّب بالألفي لأنّ ثمنه في سوق النخّاسين كان ألف دينار، كان وصيًّا على سلامش إبن بيبرس الذي تسنّم العرش وهو ابن سبع سنين، نودي به سلطانًا بعد عزل سلامش، اشتهر في الحملة على الأرمن ١٢٧٣، انتصر على جيوش المغول والأرمن والإفرنج، بنى البيمارستان المنصوري في القاهرة.

قلاوون أيضًا معاهدة هدنة مع أميرة صور الصليبيّة التي كانت تحكم بيروت في الوقت نفسه، وضرب الحصار على قلعة المرقب حتّى استسلمت، وفي سنة ١٢٨٩ هاجم طرابلس ودمّرها تمامًا بعد حصار دام ثلاثين يومًا. وإثر سقوط طرابلس استردّ قلاوون البترون تسليمًا[١]. أمّا عكّا، وهي آخر المعاقل الصليبيّة الكبرى، فقد سقطت بيد السلطان الأشرف[٢] سنة ١٢٩١ بعد حصار شهر واحد، وأباد الأشرف التسعمائة نفر من فرسان الهيكل الذين كانوا فيها بعد أن أمّنهم على أنفسهم ليخرجوا، وهدم المدينة وكاد أن يزيل كلّ أثر لها[٣]. وبسقوط عكّا، استسلم جنود حامية صور، ثمّ سقطت صيدا، واستسلمت بيروت، وتبعتها طرطوس، وغادر فرسان الهيكل عثليت[٤] فدخلها المماليك ودكّوها في شهر آب (أغسطس) ١٢٩١، أمّا أرواد فقد ظلّت بيد فرسان الهيكل حتّى سنة ١٣٠١. "وبسقوط أرواد نزل الستار على آخر مشهد من تلك المأساة التاريخيّة التي وقعت بين المسيحيّة والإسلام"[٥].

ومن مجمل مدن الساحل الفلسطينيّ واللبنانيّ والسوريّ، حافظ المماليك على ميناءَي بيروت وطرابلس من أجل مقتضيات التجارة والتموين، وخرّبوا جميع باقي الموانئ. ومنذ ذلك التاريخ أخذت بيروت تتقدّم على ما عداها من مدن لبنانيّة، وتلتها في ذلك طرابلس.

---

١ ـ راجع: المقريزي، سلوك، ج١، ق٢، ص٥٩١؛ المقريزي، طبعة كاترمر، م٢، ق٣، ص١٧٢ ـ ١٧٨؛ ابن الفرات، ٤: ١٧، و٨: ٨٠؛ أبو الفداء، ٤: ٢٢ ـ ٢٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ذكر الشام، طبعة غيلدمايستر (بون، ١٨٨٥) ص١٨.

٢ ـ **خليل الأشرف صلاح الدين**: ابن السلطان قلاوون وخليفته ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣.

٣ ـ أبو الفداء، ٤: ٢٥، وقد كان هذا المؤرّخ شاهدًا على المعركة؛ وبقيت عكّا خربة إلى أن أعاد بناءها ظاهر العمر في القرن ١٣.

٤ ـ **عثليت**: مرفأ قديم على الساحل الفلسطينيّ قرب رأس الكرمل، بنى فيه الصليبيّون حصنًا ١٢١٨ سمّوه "قلعة الحجّاج" وفي اللاتينيّة CASTRUM PEREGRINORUM ويُعرف بالفرنسيّة باسم CHâTEAU PèLERI.

٥ ـ حتّي، لبنان في التاريخ، ص٣٧٧.

يذكر مؤرّخون علويّون أنّ "دولة المماليك قامت في منتصف القرن السابع، وانتزعت السلطة من الأيّوبيّين، وقبضت على زمام الحكم في مصر وسورية، وأعلنت مذهب التشيّع وأعادت الجهر في الأذان "حيّ على خير العمل"، فطابت نفوس العلويّين بعض الشيء بذلك، بالرغم من أنّهم ما زالوا في معزل عن الحكم، اللهمّ باستثناء بعض الأفراد من رؤوساء الجند وولاة الحصون والقلاع الذين اختلطوا بالإسماعيليّين، وعُرف الجميع آنذاك بالفدائيّين، والقليل من أحفاد التوخيّين الذين هاجروا إلى لبنان، فتوصّلوا بحزمهم وبما أثبتوه من شجاعتهم وإقدامهم في الحروب الصليبيّة الإسلاميّة، إلى تسلّم بعض الإمارات هناك، يدفعون عنها خطر غارات الإفرنج، وينقلون خراجها إلى دولة المماليك، وهذا أحيا فيهم حبّ الحياة، بعد أن كادوا يسأمونها، ومتّن جودهم أحرارًا يعلنون اعتقادهم ويجهرون بولائهم"[1]. ويقول صاحب تاريخ العلويّين: "وكانت الرياسة الدينيّة بين العلويّين مع عائلة "البلقيني" والرئيس الدينيّ للعلويّين البلقيني الذي سمّى بيبرس" "الملك الظاهر"، واتّحدت العلويّة والإسماعيليّة سياسة، واجتمعوا تحت راية الملك الظاهر، ثم باشر الملك الظاهر في استجلاب قلوب المسلمين نحوه وجدّد المسجد النبويّ الذي كان محترقًا، وغسل الكعبة بيده بماء الورد، وافتتح جهات النوبة ودنقلة، وكان أعظم قصده الاتّحاد بين المسلمين".

لم نجد في المعالجات التاريخيّة أيّة معالجة صريحة للسياسة الواضحة التي اتّبعها المماليك سواء بالنسبة للفرنجة، أم لمختلف الفئات الوطنيّة، بغضّ النظر عن الانتماء الطائفيّ لتلك الفئات. فإنّ الصورة التي تناقل المؤرّخون رسمها لحروب المماليك التأديبيّة التي عقبت قضاءهم على الصليبيّين، هي صورة طائفيّة. والواقع هو غير ذلك. فالمماليك الذين اتّبعوا نهج الأرض المحروقة مع الصيليبيّين، راموا من خلال

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٤٥.

سياستهم هذه الحؤول دون استمرار الحملات الصليبيّة المتتالية التي كانت تتجدّد بعد كلّ انكسار لهم، لذلك فهم لم يكتفوا بالسيطرة على المدن والقلاع التي كانت بيد الفرنجة، بل دمّروها تمامًا. وعندما انتهت مهمّتهم تلك، تحولوا إلى المناطق التي تعاون بعض سكّانها مع الفرنجة، في أيّ ظرف من الظروف، وإلى أيّ مجتمع/طائفة انتموا، ليقرّروا لها مصيرًا مماثلاً لمصير المناطق التي كانت بأيدي الفرنجة. ومن هذه الزاوية الواقعيّة، لا تعود حملات المماليك تلك "حملات تأديبيّة" كما تناقلها المؤرّخون وما زالوا يتناقلونها[1]، إنّما هي حملات تندرج في السياق نفسه الذي ساقه المماليك على الفرنجة. ومن هذا المنطلق "الإبادويّ" والتدميريّ جاءت فتوى إبن تيميّة الشهيرة التي حلّلت إبادة المسلمين المتشيّعين على مختلف فرقهم[2].

قد يكون أقسى ما تعرّض له العلويّون من اضطهاد، ذلك الذي عانوه على يد المماليك. وقد جاء إفتاء مفتي دولة المماليك ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م.) في العلويّين والنصيريّة ليُنزل فيهم أشنع خراب وإبادة ودمار. ومن هذا المنطلق أيضًا جاءت حملات الإبادة، وليس التأديب، التي شنّها المماليك، بين نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، على شمال لبنان وعلى جباله التي كانت تضمّ سكّانًا موحّدين دروزًا وعلويّين وشيعة إضافة إلى مسيحيّين موارنة وملكيّين. ذلك بعد أن كان المماليك في خلال احتلالهم لمدن الساحل قد خرّبوها شرّ تخريب. فبعد أن قضى المماليك على الفرنجة تمامًا أقدموا على ردم الموانئ البحريّة لمنع سفن الفرنجة من إمكانيّة الرسو فيها. ذلك أنّ قوّة المماليك البحريّة لم تكُن ذات شأن. وهكذا أصبحت مدن الشاطئ الواقعة بين عسقلان وطرابلس

---

١ ـ راجع: حتّي، لبنان في التاريخ، ص٣٩٥.

٢ ـ راجع: المنجد صلاح الدين، ولاة دمشق في العهد العثمانيّ (دمشق، ١٩٤٩) ص٦.

خرابًا[1]. وعندما مرّ إبن بطّوطة على هذا الشاطئ سنة ١٣٢٧، وصف عكّا وصور وطبريّا بأنّها كانت خرابًا[2]. وبعدما دكّ المماليك مدن الساحل، توجّهوا إلى الجبال فقتلوا من الإسماعيليّة والنصيريّة والشيعة على مختلف مذاهبها عددًا كبيرًا[3]. وقد هرب من الشيعة جماعات لجأت إلى جبال لبنان والبقاع. وكان السلطان قلاوون قد أرسل جيشه إلى معاقل الموارنة في أعالي لبنان الشمالي سنة ١٢٨٣ وخرّب بشرّي وإهدن وحدث الجبّة، فنزح بواسطة المراكب البدائيّة ألوف الموارنة إلى جزيرة قبرص هربًا من الإبادة[4]. وهاجم جيش المماليك منطقة عكّار واضطهد فيها الشيعة والعلويّين والمسيحيّين السريان بعنف[5]، فنزح الكثيرون منهم، والقليلون الذين بقوا في عكّار اتّبعوا المذهب السنّيّ[6]. ثمّ جلب المماليك بني سيفا وأقطعوهم المنطقة Lammens, *La Syrie*, 2:68. وبين ١٣٠٢ و١٣٠٦ شنّ المماليك على منطقة كسروان، التي كانت تمتدّ بين نهر بيروت جنوبًا ونهر ابراهيم شمالاً، حملات عنيفة أدّت إلى تفريغها تمامًا من سكّانها على مختلف طوائفهم، وكانوا من الشيعة والعلويّين

---

١ ـ أبو الفداء، تقويم البلدان (القسطنطينيّة، ١٢٨٦هـ) ص٢٣٩ وما يليها.

٢ ـ إبن بطّوطة، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، طبعة وترجمة: C. Defrémery and B. R. Sanguinatti, vol. I (Paris, 1893) pp. 126- 132.

٣ ـ إبن جبير، رحلة إبن جبير (القاهرة، ١٩٥٥) ص٣٠٤.

٤ ـ الدويهي البطريرك إسطفانوس، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأب فردينان توتل اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة (بيروت، ١٩٥١) ١١٣: ١ ـ ٢٤؛ Dib, *L'Église*, vol. I, p. ٢٦٣؛ حتّي، لبنان في التاريخ، ص٣٩٧.

٥ ـ راجع: عاشور سعيد عبد الفتّاح، الحركة الصليبيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة (القاهرة، ١٩٦٣) ٢: ١١٤٦؛ دي طرّازي الفيكونت فيليب، أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من تاريخ السريان، مطابع جوزيف سليم صيقلي (بيروت، ١٩٤٨) ١: ٦٤ ـ ٧١؛ Lammens Henri, *La Syrie, Précis Historique*, Imprimerie Catholique (Beyrouth,1921) 2:.14-17.

٦ ـ الصليبي كمال، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر (بيروت، ١٩٦٧) ص١٦.

النصيريّين والمسيحيّين الموارنة والملكيّين، وقد قُتل منهم خلق كثير، ومَن نجا لجأ إلى مناطق مختلفة[1]. وفي سنة ١٣٠٧ تعرّضت مناطق الموحّدين الدروز لحملات مماثلة كانت المعركة الفاصلة فيها عند عين صوفر "حيث أباد جيش المماليك البالغ عدده خمسين ألفًا قرابة عشرة آلاف نسمة وخرّبوا بلادهم وقطعوا أشجارهم وذبحوا نساءهم وأطفالهم"[2].

في ظـلّ العثمَانيِّين

عندما قضى السلطان سليم العثمانيّ سنة ١٥١٦ على دولة المماليك، في موقعة مرج دابق بالقرب من حلب، وفتح سوريا ومصر. وخضعت له كلّ البلاد العربيّة، مارس على العلويّين، بنوع خاصّ، شتّى العذابات والقهر، حتّى "كانت أضرار الأتراك فوق كل حدّ". فقد سار السلطان العثمانيّ على خطى أعدائه في محاربة العلويّين، إذ حصل على إفتاء مماثل لمفتي دولة المماليك، من علماء دولة العثمانيّين، قضى بقتال "العلويّين الكفرة" وذلك استنادًا إلى ما جاء في الآية: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[3]. وهرب العلويّون في الجبال، وكانت الجيوش العثمانية تتعقّبهم أينما رحلوا، حتّى قُتل في ذلك الوقت أربعون ألفًا. وعمّت البلوى علويّي ديار بكر وماردين والأناضول والجبال والسواحل. والذي هربوا منهم إلى

---

١ - راجع: الدويهي، تاريخ الأزمنة، ١٢٢: ٩ - ٢٥ و١٢٣: ١ - ١٠ و١٢٥: ١ - ٢٣.

٢ - راجع: بن يحيى صالح، تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق (بيروت، ١٩٦٩) ص٣٢ - ٣٣، ١٠٠ - ١٠١.

٣ - من الآية ٩ من سورة الحجرات.

الجبال سمّاهم الأتراك "سوارك"، وتعني: المنفيّين أو المساقين. ويوجد اليوم بعض العلويّين في صهيون والعمرانيّة وصافيتا مَن يسمّى بهذا الاسم... وزادت النكبة على العلويّين بأن تحالف الأتراك مع الإسماعيليّين وملّكوهم القلاع المحصّنة في منطقتهم، كما انقسمت العشائر العلويّة على نفسها، وتنافسوا على تحصيل المعاش، لضيق المنطقة التي لجأوا إليها، ولكثرة عدد النازحين، حتّى جرى بينهم قتال وشرّ. وشاع في ذلك الحين عن السلطان سليم "أنّه لم يثبّت مقدرته الحربيّة إلاّ في محو العلويّين". وقيل في اللاذقيّة أيضًا: "لم يبقَ أثر من العلويّين في اللاذقية سوى مقابر الأجداد". ولا زال العلويّون إلى اليوم "يتحدّثون في أوساطهم عن المأساة التي حلّت بهم أيام السلطان العثمانيّ الذي أمر بإبادتهم... وأصدر فتوى بإهراق دمهم"... ومع هذا كلّه استطاع العلويّون البقاء، إذ "كانت مناعة جبل العلويّين الطبيعيّة سببًا في المحافظة على الموجودين فيه منهم"[1]. وما زاد في الطين بلّة، أنّ السلطان سليم قد جلب العشائر التركيّة من الأناضول، ويقدّر عددها آنذاك بمليون نسمة، وأسكنهم في السهول المحيطة بمعاقل العلويّين، من جبال طوروس إلى جبال عكّار، ولا تزال بقاياهم في تلك النواحي إلى اليوم. وسلّط الفاتح العثمانيّ الوافدين على العلويّين المحاصرين في جبالهم، بغية إفنائهم. وهي فكرة خبيثة تهدف إلى أمرَين رئيسيَّين: تتريك هذه البلاد، والقضاء التامّ على العلويّين. وقد فشل المخطّط في سورية لكنّه نجح في الأناضول، حيث احتشد فيها بعدئذ الملايين من الترك والأرمن والأكراد. وقد استطاع سليم العثمانيّ أن يحشر العلويّين السالمين من أذاه في هذه الجبال الوعرة الضيّقة، لا يستطيع أحدهم الخروج من بينها إلاّ إذا كان يفضّل الموت على الحياة. فالترك يحيطون بجبالهم إحاطة السوار بالمعصم، وقد عمّر الأتراك المدائن واستوطنوا

---

١ ـ راجع: الطويل، تاريخ العلويّين، ص٣٥٢ وما بعدها.

السواحل، وبثّوا على منافذ الجبل العيون والأرصاد، وكثيرًا ما كانوا يهاجمون العلويّين في عقر دورهم، فيقتلون ويدمّرون وينهبون، حتّى اضطرّ أكثرهم إلى سكن المغاور والأنفاق تفاديًا لسيوف الغزاة الشعوبيّين. وبذلك أبعدوا عن المدنيّة والاجتماع، فتأخّروا في ميادين الثقافة والدين والعلم، وتفشّى فيهم الجهل والأميّة، وطغى عليهم التزمّت والانكماش، وزيّن لهم حبّ الحياة إيثار العزلة فألفوا الوحدة، واستسلموا للاستكانة، وغضّوا أبصارهم عمّا يُحاك لهم من دسائس، وأصمّوا آذانهم عمّا يسمعونه من تهم توجّه إليهم وأكاذيب تلفّق فيهم[1].

وفي هذا المجال، يقول صاحب تاريخ العلويّين:

> هاجم الأتراك الكرخ البغداديّة ونهب الجيش أموال العلويّين وسبى نساءَهم وقتل رجالهم واسترقّ ذراريهم، ثمّ زحف على حلب، فجاءه الأمراء والمقدّمون والمشايخ العلويّون من كلّ ناحية يطلبون منه الرحمة على رعاياهم، وإذ اجتمع إلى السلطان سليم تسعة آلاف وأربعمائة رجل منهم، قتلهم بموجب تلك الفتوى، ثمّ أمر بقتل العلويّين باسم الدين... فتاه قسم منهم شاردًا في البراري، وقسم تبعه في جيوشه الظافرة، وهرب بعضهم إلى الجبال، والقوّات التركية تتبّع أفراده وتقتل مَن تظفر به منهم، وقد قُتل في حلب وحدها أربعون ألفًا، وعمّت البليّة علويّي دياربكر وماردين والعواصم والبلاد التركيّة وسائر الأناضول، حيث كان العلويّون الذين لا يبادرون إلى الانتساب إلى المذهب السنّيّ الشافعيّ يُبادون... وبعد حلب وجوارها، حاول السلطان سليم الزحف إلى الجبال لتتبّعهم. وإذ تعذّر عليه ذلك لمناعة تلك الصرود، استقدم بعض العشائر التركيّة وأسكنها بجوار العلويّين لمضايقتهم، "وكان القصد من ذلك تسليط العشائر التركيّة عليهم لمحوهم... ثمّ استولى الأتراك على جميع سهلة جبلة واللاذقيّة... حتّى لم يبقَ أثر لهم فيها سوى مقابر الأجداد"... بعد كلّ هذا،

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص١٦٩ ـ ١٧١.

تحالف الإسماعيليّون مع الأتراك ضدّ العلويّين، ممّا جعل هؤلاء الأخيرين في حالة حصار، عرفوا خلالها الضيق القاسي، وراحت عشائرهم تتناحر في صراعها من أجل البقاء، وتتنافس "على تحصيل المعاش لضيق المنطقة التي لجأوا إليها، ولكثرة عدد النازحين، حتّى جرى بينهم قتال وشرور، فأصبح الأخ يقتل أخاه ليأكل ما عنده، وبذلك تمكّن السلطان العثمانيّ من إبادة الملايين من العلويّين القاطنين في ديار بكر والموصل وحلب وأدنى الأرض السوريّة، ومصر. هذا عدا عمّا قتل منهم في بلاد فارس[١].

وفي سنة ١٨١٦، على أثر مقتل طبيب إنكليزيّ في جبل العلويّين على أيدي بعض الأشقياء، استحضر سليمان باشا متسلّم ولاية طرابلس قوّات كبيرة وغزا الجبل، وقتل مَن قتل، وهرب مَن هرب، "وقبض على سبعين شخصًا من المشايخ وقتلهم ووضع في رؤوسهم التبن"... ثم أعاد الكرّة على الجبل بحجّة أنّ فيه حركات ثوريّة، وقبض على خمسة وأربعين شخصًا وذبحهم[٢].

ولم يكن حظّ العلويّين مع ابراهيم باشا المصريّ، إبن محمّد علي عزيز مصر، أفضل من ذلك الذي كان لهم مع العثمانيّين. ففي سنة ١٨٣٢ دخل إبراهيم باشا إلى بلاد الشام، وجرّد العلويّين من أسلحتهم، وتعقّبهم في الجبال، وهدم حصونهم "وقطع رؤوس رؤسائهم"، واستعان لإخضاعهم بالأمير بشير الشهابيّ الثاني الكبير، وكان الجنود المنفّذون لها لبنانيّين من مسيحيّي الأمارة ودروزها، فأحرقوا قراهم وغلالهم وقتلوا العديد منهم[٣].

---

١ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٢٠٦ وما يليها، ٣١٦ ـ ٣٩١.

٢ ـ الأبراهيم، العلويّون، ص١٦٥، عن: ينّي جورج، تاريخ سورية المعهود، ص٤١٧.

٣ ـ راجع: الشدياق طنّوس، أخبار الأعيان في جبل لبنان، تحقيق المعلّم بطرس البستاني، مكتبة العرفان (بيروت، ١٨٥٩) ٢: ٢١٧ ـ ٢١٨.

إستمرّ اضطهاد العلويّين طوال العهد العثمانيّ، إلى أن جاء عهد مدحت باشا (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤ م) الذي لُقّب بـ "سيّد الأحرار في الشرق". كان مدحت باشا من أعظم رجالات الإدارة العثمانيّة، وقد تميّز عن سابقيه بنشر الروح الدستوريّة الحديثة في البلاد العثمانيّة، وكانت سابقة إعطاء نوع من الاستقلال الذاتيّ لمسيحيّي لبنان منذ العام ١٨٦٠ قد برهنت عن نجاح التجربة، وكان العلويّون يحاولون الحصول على ما حصل عليه موارنة لبنان من ضمانات واستقلال، إلاّ أنّهم كانوا لا يزالون منعزلين عن الدولة العثمانيّة، مناصبين رجالها العداء، فبادر مدحت باشا إلى زيارة حماة، وطلب زعماء العلويّين من مقدّمين ومشايخ، وكانوا نحو خمسمائة، فوقف بينهم خطيبًا، وقال:

يا أمراء ومقدّمين ومشايخ، لماذا تبقون تجاه الحكومة في موقع العُصاة، وأنتم مصرّون على عدم تأدية التكاليف الأميريّة، وعلى عدم إيفاء الخدمة العسكريّة، ولا تقبلون الأحكام القانونيّة، وأنتم مُصرّون على مخالفة الحكومة؟ يا أولادي، أنتم لا تعترفون بعدالة الحكومة، لأنّكم لم تروا في أعمالها شيئًا يدلّ على النيّات الحسنة نحوكم، ولم تصادفوا قرارًا لها في شؤونكم يوافق قواعد العدل... لا تنقادون لأوامر الحكومة لأنّ المأمورين الذين يذهبون لعندكم لا يعملون شيئًا إلاّ تذليل نفوسكم العزيزة ولم تكونوا في نظرهم إلاّ غنيمة تؤكل، ولم تشاهدوا في الحكومة أذنًا تصغي لأنين شكواكم، وأنواحكم تذهب ضياعًا. فأنتم تعتقدون أنّ هذه هي الحكومة. أمّا السوريّون فإنّهم يعتقدون أنّكم ذوو أخلاق تقتضي معاداتكم إلى الأبد، ويهتمّون في إقناع الحكومة على ذلك... أنتم تجاه الحكومة في موقع العصاة، لأنّه لا يوجد في جبلكم مدرسة تعلّمكم واجباتكم، ولا طريق يوصلكم لمركز المدينة، ولا أثر يدلّكم على العمران والرفاهية، ولم تشاهدوا سوى المظالم والتعدّيات التي أوجدت فيكم المخالفة وخشونة الطبع... فلذلك بقيتم دائمًا كالعصاة، وواظبتم على الممانعة، وهذا أمر طبيعيّ، فلا لوم عليكم يا أولادي، أُطمئنكم أنّي سأدفع عنكم تلك

الأحوال الإداريّة السقيمة، وسأجعلكم تستقلّون في الحكم بأنفسكم كما هي الحالة في جبل لبنان... سأفتح لكم مدارس تساعدكم على الترقّي، وتعلّمكم واجباتكم، وأنشئ لكم طرقًا تسمح لكم بالاشتراك في الحياة البشريّة العموميّة، وتكونون أنتم الحكّام على أنفسكم، وحينئذ تلقون أنفسكم في حضن أمّكم الشفوقة الحكومة العثمانيّة"[1].

أوردنا نصّ هذا الخطاب لأهميّة مضمونه. إلاّ أنّه من سوء طالع العلويّين الذين وجّه إلى زعمائهم مدحت باشا هذا الخطاب، أنّ ردّة فعل سنّة دمشق عليه كانت سلبيّة عنيفة، فراح أشراف الشام يدسّون الدَّسائس ضدّ مدحت باشا أمام السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ ـ ١٩١٨) مدّعين أنّه "يريد إجهاد الحكومة والاستقلال عنها". وبما كان معروفًا عن عبد الحميد من استبداد في مقاومة الدستور، سارع إلى نقل مدحت باشا إلى إزمير، بعدما وُجّهت إليه تهمة السعي "لاستقلال سورية ومحاولة تفريقها عن الجامعة العثمانيّة"، ثمّ أثبتوا عليه من خلال اللوائح المُرسلة إلى الآستانة، والتي يطلب فيها الإدارة المستقلّة لجبال النصيريّة، أنّه خائن لبلاده، فنُفي إلى الطائف حيث مات مخنوقًا في سجنه. وبذلك أصيب العلويّون بخيبة أمل مريرة بسبب محاربة السوريّين السنّة لاستقلالهم الذي كادوا أن يحصلوا عليه، وكان قد تقرّر جعل بلدة الشيخ بدر، في محافظة طرطوس السوريّة اليوم، مركزًا لمتصرفيّتهم، على أن يشكّل من بلاد العلويّين لواء مستقلّ، تكون له صبغة خصوصيّة تُشابه إدارة جبل لبنان يومذاك.

إثر هذه الخيبة، عاد الظلم والاستبداد ليتحكّما بالعلويّين النصيريّين، فإنّ جمال باشا المعروف بالسفّاح (١٨٧٢ ـ ١٩٢٢) قد تمكّن من إحلال المجاعة في جبال العلويّين كما فعل في جبل لبنان بالنسبة لمسيحيّيه، وأخذ السفّاح من العلويّين أموالهم وساق

---

١ ـ الطويل، تاريخ العلويّين، ص ٤٠٢ وما بعدها.

رجالهم إلى الحرب، وشهد جبلهم في تلك الظروف القاسية ضعفًا في الزراعة والمحاصيل، فانهارت الصحّة العامّة حتّى فتكت الحمّى بأهالي الجبال، وأسفرت عن وفاة حوالى مائة ألف نسمة. ولم يكتفِ الأتراك بهذا القدر من الكوارث، بل زادوا الضغوط عليهم إلى أن طردوهم من أضنة، وصادروا أسلحتهم الحربيّة، وشتّتوهم في الأقفار البعيدة. ولم تتغيّر أوضاع العلويّين إلاّ بعد توقّف الحرب بمعاهدة ١٨ تشرين الأوّل (أكتوبر) سنة ١٩١٨ التي دخل الفرنسيّون على أثرها الأراضي السوريّة وضمنوا للعلويّين حياتهم.

في ظلّ الإنتداب

عندما وضع الفرنسيّون يدهم على المنطقة، كان القطاع الساحليّ من سوريا، منذ أواسط تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، مسرحًا لمجهود فرنسيّ مرهق وقاس، فإنّ المهمّة الأكثر إلحاحًا أمام الفرنسيّين كانت التخفيف من الجوع والبؤس بين الأهالي الذين أوصلتهم الحرب وسوء الحكم إلى حالة كئيبة تنذر بكارثة. وكانت الإرساليّات التي تتبع دولاً في حالة حرب مع تركيا، قد مُنعت في السنة الأخيرة للحرب من مواصلة عملها في المدن والقرى المصابة، بل والمقفرة أحيانًا كثيرة، بسبب الجوع والأمراض... وكانت آثار هذه النكبات واضحة للعيان... وبعد هدنة رودوس في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨ القاضية بتسريح كلّ القوّات التركيّة واستسلامها الكامل وتسليمها مواقعها للجيوش الفرنسية، تألّفت جمعية علويّة سمّت نفسها "انتباه ملّي" بالتركيّة و"اليقظة القومية" بالعربيّة، وراحت تطالب بكيليكيا على أنّها من البلاد العلويّة، ولا حقّ للأرمن بها. وقالوا: "إنّ كيليكيا هي البلاد العربيّة من حيث التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأساسات العرقيّة لسكّانها". وكان الكاتب في الجمعيّة العلويّة، آنذاك، صاحب كتاب "تاريخ العلويّين"، محمّد أمين غالب الطويل. وكان ذلك في صيف ١٩١٩. وفي ٢٨ آب (أغسطس) ١٩١٩ قام الشيخ صالح العلي بثورة عارمة ضدّ الفرنسيّين وحلفائهم الإسماعيليّين، وعاونه على ذلك الملك فيصل الذي كان ملكًا على دمشق آنذاك. وهاجم الشيخ صالح الإسماعيليّة في القدموس ومصياف ونهر الخوابي،

ودمّر بلادهم إلى أن تدخّلت السلطات الفرنسيّة. وفي ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ عاود العلويّون بقيادة الشيخ صالح العلي مهاجمة القدموس، واستولوا عليها، وأعملوا فيها النهب والتخريب والقتل. وأمر الشيخ العلي بجمع كتب الاسماعيليّة وأمر بإحراقها. وفي ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٢٠ قام الإسماعيليّون بهجوم معاكس على القدموس واستطاعوا استردادها... وهكذا كانت الحرب سجالاً بين الشيخ صالح العلي والعلويّين من جهة، وبين الفرنسيّين وحلفائهم الإسماعيليّين من جهة ثانية. وكان من أثر هذا الصراع أن دمّرت مدن وقرى كثيرة، وأحرقت المحاصيل، وأتلف التبغ بنوع خاص، وتشرّدت عائلات، وهدّمت البيوت من أساسها... وفي آب (أغسطس) ١٩٢٠ كتب المفوّض الساميّ الفرنسيّ في بيروت إلى وزير الخارجيّة الفرنسيّة آنذاك "ميللران" يقول له: "إنّ العلويّين الموجودين في الجبال قبالة الساحل، كلّهم يتكلّمون العربيّة، ويؤلّفون وحدة دينيّة متّصلة بالإسلام، إنّهم جبليّون متخلّفون، تحت سلطة رؤسائهم الإقطاعيّين".

في ٣١ آب (أغسطس) سنة ١٩٢٠ صدر أمر من القوميسريّة العليا في بيروت، أُعطي بموجبه للعلويّين استقلالهم الداخليّ، فأصبح جبل النصيريّة إذ ذاك يُعرف بـ "أراضي العلويّين المستقلّة". وكان الجنرال غورو قد عمد إلى إنشاء الدول الأربع المؤلّفة من: دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويّين، وأنشأ لجبل الدروز في حوران حكومة مستقلّة، وعيّن لكلّ دولة حاكمًا وطنيًّا فيما خلا بلاد العلويّين حيث الحكم العسكري كان لا يزال ضروريًّا[1]. وعيّن الكولونيل نيجر Nieger حاكمًا عليها.

---

١ ـ الباشا عبد الله صغير، الانتداب الفرنساويّ والتقاليد الفرنساويّة في سورية ولبنان، مطبعة أمين هنديّة (مصر،١٩٢٢) ص٦٥.

هذه المرّة أيضًا، قامت معارضة سنيّة ضدّ مبدأ إعطاء الأقليّات حقّ الحكم الذاتيّ، ممّا جعل الجنرال غورو يحاول ربط هذه الدول بنوع من الاتّحاد الفدراليّ، مع المحافظة على القدر الممكن من الاستقلال الذاتيّ. وفي ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ ألقى في دمشق خطابًا وضع فيه أساس الوحدة السوريّة بإنشاء مجلس اتّحاد لها، وشرح نظام إدارة الدول الأربع. وبعد يومَين ألقى خطابًا آخر في حلب جاء فيه:

... كان العمل الأوّل الذي قامت به فرنسا لتوطيد اتّحادكم وحريّتكم الوطنيّة، تأسيس الحكومات المستقلّة، وكانت غاية ذلك، مراعاة النزعات الخاصّة، ووضعها في إطار بحيث يتألّف منها مجموع متناسب الأجزاء. دونكم مثلاً لذلك سويسرة، فإنّه مع ما فيها من اختلاف الألسنة والأديان، نرى سكّانها يعملون متآزرين كإخوان على حفظ هذا الاتّحاد القائم على العاطفة المشتركة. وإليكم أيضًا مثلاً على ذلك الولايات المتّحدة. هذه الاعتبارات التي حملتني السنة الماضية على إنشاء دول سوريّة مستقلّة... ولكن لم يفتني قط وجوب إحكام الصلات بين هذه الدول التي ينبغي أن يؤلّف مجموعها سورية المستقلّة، أي سورية التي طالما رغبت فرنسة في إنشائها، ... ويجب أوّلاً تنظيم هذه الدول ومنحها قسطًا أوفر من الحريّة وتأسيس صلة اتّحاد بينها... ولا أذكر لبنان بين دول الاتّحاد لأنّ تقاليده الخصوصيّة تقضي عليه بالسعي على انفراد وراء التقدّم، وبمشاركة قليلة في الاتّحاد السوريّ لا تتناول إلاّ الواجهة الاقتصاديّة دون سواها إلى أن يقرّر من تلقاء نفسه الدخول في هذا الاتّحاد[1]...

وهكذا أصبحت "الدولة الجديدة" ضمن الاتّحاد السوريّ الفدراليّ. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤، رفض ممثّلو العلويّين الجلوس في المجلس الفدراليّ. وفي أوّل

---

١ ـ الباشا، الانتداب الفرنساوي، ص٦٥ ـ ٦٧.

كانون الثاني (يناير) ١٩٢٥ أصدر الجنرال "ويغان" Weygand قرارًا باستقلال "دولة العلويّين". وفي سنة ١٩٢٧ كانت "دولة العلويين" تتألّف من سنجقين:

١ ـ سنجق اللاذقيّة ويتضمّن: مدينة اللاذقيّة، وجبلة، وبانياس، ومصياف، والحفّة، كأقضية. والأقضية تتقسم إلى مديريّات...

٢ ـ وسنجق طرطوس ويشمل على: طرطوس، وصافيتا، وتلّ كلخ، كأقضية.

أمّا العلم العلوي فـ "أبيض مع شمس في الوسط صفراء، وأربع زوايا حمراء".

وكان عدد سكّان الدولة آنذاك ٢٧٨,٠٠٠ نسمة. موزّعة كما يلي: ١٧٦,٢٨٥ علويّ، منهم ١٧٥,٥١٤ في القرى، و٧٧١ في المدن؛ ٥٢,١٤٨ سنّيّ، منهم ٣٠,٠٨١ في المدن، و٢٢,٠٦٧ في القرى؛ ٤,٤٥٧ إسماعيليّ، منهم ٢,٨٥١ في القرى، و١,٦٠٦ في المدن؛ ٤٤,٤٤٤ مسيحيّ، منهم ٣٤,٤٨٩ في القرى، و ٩,٩٥٥ في المدن. وكانت حدود الدولة العلويّة تمتدّ في ما بين وادي النهر الكبير شمالاً حيث تبتدئ سهول حمص والسهول التي يرويها نهر العاصي، ثمّ تلال متلاصقة بعضها ببعض في متوسّط ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر، تمتدّ إلى أنطاكيا شمالاً، حيث تنخفض بسرعة ليمرّ فيه نهر العاصي... فتكون حدود "دولة العلويّين" إذن: النهر الكبير جنوبًا، والعاصي شرقًا وشمالاً، والبحر الأبيض المتوسّط غربًا.

حظيت بلاد العلويّين، التي كانت قد نجحت بصعوبة في تجنّب التورّط في اضطرابات ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧، بإدارة حكوميّة في المدّة ما بين ١٩٢٧ ـ ١٩٣٥، هي أرقى من أيّة إدارة سبق أن عرفتها البلاد، وذلك رغم أنّ هذه السنوات شهدت كسادًا اقتصاديًّا خطيرًا. وقد احتفظ المسيو شوفلير Schaeffler بمنصب الحاكم طوال هذه المدّة. وكانت كلّ السلطات الفعليّة في أيدي الموظّفين الفرنسيّين. وأفلح المجلس

التمثيليّ، الذي كان نصف أعضائه، ثمّ ثلاثة أرباعهم بعد سنة ١٩٣٠، منتخبين، في القيام بمهامه على نحو معقول. وقد سجّل الإهتمام بالانتخابات زيادة ملحوظة في هذه الحقبة، بوصفها مجالاً آخر للصراع في ما بين الطوائف، وذلك رغم أنّ الجمهور العاديّ ظلّ على لامبالاته تجاه أعمال المجلس. وفي سنة ١٩٣٤، أعيد تنظيم شؤون القضاء. ولقيت إعادة العمل بمونوبول التبغ تأييدًا عامًّا بعد سنوات من الانتاج الفائض والمواسم التي لا سبيل إلى تصريفها. وفي مدينة اللاذقيّة تولّى موظّفون حكوميّون مهامّ المجلس البلديّ بعد أن أثبت عدم كفاءاته. وقد عبّرت مجموعة صغيرة من المثقّفين العلويّين عن استيائها من قلّة استخدام موظّفين من العلويّين بالمقارنة مع السنّة أو المسيحيّين. وبمعزل عن صراعات زعماء منطقة التلال من العلويّين، والنزاعات بينهم وبين ملاّكي الأراضي السنّة أو جيرانهم الإسماعيليّين، فإنّ سياسة البلاد ظلّت على حالها من حيث وجود أغلبيّة علويّة. لكنّ أحدًا ما كان قادرًا أن يتصوّر أنّ بلادًا صغيرة ومتأخّرة بالكاد قادرة على الإكتفاء، إلى جانب أنّ انتماءها لسوريا حقيقة صارخة. وبالفعل، فقد صدر في ٢ و٥ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٣٦ مرسومان ينصّان على إعادة ضم منطقتَي الدروز والعلويّين إلى سوريا. وهكذا أصبحت "دولة العلويّين" منضمّة إلى حكومة دمشق وصارت جزءًا من الدولة السوريّة[1].

أكثر العلويّين اليوم يعيشون في جبل العلويّين وساحله في سورية، وقد توزّع قسم كبير منهم في المدن السوريّة وخاصّة في مناطق حمص، أمّا عددهم الإجماليّ فيتراوح اليوم بين ثلاثة وأربعة ملايين نسمة.

---

١ ـ لونغريغ س. هـ.، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسيّ.

٢ ـ راجع: إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة (بيروت، ١٩٨٨) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

الإعتِرافُ الرَّسمِيّ

بمَذهبِ أهلِ البَيت

في ١٥ حزيران (يونيوَ) ١٩٥٢، صدر المرسوم التشريعيّ التالي نصّه، الذي يحمل الرقم "٣"، ويتضمّن الإعتراف بمذهب أهل البيت (ع) في سوريا.

إنّ رئيس الدولة،

بناء على الأمر العسكريّ رقم ٣ المؤرّخ في ٣ آذار (مارس) ١٩٥١، وبناء على المرسوم التشريعيّ رقم ٢٥٧ تاريخ ٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٢، وبناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٣، تاريخ ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٥٢، وبناء على المرسوم التشريعيّ رقم ٣٣ المؤرَّخ في ٢ ربيع الثاني ١٣٧١ هـ، ٣٠ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٥١م، وعلى وجود عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقيّة على المذهب الجعفريّ، وعلى اقتراح المفتي العامّ يرسم ما يلي:

المادّة الأولى: يُضاف إلى المادّة الثالثة من المرسوم التشريعيّ رقم ٣٣، الفقرة التالية:

تؤلَّف لجنة خاصّة للجعفريّين من علمائهم، في مركز محافظة اللاذقيّة، قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريّين، ويُضاف إليهم شخص واحد من كلّ قضاء، عندما يتعلّق البحث في قضائه، ويُسمّى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العامّ، من العلماء الأكفاء، مهمّتها فحص حالة المتزيّنين بالكسوة الدينيّة على المذهب الجعفريّ، والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة، وإقرار مَن يحقّ له الاحتفاظ بها، ومنع مَن تحقّق اللجنة أنّه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها.

المادّة الثانية: يُنشر هذا المرسوم التشريعيّ ويُبلّغ مَن يلزم.

دمشق في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٢

الزعيم فوزي سلو.

صدر عن رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء: الزعيم فوزي سلو. وزير الصحّة والإسعاف العامّ مرشد خاطر، وزير الزراعة عبد الرحمَن الهنيد، وزير الدفاع الزعيم فوزي سلو، وزير الخارجيّة ظافر الرفاعي، وزير العدل منير غنام، وزير الداخليّة الزعيم فوزي سلو، وزير الماليّة محمّد بشير، الزعيم وزير المصارف سامي طبّارة، وزير الاقتصاد الوطنيّ منير دياب، وزير الأشغال العامّة والمواصلات توفيق هارون[1].

وفي التاسع من تمّوز (يوليو) ١٩٥٢، صدر عن المفتي العام للجمهوريّة السوريّة القرار رقم "٨" الذي نصّ على التالي:

إنّ المفتي العامّ للجمهوريّة السوريّة:

بناء على المرسوم التشريعيّ رقم ٣ المؤرَّخ في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٢م.
يقرّر ما يلي:

المادّة الأولى: تؤلّف لجنة فرعيّة في مركز محافظة اللاذقيّة من السادة: حضرة صاحب السيادة الشريف عبداللّه رئيسًا، الشيخ عليّ حلّوم مفتي قضاء اللاذقيّة عضوًا، الشيخ عيد ديب الخير عضوًا.

يشترك مع هذه اللجنة الفرعيّة المذكورة عضو واحد، ليمثّل القضاء المذكور حذاء اسم كلّ من السادة: كامل حاتم من قضاء اللاذقيّة، عبداللّه عابدين عن قضاء الحفّة، حيدر محمّد أحمد عن قضاء جبلة، يونس ياسين سلامة عن قضاء بانياس، عبد الهادي حيدر عن قضاء مصياف، محمود سليمان الخطيب عن قضاء طرطوس، عبد اللطيف ابراهيم عن قضاء صافيتا، علي صالح حسن عن قضاء تلكلخ.

---

١ ـ الإبراهيم، العلويّون، ص ٩٧ ـ ٩٨.

فمهمّة هذه اللجنة فحص كفاءة المتزيّين بالكسوة الدينيّـة، علـى المذهـب الجعفـريّ، والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة، وإقرار مَن يحـقّ لـه الاحتفـاظ بهـا، ومنـع مَـن تحقّق اللجنه أنّه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها.

المادّة الثانية: يُنشر هذا القرار ويُبلّغ مَن يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق في ١٧ شوال ١٣٧١ هـ، ٩ تمّوز (يوليو) ١٩٥٢م.

المفتي العام للجمهوريّة السوريّـة

التوقيع: محمّد شكري الأسطوفي

NOBILIS
بيروت